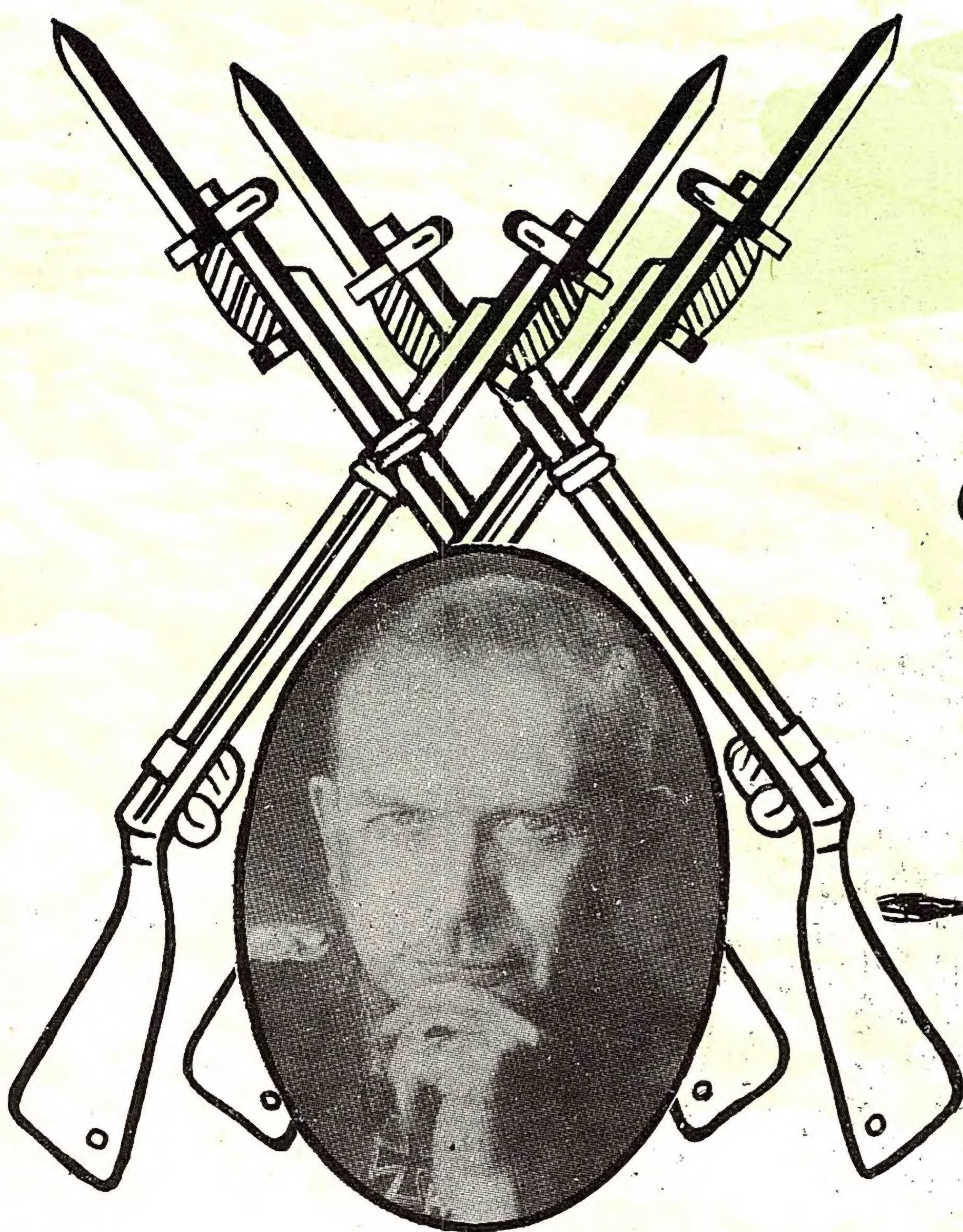


٢

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

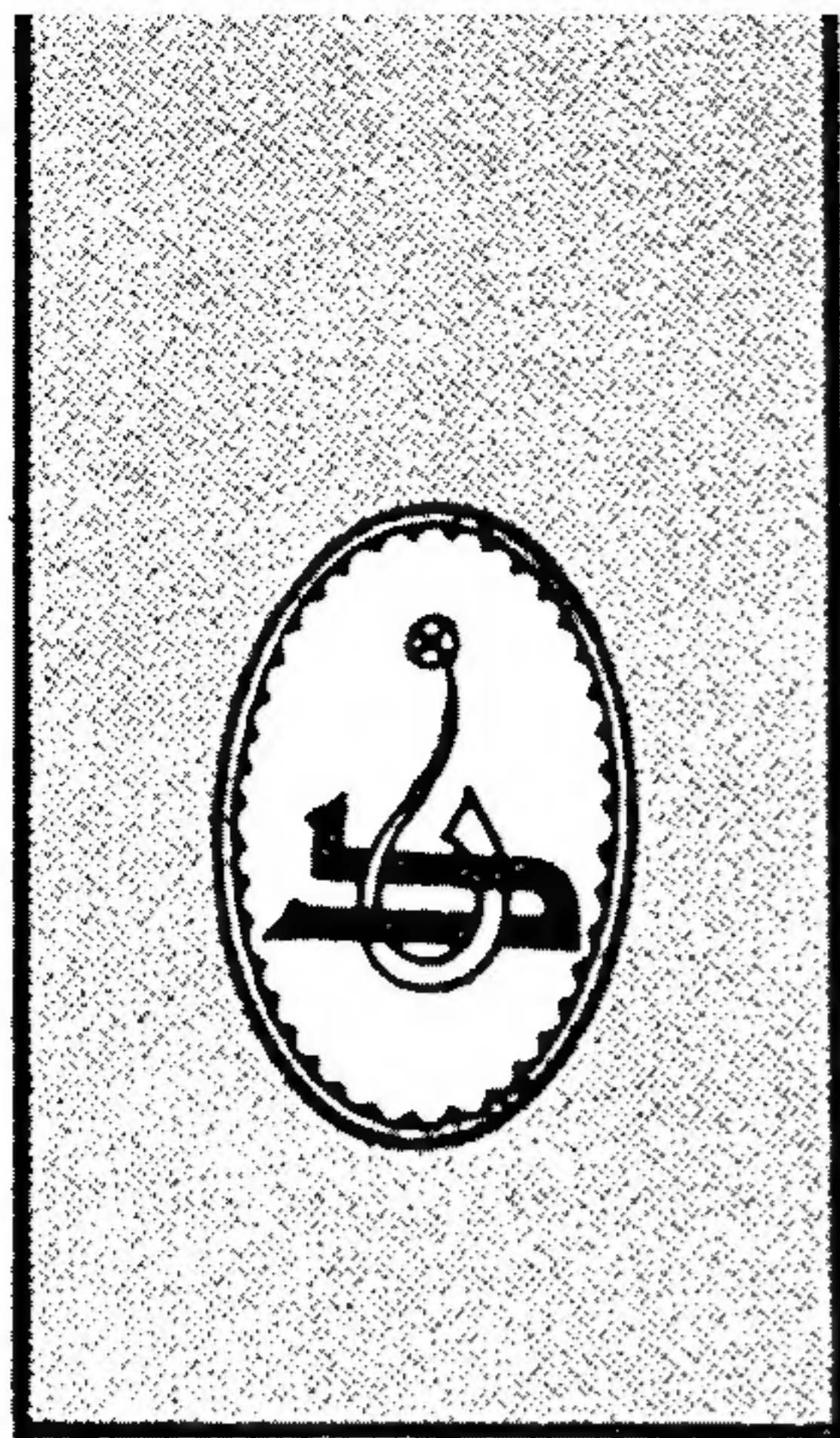


غودريان



بِسْمِ الْعَسَاءِ

دار النخاش



هائز غودریان
GUDRIAN- HEINZ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية

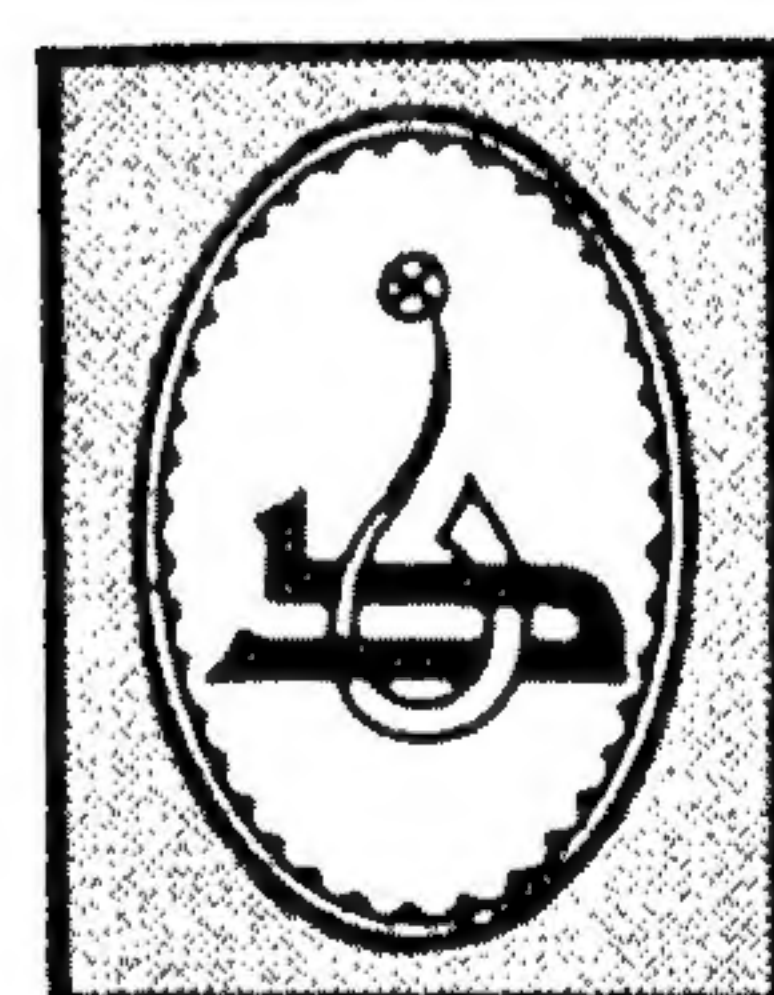


غودريان

بِسَّام الْعَسَلِيّ

دار النفاثس

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ



دار النفائس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح

وصفي الدين - ص.ب ٥١٥٢/١٤

برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤

أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المقدمة

عاش جندياً ، ومات جندياً ، فعرف في حياته متاعب الحياة العسكرية ومشكلاتها في عصر أخذت فيه التقنيات في التطور تطوراً متسارعاً ومذهلاً . وقد صدم غودريان وهو في مطلع شبابه للهزيمة التي نزلت ببلاده في الحرب العالمية الأولى ، شأنه في ذلك شأن معظم القادة الألمان الذين عاشوا مرارة الخذلان ، وذل الانكسار ، هذا مع ما بذلته ألمانيا من جهد وما قدمته من تضحيات ، وما أبرزته من كفاءات . فمضى غودريان لدراسة أسباب الهزيمة ومعالجتها بموضوعية وبصورة جادة إلى أن أثمرت أبحاثه ودراساته وتجاربه في تطوير السلاح المدرع .

لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الأولى وقد أثقلتها الهزيمة . وكان الجمود الذي سيطر على الجبهات هو العامل الأساسي والحاسم الذي أدى في النهاية إلى خسارة الحرب . فقد تمكنت القدرة النارية للأسلحة من فرض سيطرتها على ميادين القتال ، ولم تتمكن قوة الفرسان العارية من مقاومة نار الأسلحة الآلية - الأوتوماتيكية - ونار المدفعية . كما وقفت صفوف المشاة

وارتالها وهي عاجزة عن اقتحام السدود النارية . ولم يكن باستطاعة الجنود مقاومة النيران إلا بالاختفاء في باطن الأرض ، فكان الرَفْش والمعول هما سلاح الجندي وعدته للاتقاء من النار المنهمرة . وسيطر الجمود على الجبهات ، فتحولت الحرب إلى حرب استنزاف ، ولقد صمدت ألمانيا في وجه حرب الاستنزاف طويلاً ، غير أنها عجزت عن حسم الصراع المسلح لمصلحتها .

وظهرت الدبابة في نهاية الحرب ، واشتركت في معركة السوم بأعداد قليلة ، فتمكنت من إزالة بعض الجمود الذي سيطر على الجبهات ، وانتهت الحرب وهي تحمل في جوفها بذور التحولات الحاسمة . فقد كانت الدبابة والطائرة رغم بدائية صنعتهما ، ورغم نقاط ضعفهما ، هما المولودين المأمولين لإحداث الثورة الصناعية في مجال العمل العسكري .

لقد خرجت ألمانيا من الحرب وهي محرومة من الوسائط القتالية ، وجاءت معاهدة الصلح (فرساي) لتفرض على ألمانيا قيوداً ثقيلة تقيد من حرية إنتاجها الحربي . غير أن حرمان ألمانيا من العتاد قد أفسح المجال للرحب أمام بناء صناعة جديدة غير مرتبطة بتقنيات سابقة أو بأفكار محددة . وانطلقت العقول المبدعة لتضع التصاميم المتوافقة مع ما يطلبه العسكريون لحرب المستقبل . فجاءت الدبابات الألمانية والمركبات المدرعة ووسائط النقل العسكرية وهي متقدمة في صناعاتها وتقنياتها .

غير أن المشكلة بالنسبة لألمانيا لم تكن مشكلة الابداع لإنتاج وسائط قتالية جديدة بقدر ما كانت مشكلة الاستخدام الأفضل والأمثل لهذه الوسائط .

وهنا يظهر دور غودريان المبدع الذي كان يتابع ما يقال عن الوسائط الجديدة في دوائر الغرب . فعكف على دراسة نظرية ليدل هارت - الكاتب العسكري الانكليزي الشهير - في مجال (حرب الحركة) . كما درس كتابات ديغول عن المدرعات ودورها في الحرب القادمة . وانصرف لمعالجة تنظيم القوات المدرعة ووسائلها وطرائق عملها .

وشهدت ميادين التدريب في ألمانيا ، وحقول المناورات ، نشاطاً مذهلاً لتجربة الاساليب التعبوية - التكتيكية - الجديدة ، واختبار قدرة القوات المدرعة للعمل بمجموعات ضخمة .

وتولى غودريان قيادة تشكيلات البانزر الجديدة . فأتيحت له فرصة تطبيق النظرية على أرض الواقع ، مع وضع العوامل الجغرافية (الطبوغرافية) موضع الاعتبار . فاستطاع غودريان بذلك تحقيق انتصاراته الضخمة عندما اندلعت نيران الحرب . . وبرهن غودريان عملياً وبصورة واقعية على صحة النظرية القائلة : « بأن التدريب الجيد في السلم هو الوسيلة لتوفير الدم في الحرب » .

وفي الحقيقة ، فإن ما حققه غودريان من انتصارات في اجتياحه للغرب - بلجيكا وفرنسا - لا يتناسب أبداً مع ما وقع في صفوف القوات المدرعة الألمانية من خسارة في الأرواح والمعدات ، ولا يتناسب أيضاً مع ما وقع في صفوف الحلفاء - الانكليز والفرنسيين والبلجيكيين من خسائر . وقد كان لهذا العامل دوره في تألق نجم غودريان الذي أصبح نموذجاً لحرب الحركة الجديدة (قوات البانزر المدرعة) .

لقد أمضى غودريان بدايات حياته العسكرية في وحدات

الإشارة ، فعرف أهمية الارتباط بين القوات ، وعرف أهمية تنسيق التعاون بين الأسلحة والقوى المشتركة .

وهكذا كانت التقنية ، أو العمل الفني ، هو سبيل غودريان لتقويم الأساليب التعبوية - أو التكتيكية - وإدراك دورها الحاسم في ميدان المعركة وعلى مستوى العمليات .

وكذلك فقد أدرك غودريان أهمية الانتصار في ميدان المعركة لبلوغ الهدف الاستراتيجي . فتجمعت في ذهن غودريان وعقله الجزئيات الصغرى المكونة لمتطلبات المعركة الناجحة ، واندمجت جميعها في إطار لوحة متكاملة ، تمثل صورة الحرب الشاملة . ولم يكن باستطاعة غودريان تشكيل مثل هذه الصورة بسهولة وبساطة . فقد عمل غودريان سنوات بعد سنوات ، يصل الليل بالنهار ، وبذل من الجهد والعناء ما يتجاوز حدود الوصف حتى أمكن بلوغ الهدف .

بدأت الحرب العالمية الثانية باجتياح بولونيا ، وقد تمكن غودريان من تحقيق هذا الاجتياح في مدة لم تتجاوز الأسابيع الثلاثة ، ثم قامت دبابات غودريان - البانزر - باجتياح فرنسا خلال فترة لم تتجاوز الأسابيع الستة . وكان ذلك مذهلاً ، أثار العالم . وقد أمكن تحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية الكبيرة بفضل التطورات التقنية الحديثة وبتحقيق التكامل بين النار والحركة . وبكلمة أخرى فقد بدأت التطورات التقنية بممارسة دور أساسي وحاسم لتحقيق الهدف الاستراتيجي ، وقد جاء ذلك في أعمال غودريان . فلا غرابة ان اعتبر هذا القائد نموذجاً للحرب الحديثة .

وغودريان . هذا القائد الكبير ، قد تميز بمجموعة من

الفضائل الحربية التقليدية ، والتي رسمت بميسمها القادة الألمان الذين مارسوا دوراً قيادياً في الحربين العالميتين الأولى والثانية . ولقد بقيت هذه الفضائل الحربية وثيقة الصلة بتكوين الرجل الألماني ذاته . فالقائد غودريان إنسان قبل كل شيء ، يحاول قدر استطاعته التخفيف من ويلات الحرب ونكباتها ؛ يشارك جنده حياتهم ، ويقاسمهم متاعبهم ومعاناتهم . ويرى في الفضائل الحربية لأعدائه صورة عن فضائله هو ذاته ، فيحترم شجاعتهم ويقدر اخلاصهم ويحترم آراءهم ومشاعرهم .

إنها أخلاق الفروسية التي عاشت في عصر ما قبل ظهور الأسلحة النارية ، ثم امتدت استطالاتها في فضائل رجال من أمثال غودريان ، وكانت هذه الظاهرة المثيرة برهاناً على إمكان التوفيق بين العلم والأخلاق ، بين التقنية والفضيلة . وهذا في جملة ما يمكن تعلمه من تجربة غودريان ، القائد الألماني .

بسام العسلي

الوجيز في حياة غودريان

- | | |
|---|------|
| ولد هانز غودريان في بلدة كولم بألمانيا . | ١٨٨٨ |
| تخرج برتبة ملازم من مدرسة ميتر الحربية . | ١٩٠٨ |
| تعيينه في كتيبة اللاسلكي . | ١٩٠٩ |
| نقله إلى كلية برلين الحربية . | ١٩١٣ |
| ترفيعه إلى رتبة ملازم أول وتعيينه ضابط إشارة في | ١٩١٤ |
| هيئة أركان الجيش الرابع . | |
| ترفيعه إلى رتبة نقيب ، ونقله ضابط إشارة إلى هيئة | ١٩١٥ |
| أركان الجيش الخامس . | |
| تعيينه في هيئة أركان الجيش (ج) بعد تنقله ضابطاً | ١٩١٧ |
| للإشارة في عدد من الفرق . . | |
| إرساله لاتباع دورة ضباط أركان في مدينة سيدان ، ثم | ١٩١٨ |
| نقله إلى القيادة العامة . | |
| قائداً عاماً لحرس الحدود الجنوبي (برسلو) ثم حرس | ١٩١٩ |
| الحدود الشمالي (بارتنستين) . | |
| نقل إلى ميونيخ - حيث مجموعة النقل بالعربات | ١٩٢٢ |
| السابعة (بافارية) . | |

- ١٩٢٧ ترفيع غودريان إلى قائد كتيبة ثم نقله إلى وزارة الرايخ الحربية .
- ١٩٢٨ تعيينه مدرباً للتكتيك في هيئة أركان تدريب النقل بالعربات (في برلين) .
- ١٩٣٠ تعيينه قائداً لمجموعة النقل بالعربات الثالثة (في برلين) .
- ١٩٣١ ترفيعه إلى رتبة مقدم ، ونقله إلى وزارة الرايخ الحربية ، ليعمل رئيساً لهيئة أركان تفتيش وحدات النقل بالعربات .
- ١٩٣٣ ترفيعه إلى رتبة عقيد . وتعيينه رئيساً لهيئة أركان قيادة الوحدات المدرعة .
- ١٩٣٥ تعيينه قائداً لفرقة البانزر الثانية في ورزبورغ .
- ١٩٣٦ ترفيع غودريان إلى رتبة جنرال قائد لواء .
- ١٩٣٨ ترفيعه إلى رتبة جنرال قائد فرقة ، وتسليمه قيادة الفيلق ١٦ .
- ١٩٣٩ تعيينه قائداً للفيلق ١٩ واشتراكه في حملة بولونيا .
- ١٩٤٠ اشتراكه في الحملة الغربية - قائداً لمجموعة البانزر - ثم ترفيعه إلى رتبة جنرال جيش . ثم قائداً لمجموعة البانزر الثانية .
- ١٩٤١ تعيين غودريان قائداً للجيش المدرع الثاني ، ثم نقله إلى احتياطات القيادة العليا للجيش البري .
- ١٩٤٣ تعيينه مفتشاً عاماً للوحدات المدرعة .
- ١٩٤٤ تعيينه رئيساً لهيئة أركان القوات البرية .

- ١٩٤٥ إنهاء خدمة غودريان بانتهاء الحرب ، وانصرافه
للكتابة - حيث صدر له مؤلفه (مذكرات جندي)
الذي يعتبر ترجمة أمينة وصادقة لدور غودريان في
تطوير السلاح المدرع وفي حرب الحركة .
- ١٩٥٤ وفاة غودريان (يوم ١٤ أيار - مايو) .

* * *

« إن زج الفرق المدرعة باستمرار في واجبات دفاعية
هو هدر للقوى . وهو يؤخر إعادة تنظيم هذه الفرق
ويضعف قدرتها الهجومية » .

غودريان

الفصل الأول

- ١ - جيل الهزائم .
- ٢ - السلاح المدرع .
- ٣ - التجربة الأولى في الحرب .
- ٤ - اجتياح الغرب .

١ - جيل الهزائم

كان من قدره أن يعيش حياة جيل الهزائم ؛ فقد منيت بلاده بالهزيمة مرتين خلال ربع قرن من عمر الزمن . وللهزيمة قسوتها ، ولها طعمها المر كالعلقم ، وتهتز الأمة كلها ؛ والشعب جميعه لوقع الهزيمة ؛ غير أن هذه الهزيمة تنال بقوة أكبر ، وبقسوة أشد ؛ أولئك الرجال الذين اختاروا مهنة الحرب حرفة لهم ؛ وجعلوا من فن استخدام السلاح وقعقعتة رفيقاً لحياتهم ووسيلة لاثبات وجودهم . فكيف إذا كان هؤلاء الرجال من القادة الذين يحملون على كاهلهم مسؤولية الإعداد للحرب وقيادة أعمالها القتالية ؟ إن شعور هؤلاء بالهزيمة يبقى أكبر ، ومسؤولياتهم تجاه شعوبهم وتجاه أنفسهم تبقى هي الأقوى .

ولقد كان هانز غودريان من جيل هؤلاء القادة ؛ وعاش حياة هزيمة بلاده - ألمانيا - بكل قسوتها ومرارتها وإحباطها . وصحيح أنه كان يحمل رتبة صغيرة خلال الحرب العالمية الأولى ؛ فكانت مسؤولياته بالتالي محدودة لا تتجاوز ثقل رتبته - رائد أو ميجر - إلا أن الأعمال التي اضطلع بها خلال الحرب - في هيئات أركان فرقة الاحتياط (٥٢) وفي هيئة أركان فيلق الحرس وفي هيئة أركان الجيش (ج) ثم في هيئة الأركان العامة - قد جعلته أكثر قدرة على فهم مشكلات القوات ومسؤوليات القادة في إدارة الحرب .

وهكذا ؛ وانطلاقاً من هذا الفهم ؛ سار غودريان مدفوعاً

بقوة حافظ الهزيمة ؛ وهو يطمح لبلوغ النصر ؛ وللانتقام من الهزيمة والثأر لها . وليس من الصعب تصور ما عاناه هانز غودريان ما بين نهاية الحرب سنة ١٩١٨ والأول من نيسان - أبريل - ١٩٢٢ عندما تم نقله إلى (برلين) للعمل في هيئة أركان فرع النقل بالسيارات ، فكان عليه دراسة عمل رحبات السيارات ، وصهاريج الوقود والأبنية التابعة للرحبات والأعمال الفنية وقضايا الطرق والمرور . ولم تكن لدى غودريان فكرة واضحة عن هذا العمل الجديد ، فأفاد من خبرة الموظفين القدماء في الوزارة ، بقدر ما أفاد من التجارب العملية والاختبارات التي أجراها لنقل الوحدات .

ولقد قدمت تجربة الحرب العالمية الأولى نماذج كثيرة عن تنقل الوحدات العسكرية بالسيارات ؛ غير أن هذه التنقلات كانت تجري دائماً وراء جبهة ثابتة ، ولم تتم أبداً في حرب جبهتها كثيرة الحركة وبتماس مباشر بالعدو .

وتساءل غودريان : لقد خرجت ألمانيا مهزومة من الحرب العالمية الأولى . وليس من المعقول أن يبدأ الصراع المقبل بمعارك محدودة وراء جبهات ثابتة ؛ فما هو العمل ؟ إن علينا الاعتماد على دفاع متحرك ؛ ولا بد عند معالجة مسألة نقل الوحدات الآلية في حرب الحركة من التعرض لقضية أمن القوات أثناء التنقل . وليس بالمستطاع ضمان الأمن إلا باستخدام العربات المدرعة التي تستطيع وحدها تأمين حماية القوات بنجاح .

وانفتحت أمام غودريان آفاق واسعة ، فأخذ في تطوير أبحاثه عبر التجارب القليلة التي قامت بها وحدات الدبابات الألمانية والتجارب الكثيرة التي قامت بها وحدات دبابات فرنسية وانكليزية .

وأفاد غودريان بخاصة من الكتابات والنظريات التي وضعها المنظرون البريطانيون من أمثال جون فوللر وليدل هارت ومارتل ، والذين أثاروا الانتباه إلى ضرورة استخدام الدبابات في مجال تكون فيه أكثر من مجرد سلاح مرافق للمشاة .

لم يلبث (غودريان) أن اكتسب بسرعة اسم (الاختصاصي) وذلك بفضل عدد من المقالات التي كتبها ونشرها في (مجلة الجيش) . وكلف في شتاء ١٩٢٣ - ١٩٢٤ بتنظيم مناورة لاستخدام الوحدات الآلية بالتعاون مع الطيران ، وقد رشحه نجاحه في مشروع المناورة لتعيينه مدرباً للتكتيك والتاريخ العسكري . فتابع عمله ووضع مجموعة من التمارين والمناورات على الخرائط كان هدفها دراسة استخدام الآليات المدرعة لا سيما أثناء عمليات الاستطلاع بالتعاون مع الفرسان .

وشغل (غودريان) وقته بكامله في إعداد مواد التي كان يدرّسها لطلاب هيئة الأركان في مدينة (ستين) . وكان من الممتع له إثارة المناقشات بين طلابه بشأن استخدام الوحدات الآلية - الميكانيكية - . وأفاد هو من ذلك ؛ إذ أخذت أفكاره في التطور لاستثمار القدرة الحركية للقوات على المستويين التكتيكي والعملياتي .

بقي (غودريان) هو المبشر والداعية لتطوير (حرب الحركة) وأتيحت له الفرص لعرض أفكاره ونظرياته عبر المؤتمرات والتمارين التعبوية - التكتيكية - .

وبعد ثلاث سنوات من التعليم ، نقل مرة أخرى إلى وزارة الدفاع - فرع النقل المرتبط بفرع العمليات - . وكان تصور القيادة

عن عمل هذا الفرع هو تأمين نقل الوحدات بالسيارات من النوع التجاري . وكان من الضروري تبعاً لهذا التصور زيادة عدد الآليات بنسب غير معقولة من أجل نقل فرق بكاملها مع جميع خيولها ومدافعها ووسائلها القتالية وتجهيزاتها ، مما أثار مناقشات حادة .

وقام (غودريان) في خريف عام ١٩٢٨ ؛ بتدريب طلابه على تكتيك المدرعات ، وتم استخدام دبابات هيكلية ؛ وتطورت الدبابات فباتت تصنع بصفائح حديدية ، بعد أن كانت تغطي بقماش ويقوم بدفعها الرجال . وجرى خلال هذه المناورات دراسة إستخدام الدبابة باعتبارها آلية مستقلة ضمن الفصيلة والسرية والكتيبة .

وتصادف في تلك الفترة أن أتيحت لغودريان فرصة زيارة السويد ؛ حيث استضافه القادة السويديون بالودّ لمدة أربعة أسابيع ، اطلع خلالها على استخدام الدبابة (ل . ك - ٢) من دبابات الحرب العالمية الأولى ؛ وقام بقيادتها .

وتشكلت لدى غودريان (سنة ١٩٢٩) قناعة تامة بأنه لن تكون للدبابة أية أهمية حاسمة إذا ما استخدمت استخداماً مستقلاً ، أو إذا استخدمت مع المشاة . وأنه لا بد لتأمين المردود الأقصى للدبابات من زيادة سرعة حركة بقية الأسلحة وضمنان قدرتها على العمل في جميع الأراضي التي سوف تعمل معها ويجب على الدبابات أن تقوم بالدور الرئيسي في تشكيل مختلف صنوف الأسلحة ؛ وأنه لزاماً على بقية صنوف الأسلحة أن تتكيف مع عمل الدبابات .

وهكذا ؛ وبدلاً من إضاعة الدبابات في فرق المشاة ؛ فإنه

من الأفضل إحداث فرق مدرعة تضم سائر صنوف الأسلحة التي تحتاجها الدبابات لخوض القتال بكفاءة عالية .

وعلى هذا بدأ غودريان دراسته الجديدة في موضوع (الفرقة المدرعة) . وكان لا بد له من الاصطدام بالمقاومة التي كانت تعترض سبيله ؛ والتي كانت تجد في فكرة (الفرقة المدرعة) ضرباً من الخيال الذي لا يمكن تحقيقه . ومقابل ذلك ؛ لقي تشجيعاً من بعض الأوساط القيادية ذات العقلية المفتوحة ؛ من أمثال مفتش الآليات (الجنرال أوتوفون ستلبناجل) الذي أحيل على التقاعد سنة ١٩٣١ ؛ والذي قال لغودريان وهو يودعه ويشجعه : « أنت قائد نشيط . وسوف لا نعيش طويلاً لنرى سير الدبابات الألمانية . صدقني إذا قلت ذلك » .

كان العلماء الألمان والاختصاصيون في العتاد المدرع قد عملوا بتوجيه من القيادة الألمانية ، فأقاموا مركزاً للتجارب في (قازان) في الاتحاد السوفيتي . واستطاع هذا المركز الاستجابة لطلبات القيادة الألمانية فقدم لها نموذجين من الدبابات المتوسطة ؛ وثلاثة نماذج من الدبابات الخفيفة التي أنتجتها المصانع المختلفة والتي أقيمت منذ سنة ١٩٢٦^(١) . وسلحت الدبابات المتوسطة بمدافع من عيار

(١) تجدر الإشارة إلى أن ذلك قد تم وفقاً لتخطيط محكم حدده رئيس هيئة الأركان الألماني في تلك الفترة - فون سيكت - بقوله : « ليس من مصلحة جيوش المستقبل أن تكسب المخزون من العتاد ؛ بل يكفي صنع - نماذج - والإعداد لصناعتها بالجملة ، وذلك بتنظيم عملية انتقال المعامل من نظام السلم إلى نظام الحرب . يجب أن يتم هذا العمل بفضل التعاون الوثيق بين العسكريين والمهندسين . ولا شك أن هذا يتطلب مساعدات من الدولة لصيانة الآلات - المصانع - وشراء المواد =

(٧٥ مم) والدبابات الخفيفة بمدافع من عيار (٣٧ مم) . ولم تصنع النماذج من الفولاذ الخاص بالدروع ؛ بل صنعت من الفونت . وكانت سرعة جميع هذه الأنواع تقارب العشرين كيلومتراً في الساعة ، و ٣٥ - ٤٠ كم / ساعة في الأراضي المنبسطة كأقصى سرعة . وقد جاءت هذه النماذج مطابقة لمختلف المتطلبات : محكمة السد ضد الغازات ؛ قدرة فائقة على عبور المخاضات ؛ رمي المدفع ورشاش البرج في جميع الاتجاهات ؛ إرتكاز جيد على الأرض ، إمكان إجراء المناورات والتحركات بسهولة . إلا أنه ظهر بأن لهذه النماذج عيوبها : فقد كان مكان قائد الدبابة بجوار السائق ؛ مما كان يحرمه من قدرة النظر إلى الخلف ؛ كما أن اهتزاز السلاسل وعمق المقعد كانا لا يتيحان له سوى رؤية جانبية محدودة ؛ ولم تكن الدبابة قد جهزت باللاسلكي ؛ وكان لا بد من صنع نماذج جديدة . وكان على الدبابة أن لا يتجاوز وزنها ٢٤ طناً ؛ وهو الحد الذي كان مقرراً لقدرة احتمال الجسور الألمانية .

وحدث خلاف بين غودريان وبين رئيس الفرع المسؤول في التسليح ومفتش المدفعية بالنسبة لعيار المدافع في الدبابات . وكان من الصعب في تلك الفترة الوصول إلى حل نهائي لهذا الخلاف . كما حدث خلاف مماثل بين (غودريان) وبين أنصار سلاح الفرسان . غير أن (غودريان) استطاع هنا تحقيق الانتصار ،

= الأولية . إلا أن هذا النظام بالحساب الإجمالي ، يظل أقل كلفة من صنع وتخزين كميات كبيرة من العتاد الذي تنحدر قيمته سريعاً .

(تاريخ الجيش الألماني - ص ٣٥١)

فانتصر المدفع على السيف ، وانتصرت الآلة على الحصان . وقد أمكن تحقيق هذا الانتصار عبر الجهود المستمرة لأنصار التجديد ؛ وعبر التجارب والمناورات المتتالية والتي كان من أبرزها مناورة سنة ١٩٣٢ ، والتي كانت آخر مناورة حضرها مستشار ألمانيا - الماريشال فون هندنبرغ - . فقد سمي هتلر قائداً عاماً سنة ١٩٣٣ ، فانقلبت سياسة الرايخ - داخلياً وخارجياً - رأساً على عقب . وتبع ذلك تعيين (فون بلومبرغ)^(١) وزيراً للدفاع ، وتعيين (فون ريشنو) وزيراً للقوات البرية .

وكان لهذه التعيينات أثر واسع في تطوير أعمال غودريان ؛ وأصبحت متطلبات السلاح المدرع تلقى تفهماً تاماً . كما أظهر هتلر اهتمامه الشخصي بالمسائل المتعلقة في تطوير آليات الوحدات المدرعة . وقدم لغودريان البرهان الأول ، أثناء عرض العتاد الجديد الذي تم في (كومرسدورف) . وخصص في هذا العرض لغودريان نصف ساعة فقط لتقديم عناصر وحدة النقل في القتال . فقام غودريان بعرض فصيلة من الرماة راكبي الدراجات النارية ، وفصيلة من العناصر المضادة للدروع وجماعة مدرعات ؛ ونموذجاً قيد

(١) فون بلومبرغ : (Von Blomberg - Werner) جنرال ألماني (١٨٧٨ - ١٩٤٦) أصبح وزيراً للحرب (١٩٣٣ - ١٩٣٨) ، وقد دعم هتلر للوصول إلى السلطة وأيده بحماسة يوم وفاة المشير - الرئيس هندنبرغ - في ٢ - آب - أغسطس - ١٩٣٤ . ورغم ما بذله بلومبرغ من جهد لوضع كل سلطات ألمانيا في قبضة هتلر ، فقد كافأه هتلر بعزله يوم ٤ شباط - فبراير - ١٩٣٨ ، وتولى هو صلاحياته ، وأدانته بتهمة الزواج من عاهرة . وكان من القادة الألمان الموثوق بكفاءتهم .

التجربة ؛ وجماعة من عناصر الآليات الثقيلة المجهزة أيضاً بالرشاشات . بالإضافة إلى جماعة أخرى من عناصر الآليات الخفيفة المسلحة بدورها بالرشاشات . وتأثر هتلر بتحركات وحدات غودريان ودقتها ، حتى أنه صرخ عدة مرات : « هذا ما يلزمنا ! هذا ما أريده ! » .

حضر غودريان بعد ذلك افتتاح يوم الجيش في كنيسة الشكنة في مدينة (بوتسدام) يوم ٢١ آذار - مارس - ١٩٣٣ . وجلس في المنصة وراء المقعد الخالي للامبراطورة ، وراقب المشهد التذكاري الذي كان يجري أمام قبر فريدريك الكبير . وبعد أن انتهى ذلك الاحتفال المهيّب ، أعلن عن المرسوم الشهير المتعلق بجميع السلطات ، وذلك بمساعي (الجبهة الوطنية) . ومنح المرسوم الجديد القائد الأعلى سلطة ديكتاتورية مطلقة . وقليل هم السياسيون الذين أدركوا مدى تأثيره على المستقبل ؛ وما يترتب عليه من نتائج خطيرة ومسؤوليات كبرى . فلا غرابة إذن إذا ما انساق غودريان مع التيار ؛ متأثراً بحماسة (روح الجماعة) .

استمر غودريان في بذل الجهد خلال سنة ١٩٣٣ لتشكيل الوحدات المدرعة ؛ وأظهرت له المناورات التجريبية والتدريبية - بعتاد مزيف - المعطيات الواضحة عن تعاون مختلف صنوف الأسلحة . وازداد اعتقاده رسوخاً بخطورة هذا السلاح الجديد وأهميته ؛ وأنه سيكون للدبابات مردود عظيم إذا ما استخدمت سلاحاً رئيساً في الحرب ، وإذا ما تم تشكيل فرق كاملة منها تضم ما تحتاجه من أسلحة دعم مختلفة على أن تكون جميعها آلية - ميكانيكية - .

عين الجنرال (فون فريتش)^(١) قائداً للقوات المسلحة البرية الألمانية في خريف سنة ١٩٣٣ ، ولقي منه (غودريان) كل دعم وتشجيع ؛ وبات لزاماً عليه وضع أنظمة خدمة الوحدات المدرعة لمواجهة تشكيل الفرق المدرعة . فقد طالب غودريان بتشكيل ثلاث فرق مدرعة ؛ إلا أنه كلف بتشكيل فرقتين فقط ؛ ووافق على ذلك ؛ واندفع بحماسة لانجاز هذا التحول .

وتم في ربيع سنة ١٩٣٤ تشكيل قيادة الوحدات الآلية ، وأسندت قيادتها إلى الجنرال (لوتز) في حين أسند إلى (غودريان) منصب رئيس هيئة أركان هذه الوحدات . وبينما كان (غودريان) منصرفاً لانجاز عمله ، شعر بأن كارثة حلت بألمانيا بوفاة الفيلد مارشال (فون هندنبورغ)^(٢) يوم ٢ آب - أغسطس - سنة ١٩٣٤ . وترك شعبه في مرحلة (ثورة داخلية) ذات نتائج غير

(١) فون فريتش : (VON FRITSCH , BARON WERNER) جنرال ألماني .

(١٨٨٠ - ١٩٣٩) عين رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش الألماني سنة ١٩٣٣ .

اشترك في المؤامرة لعزل بلومبرغ ؛ على أمل أن يخلفه في منصبه ، غير أن هتلر عزله بحجة (الشذوذ الجنسي - اللواط) يوم ٤ شباط - فبراير - ١٩٣٨ ؛ وعين مكانه (فون براوختش) . وقتل بعد ذلك ، وقيل أنه مات منتحراً . وكان من القادة الذين يثق بهم الضباط الألمان عامة .

(٢) هندنبورغ :- (HINDENBURG, PAUL LUDWIG VON BENECKEN)

(DORFF) مارشال ألماني ورئيس ألمانيا (١٨٤٧ - ١٩٣٤) خاض الحرب على الجبهة البروسية - النمساوية وعلى الجبهة البروسية - الفرنسية (١٨٧٠ - ١٨٧١ م) ثم تقاعد سنة ١٩١١ . واستدعي للخدمة في شهر آب - أغسطس - ١٩١٤ لقيادة الجبهة الشرقية . وكان المارشال لودندورف رئيساً لهيئة أركان حربيه . وحقق عدداً من الانتصارات أهمها معركة تانبرغ . ثم أسندت إليه قيادة الجبهة الغربية (١٩١٦) . وعمل لودندورف أيضاً رئيساً لهيئة أركان حربيه . وتقاعد سنة ١٩١٩ =

متوقعة . وكتب غودريان لزوجته في ذلك اليوم رسالة جاء فيها :

« توفي قائدنا العجوز ؛ وهذه الخسارة التي لا يمكن تعويضها قد أحرزتنا . كان في الحقيقة أباً لهذا البلد ؛ ولا سيما لجيشنا ؛ والفراغ الكبير الذي يتركه غيابه في نفوس شعبنا ؛ لا يمكن املاؤه ، وسنلقى صعوبات كبيرة في التعويض عنه . إن وجوده فقط كان ثميناً جداً في نظر الأجنبي أكثر من المعاهدات المكتوبة والكلمات الطيبة . لقد وثق العالم به . ونحن الذين أحببناه ومجدناه ؛ نفتقده الآن كثيراً . وغداً سنقوم بأداء القسم أمام هتلر . ونتيجة القسم خطيرة ، فأدعو أن يتقيد به الطرفان لصالح ألمانيا . فقد تعود الجيش على التمسك بقسمه ؛ وأرجو أن يتقيد بشرفه . إن على الناطقين باسم المنظمات الإفادة من هذه المناسبة للتخلي عن كل تكبر والتخلي عن خطبهم . ويكفي الوفاء بالواجب ؛ والعمل بصمت » .

دفن الجنود الألمان المارشال قائد الرايخ يوم ٧ آب - أغسطس - في النصب التذكاري لمعركة (تنبرغ) ووقف غودريان يستمع إلى هتلر وهو يلقي كلمته التأبينية : « والآن ادخل الى الفردوس أيها القائد الحربي الراحل » .

وأصبح أدولف هتلر القائد الأعلى للرايخ والقائد العام للقوات المسلحة في آن واحد . واحتفظ لنفسه بجميع السلطات .

= وأصبح رئيساً للدولة الألمانية (١٩٢٥ - ١٩٣٤) . وكان مرغماً على اسناد منصب مستشار ألمانيا إلى هتلر سنة ١٩٣٣ (أنسكلوبيديا الحرب الحديثة - روجر باركينسون - بالادان - ص ١٥٧) .

وقامت منذ هذا التاريخ ديكتاتورية لا حدود لها .

(أمضى (غودريان) شتاء سنة ١٩٣٥ في عمل شاق وفي جهد مستمر . وجرى في شهر آذار - مارس - عرض عسكري اشتركت فيه الوحدات المدرعة للمرة الأولى .

وفي يوم ١٦ آذار - مارس - ١٩٣٥ وبينما كان (غودريان) يمضي سهرة لدى الملحق العسكري البريطاني ، أعلنت الإذاعة الألمانية بياناً حكومياً بإعادة الخدمة العسكرية الإجبارية الألمانية . ولم يتمكن (غودريان) من إخفاء فرحته بهذا الحدث الذي أعاد لألمانيا كرامتها وحرية عملها العسكري .

وبدأت عجلة الأحداث بالتسارع . وانطلقت العربية العسكرية للتطور بسرعة ؛ وظهر ذلك في مناورات الصيف والتي اشتركت فيها الدبابات بالتعاون مع سائر صنوف الأسلحة . وكانت نتائج هذه المناورات التدريبية والمناورات مشجعة للغاية . وعندما ألقى المنطاد الكروي الأصغر وهو إشارة نهاية المناورات ، قال الجنرال فريتش مازحاً : « لم يبق سوى الكتابة على المنطاد : دبابات غودريان هي الأحسن » .

وبتاريخ ١٥ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٣٥ ، تحققت رغبة غودريان بأن تم الانتهاء من تشكيل ثلاث فرق مدرعة . وأسندت إليه قيادة الفرقة الثانية منها (في وورسبورغ) .

وكان (غودريان) يأمل ؛ وهو يمضي لقيادة فرقته ؛ أن يستمر العمل لتشكيل فرق مدرعة جديدة . غير أن التطورات سارت على اتجاه مغاير . فقد مارست قيادة المشاة وقيادة الفرسان ضغطاً شديداً

على القيادة ، مما أدى إلى تشكيل الألوية المدرعة المخصصة للتعاون مع المشاة فقط . كما شكلت ثلاث فرق خفيفة - من الفرسان - ضمت كل فرقة منها لوائي رماة آلية ولواء استطلاع ولواء مدفعية ومجموعة دبابات وعناصر أخرى من أسلحة مختلفة . وشكلت أيضاً أربع فرق مشاة آلية وذلك بوضع فرق مشاة عادية على المركبات وتطلب ذلك عدداً هائلاً من الآليات . وأدى ذلك كله إلى بعثرة القوات الآلية والمدرعة ؛ فلم تصل مطلقاً سرعة إيقاع صنع العربات المجنزرة للأسلحة المساعدة للدبابات - مثل المدفعية والمشاة والمهندسين الخ . . . إلى المعدل المطلوب . وكان من حسن حظ (غودريان) أنه لم يعلم بهذه التطورات إلا عن طريق المصادفة .

رفع (غودريان) إلى رتبة عميد في الأول من آب - اغسطس - ١٩٣٦ . واشترك في مناورات الخريف . وكانت سعادته كبيرة عندما تقدم إلى مؤسس الجيش الألماني (فون سيكت)^(١) وشرح له تطورات السلاح المدرع الجديد ؛ وأظهر له أن جهوده لبناء الجيش الحديث لم تذهب هباء .

(١) فون سيكت : (VON SEECKT , HANS) جنرال ألماني (١٨٦٦ - ١٩٣٦) عمل رئيساً لهيئة الأركان الألمانية (١٩١٤ - ١٩١٨) ثم وزيراً للحرب . وهو الذي مثل ألمانيا في مؤتمر فرساي . وقد اعتبر بأنه المؤسس الحقيقي للجيش الألماني بعد الحرب العالمية الأولى . وقد وضع مخططاً لإعادة تنظيم الجيش الألماني الذي حددته معاهدة فرساي بمائة ألف جندي فقط ، ليكون نواة قادرة على التطور بسرعة ، من حيث تنظيمه وتدريبه ، عندما تحين الفرصة للتححرر من بنود معاهدة فرساي - وهو ما فعله هتلر عندما استولى على السلطة - . وقد استقال سيكت من منصبه سنة ١٩٢٦ بسبب الضغط الذي مارسه فرنسا على ألمانيا لإقالته . فتوجه سيكت إلى الصين حيث عمل على تدريب الجيش الوطني الذي كان يقاتل الشيوعيين . =

وفي شتاء ١٩٣٦ - ١٩٣٧ وضع غودريان كتابه
(إنته - الدبابات) بهدف شرح المبادئ الأساسية لعمل الوحدات
المدرعة بأسلوب بسيط ؛ يمكن من نشر المعرفة ؛ واكتساب الأنصار
والمؤيدين لتطوير السلاح المدرع .

٢ - السلاح المدرع

استخدمت (الدبابة) للمرة الأولى خلال معركتي
(كامبري)^(١) و (أميان)^(٢) أيام الحرب العالمية الأولى . وتحدثت
قصص الحرب عن هذه المركبة المربعة التي حطمت بسهولة شبكات

= وعاد إلى ألمانيا سنة ١٩٣٦ غير أنه لم يلبث أن توفي ؛ وهو محتفظ بمكانته الرفيعة في
وسط القادة الألمان الذين اعترفوا له بفضل الحفاظ على القدرة الألمانية في مجال
الصناعة الحربية وفي مجال تنظيم الجيش وتدريبه .

(١) كامبري : (CAMBRAI) مدينة كبرى في شمال فرنسا تقع على نهر
الإسكوت : (ESCAUT) استولى عليها الألمان سنة ١٩١٤ واستعادها
الفرنسيون سنة ١٩١٨ . واشتهرت كامبري بمعركتها الكبرى التي بدأت في
الساعة ٦,٠٠ من فجر يوم ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٧ واستمرت حتى
الساعة ١٦,٠٠ . واستخدمت فيها الدبابات للمرة الأولى حيث تم زج ٩ أفواج
ضمت ٣٧٨ دبابة وأمكن تحقيق اختراق بعمق ١٥ - ١٨ كم . لكن الألمان أوقفوا
الهجوم . وتعرض الطرفان لخسائر قدرت بحوالي ٤٥ ألف إصابة .

(٢) أميان : (AMIENS) مدينة قديمة في إقليم السوم في شمال فرنسا . كانت
عاصمة البيكاردين قديماً . تبعد مسافة ١٣٠ كم عن باريس . اشتهرت بالمعركة
التي قام بها البريطانيون يوم ٨ آب - أغسطس - ١٩١٨ وهو اليوم الذي وصف بأنه
(أسود يوم في تاريخ ألمانيا) حيث زج البريطانيون ٤٦٢ دبابة ، دعمتها الطائرات ؛
فأمكن تحقيق خرق في الجبهة الألمانية بعمق ١٥ - ١٨ كم في يوم واحد . وبلغت
خسائر الألمان مائة ألف إصابة في حين بلغت خسائر الحلفاء حوالي ٤٤ ألف
إصابة .

الأسلاك الشائكة العميقة ؛ وسحقت الخنادق ؛ وكسرت
الرشاشات .

وقد كان تدخل الدبابات وضجيج محركاتها ولهب أقية
انفلات الغاز المحترق كافياً لإثارة الهلع من الدبابات ؛ مما أسهم
إسهاماً كبيراً في هزيمة ألمانيا يوم ٨ آب - أغسطس - ١٩١٨ .

وتشكلت بنتيجة هذه التجربة المحدودة فكرة لدى عدد كبير
من النقاد ؛ تلخص بأن إحدى إمكانات الدبابة - وليست أهمها على
أية حال من الأحوال - هي قدرتها على السحق بما تمتلكه من قوة
الصدمة .

واستناداً إلى هذا المفهوم الضيق ؛ تكونت في الأذهان صورة
مضطربة عن هجوم الدبابات مطابقة لرغباتهم ، وهي أنها تسير
بسرعة ثابتة لا تكاد تتغير ؛ وعلى اتجاه واحد ؛ كما أنها تتحرك
بمجموعات كثيرة في وقت واحد ، مما يجعلها هدفاً سهلاً للمدافع
المضادة للدبابات والمدفعية الخصم . وهذه الدبابات تتدفق نحو
الوحدات المعادية المتمسكة بالأرض ؛ فتعمل على سحقها .

ولم يهتم النقاد والباحثون بغير (قوة الصدمة) و (القدرة
الحركية للدبابات) وأسقطوا من اعتبارهم القدرة النارية لأسلحة
الدبابات ، فهي في نظرهم صماء عمياء ؛ ولا تستطيع الدفاع عن
الأرض المحتلة .

وبذلك انتشرت قناعة بأنه من الصعب تحقيق المباغته بهجوم
الدبابات ، وأن خير سلاح لمقاومة هجوم الدبابات هو الدبابات
ذاتها حيث تستطيع الدبابات إصابة الهدف دوماً مهما كانت

خسائرها . وأنه على الرغم من الدخان والضباب والنباتات وتعرجات الأرض فإن الدبابات تظهر دائماً في المكان المحدد الذي تهاجم فيه مما يجعل من السهل على الجنود اكتشافها والتعامل معها في الوقت المناسب .

وأدت هذه الصورة الخادعة إلى استنتاج خاطيء وهي أنه : « لا جدوى من هجوم الدبابات ولا فائدة » . ولهذا فإنه بالإمكان « إلغاء الدبابة والاستغناء عن دورها » مما حمل أحد النقاد على القول : « لنشب وثبة واحدة تجعلنا نجتاز عهد الدبابة - وبذلك فإننا لن نضطر لتعديل تكتيك جميع الأسلحة القديمة . وبالإمكان العودة إلى حرب الخنادق من نموذج ١٩١٤ - ١٩١٥ » .

لم يكن باستطاعة (غودريان) هضم ؛ أو قبول ؛ مثل هذه الأفكار والمفاهيم ؛ وهو ابن جيل الهزائم ؛ والباحث أبداً عن سبيل النصر الحاسم عبر المستجدات المتطورة . فقال : « إنه من غير المفيد القفز إلى العهود الغامضة إذا كنا نجهل إلى أين سنصل ، وإذا كنا لا نعرف أين تقع نقطة الوصول . وما دام الذين ينتقدون لا يستطيعون إظهار طريق جديد ؛ واختيار الطريق الأمثل لنجاح الهجوم ، غير الطريق الذي اختبرناه ، فإن علينا أن نناضل من أجل تحقيق فكرتنا : الدبابات - على أن نرجمها زجاً جيداً - . وهي تكون في الوقت الحاضر أفضل سلاح هجومي في المعارك البرية ؛ وللمساعدة على تكوين رأي سديد عن إمكانات هجوم الدبابات » .

فلماذا كانت الدبابات هي السلاح الهجومي الأمثل من وجهة نظر غودريان ؟

لقد حدد غودريان إجابته على هذا السؤال بما توافر للدبابة من الميزات الثلاثة :

- ١ - قوة الصدمة - عبر التصفيح - .
- ٢ - قوة النار - عبر أسلحة الدبابة من مدافع ورشاشات .
- ٣ - القدرة الحركية العالية .

قوة الصدمة - التصفيح -

تتوافر لدبابات القتال جميعها ، حماية كافية ضد القذائف الخارقة التي تقذف بها أسلحة المشاة ، أما ضد الأسلحة المضادة للدبابات والدبابات المعادية فلا تتوافر مثل هذه الحماية أو الوقاية . لذلك فقد جهزت الدبابات المخصصة لمجابهة هذه الأسلحة بوقاية أكبر في البلاد التي تعد نفسها منتصرة في الحرب العالمية الأولى - وخاصة منها فرنسا - . فالفترض أن الدبابة (١١ - ج) مثلاً غير قادرة على تأمين الحماية لنفسها ضد المدفع ٧٥ مم . فإذا ما تم زج جيش دبابات لا تخرقها أسلحة الخصم المضادة للدبابات ، وأمكن دفع هذا الجيش بقوة في كتلة واحدة ؛ فإن باستطاعته ضمان النصر بعد فترة قصيرة أو طويلة ؛ والتغلب على مشاة العدو وسلاح هندسته . ويمكن تأمين هذا النجاح أيضاً بالدبابات من النوع الخفيف ، تحت حماية الدبابات الثقيلة ، وذلك بعد القضاء على الدفاع المعادي المضاد للدبابات . وإذا تمكن المدافع من استخدام سلاح يخرق جميع الدبابات التي يمتلكها المهاجم ؛ وإذا تمكن من تربيصها ووضعها في مراتبها في المكان المناسب وفي الوقت المناسب ، فعلى الدبابات عندئذ تحقيق النجاح بتضحيات كبيرة .

ومن الممكن الارتياح بإمكان تحقيق مثل هذا النجاح ، لا سيما إذا كان الدفاع كثيفاً وعميقاً ؛ بكثافة كبيرة وعمق كاف .

إن الصراع بين القذيفة والدرع القائم منذ آلاف السنين ؛ ينطبق أيضاً على السلاح المدرع . وعلى هذا السلاح متابعة الصراع كما جرى في عهد بناء الحصون ؛ وكما فعلت من قبله البحرية ، وكما يفعل الطيران في الوقت الحاضر .

إن هذا الصراع ونتائجه المتغيرة لا يمكن له أن يشكل حجة للتخلي عن الدروع في الحروب البرية ، وإلا لم يبق للمهاجم - لكي يقي نفسه - سوى الثياب الصوفية التي أثبتت الحرب العالمية الأولى قصورها وعجزها عن تأمين الحماية المطلوبة ، وذلك رغم اللجوء إلى التحصينات الميدانية الكثيفة .

القدرة الحركية العالية

قليل في الماضي : « إن الحركة وحدها تؤدي إلى النصر » . وقد آمن (غودريان) بهذه الحقيقة ؛ وانطلق منها للإفادة من الإمكانيات الفنية - التقنية المتوافرة في أيامه ؛ إذ لم تعد أقدام الجند أو خيولهم هي وسائط القدرة الحركية فقط ؛ فقد بات بالمستطاع الإفادة من القطارات والخطوط الحديدية وسيارات النقل وحتى الطائرات لنقل القوات وزيادة قدرتها الحركية . غير أن هذه القدرة بقيت محددة بالوصول إلى خط التماس مع العدو ، حيث تتجمد الحركة عندها عامة بتأثير نيران العدو . فكان لا بد من تدمير الخصم أو إرغامه على الاختفاء في الخنادق أو دفعه إلى الابتعاد عن مواقعه ؛ وذلك حتى تعود للحركة حريتها وقدرتها . فكان لزاماً الاعتماد على نار

قوية تتفوق على نار العدو ؛ وتسكت له مدفعيته ومدافعه الرشاشة وتزيل مقاومته . غير أن مدى السلاح عند الرمي من مواقع ثابتة يساوي مسافة الرمي ؛ وفي هذه الحالة يمكن السيطرة على جميع الأسلحة الموجودة في الموضع الدفاعي . ولا تستطيع المشاة استثمار تأثير النار إلى هذا الحد . وينبغي للأسلحة الثقيلة والمدفعية تبديل أماكن تربصها - مرابضها - لاستئناف حركة النار . ويتطلب هذا النوع من القتال أسلحة عديدة ومتنوعة وكمية كبيرة من الذخائر . وإذا تم التسليم بذلك جداً ؛ فإن العدو يستطيع كشف خطة الهجوم ، فيدفع بقواته الاحتياطية نحو نقطة أو مركز الهجوم ويوقفه .

وأصبح من السهل ؛ ومنذ أن أصبحت الاحتياطات آلية ، إقامة جبهات دفاعية جديدة . وبات احتمال النجاح في الهجوم مرتبطاً بالمعدلات الزمنية التي تتطلبها حركة المدفعية والمشاة .

تلخصت المسألة إذن - من وجهة نظر غودريان - باستخدام القدرة الحركية العالية بأسرع مما كانت عليه في الماضي ، ثم المحافظة على هذه القدرة الحركية بعد ذلك رغم ما قد يستخدمه العدو من قدرة نارية ، وذلك لمنع المدافع من تنظيم جبهة جديدة ؛ وحتى تصل الصدمة الهجومية إلى عمق جهازه الدفاعي . وإذا ما تحققت بعض الظروف الملائمة ؛ يمكن لأصحاب فكرة السلاح المدرع إيجاد الحل المناسب .

ومقابل ذلك ، كانت حجة المقاومة المضادة للسلاح المدرع هي أن المباغته قد ضمنت تحقيق النصر عبر التاريخ ، وأنه من المحال الحصول على هذه المباغته عند استخدام السلاح المدرع .

وكان رد (غودريان) على ذلك هو أن إضافة وسائط قتالية جديدة إلى مجموعة التدابير التي يمكن اتخاذها لتحقيق المباغته سيزيد من فرص النجاح اتساعاً ، وأنه يجب منح الثقة الكبرى للسلاح المدرع حتى يمكن إتاحة الفرصة للدبابات من أجل استخدام قدرتها الحركية بسرعة أكبر من قبل ؛ والإفادة من هذه القدرة واستثمارها لتطوير حرب الحركة بعد تحقيق الخرق ؛ وأن نجاح هجوم الدبابات هو أمر ممكن بفضل المعطيات المتوافرة وهي : تكثيف القوات في الأرض المناسبة ، واستثمار الثغرات والفجوات المتوافرة في التنظيم الدفاعي للخصم ؛ والإفادة من قوة العدو المدرعة الضعيفة في قطاع الخرق . وإذا عجز السلاح المدرع عن ضمان الشروط المثالية لضمان النجاح في الهجوم - فإن بقية الأسلحة لن تكون أفضل حظاً في إمكانات تحقيق مثل هذا النجاح إذا ما توافرت الشروط المعيقة ذاتها .

وكان من رأي (غودريان) : أن كل سلاح يتمتع بفاعليته العظمى طالما لم يظهر سلاح مضاد له . ولكن ما إن يظهر هذا السلاح المضاد ؛ فإن فاعلية السلاح تتوقف على القدرة الدفاعية للخصم في وقت معين . فإذا ما تم دفع الدبابات ضد عدو متفوق بالدبابات أو بسلاح مضاد للدبابات ، فمصيورها السحق وانخفاض فاعليتها ؛ أما إذا انقلب الموقف فستقوم الدبابات بعمل تدميري كامل . وإذا ما تم استبعاد وسائط دفاع العدو من الحساب ؛ فإن فاعلية كل سلاح تبقى مرتبطة بإرادة الإفادة دائماً من تطور الفن ؛ والاحتفاظ بأعلى ما وصل إليه هذا الفن خلال تلك الفترة . وفي هذا المجال سوف لا يترك السلاح المدرع سلاحاً آخر يتفوق عليه ؛ وقد قيل : « بأن قذيفة المدفعية في الدفاع ؛ هي وحتى إشعار آخر ؛

أسرع من هجوم الدبابات الموجهة ضد المدفعية » ، وليس هناك من يشك في ذلك ، ولكن ومنذ سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ ، أخذت مئات الدبابات مواقعها الهجومية في المؤخرات المباشرة لخط المشاة المتقدم ، واجتازت مئات الدبابات رمايات الإيقاف ؛ وتبعتها عشرات فرق المشاة والفرسان وهاجموا العدو بدون تحضير أو تمهيد مدفعي ؛ واصطدموا من جراء ذلك ؛ ومنذ البداية ؛ بمدفعية الخصم القوية . وسوف لا تنجح المدفعية المعادية بإيقاف تحرك الدبابات إلا في حالات سيئة جداً ، وبعد أن تتمكن الدبابات من إجراء الخرق حتى مواضع المدفعية ؛ ستتوقف سرايا المدفعية عن العمل بسرعة وتتوقف عن إحداث الأضرار .

ولقد ثبت في تجارب الحرب العالمية الأولى - بصورة خاصة - فشل التكتيك الصلب والجامد للمدفعية ؛ ولم تؤثر في الدبابات نيران السد - أو المنع - المحضرة سابقاً والتي تغطي القطاع المهدد بكامله .

إن التراب والغبار والدخان الناتجة عن رمايات المدفعية ، تحد من حقل الرؤية في الدبابة ؛ ولكن هذا التحديد غير ضار ولا معيق . وبالإمكان التعلم منذ أيام السلم التعامل مع هذه العوامل والتغلب عليها وتستطيع الدبابات المسير بالبوصلة حتى أثناء الليل وفي الضباب ، وأثناء الهجمات التي تعتمد على نجاح الدبابات ؛ لم تكن المشاة هي (سيدة الحسم) بل كان السلاح المدرع سيدها .

النار

لم يكن التصفيح ولا الحركة إلا قسماً من المميزات القتالية للسلاح المدرع . وتبقى النار هي الميزة الأولى لهذا السلاح ؛ ويمكن

إجراء الرمي أثناء التوقف أو أثناء الحركة . ويتم في الحالتين التسديد بالنظر . فإذا ما جرى الرمي أثناء التوقف على أهداف محددة بالتسديد المباشر وبعناد بصري جيد وعلى مسافة تتيح استخدام الأسلحة ؛ فيمكن الوصول إلى عمل تدميري بأقصر مدة ممكنة وباستهلاك محدود للذخائر . أما أثناء المسير ؛ فيصعب على رامي الدبابة اكتشاف الأهداف ؛ لأن صعوبات المراقبة تعترضه ؛ ولكن يسهل من جهة أخرى اكتشاف هذه الأهداف بسبب ارتفاع السلاح عن سطح الأرض ؛ لا سيما في الأراضي المغطاة بالنبات .

لقد انتقد الجميع ارتفاع الدبابات لأنها تشكل هدفاً جيداً أمام دفاع الخصم . غير أن هذا الارتفاع ضروري لرامي الدبابة . وإذا توجب الرمي أثناء المسير ، تصبح إصابة الهدف جيدة على المسافات القصيرة ، وتتناقص الدقة في الإصابات نسبياً مع زيادة بعد الهدف ؛ ومع زيادة سرعة الدبابة ؛ وكذلك زيادة تعرجات الأرض .

تتمتع الدبابة على كل حال بالقدرة على نقل نيرانها هجومياً إلى العدو حتى لو لم تسكت جميع أسلحة الدفاع . وليس هناك من يشك بدقة رمي الأسلحة الثابتة إذا ما قورنت بالأسلحة المتحركة ؛ إلا أنه باستطاعة الدبابات الوصول إلى ذلك باستخدام طريقتي الرمي : الثابتة والمتحركة .

يقول المثل الشائع : « النصر هو وليد الحركة » ، غير أن هذه الحركة كانت محدودة في أنظار الكثيرين ؛ بحيث أنه يجب عدم استخدام الدبابات في الهجوم إلا من أجل الإفادة من رمايات التمهيد - التحضير - والتي تسبق الهجوم لتدمير خط المقاومة للمشاة

المعادية وإسكات المدفعية المتدرجة في العمق . وقد رفض (غودريان) الأخذ بوجهة النظر هذه والتي اعتبرت أن الدبابة هي آلية مشاة فقط ، أي بمعنى آخر سلاح مدرّع يقتصر عمله على التعاون الوثيق مع المشاة للتقدم بصورة بطيئة تتوافق وتحرك المشاة . وقال غودريان : « ليس بالمستطاع الاعتماد على وسائط استطلاع المشاة التي كانت تستمر أسابيعاً أو أشهراً . كما أنه ليس من الضروري الاعتماد على المدفعية التي تستهلك كميات مذهلة من الذخائر . إن ما نريده هو شل العدو في عمق جهازه الدفاعي لفترة محدودة . وتحتوي دبابتنا عدداً محدداً من الطلقات ويعني ذلك أننا سوف لا نجري قط (رمايات مدفعية منتظمة) ولا (تكثيف مدفعية قوية) ، وإنما علينا أن نعتقد العقيدة المعاكسة وهي الاعتماد على الطلقة المفردة الدقيقة بواسطة التسديد المباشر ؛ متأكدين من إصابة الهدف . لقد علمتنا تجربة سني الحرب أن أقوى مدفعية في العالم لا تستطيع إجراء الرمايات لمدة أسابيع ؛ وأنها لا تستطيع حرمان المشاة من تحقيق النصر ، في حين برهنت تجربة الحرب أن الدبابات قادرة على تحقيق نجاح كبير ومتطور بهجوم سريع وهي منتشرة بالطول - الجبهة - وبالعمق ؛ وموجهة في آن واحد ضد نقاط الدفاع المختلفة .

إن نجاحاً كهذا يؤثر في مجموع الجبهة ؛ أكثر من النجاحات المحدودة التي تم إنجازها في الحرب العالمية الأولى . فإذا ما توافر للهجوم كثافة عالية من الدبابات التي تتقدم على جبهة واسعة وبعمق كبير ، فإن رماياتها الدقيقة متوفرة من استهلاك الذخائر ؛ وستمكن من فتح ثغرة عميقة في التنظيم الدفاعي للعدو وذلك

بتدمير الأهداف التي يمكن اكتشافها ، وسيساعد ذلك القوات الاحتياطية على التقدم بسرعة عبر الثغرة . ولكن يجب أن تكون هذه القوات الاحتياطية من القوات المدرعة أيضاً ؛ والآلية - الميكانيكية - . لأننا لا نعرف لبقية القوات والأسلحة بامتلاك القدرة الهجومية المميزة بالحركة والسرعة والتي يحتاجها الهجوم وتحتاجها المطاردة واستثمار النجاح . لذلك ، فالسلاح المدرع ليس مجرد وسيلة إضافية لانتزاع النصر ، أو سلاحاً لمساعدة المشاة في الحركة لمجابهة بعض المواقف الدقيقة وبالتعاون مع بقية الأسلحة ، لأنها إذا بقيت كذلك ؛ وجب التمسك بحلول سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ القديمة ، مما يؤدي بالتالي إلى الدخول في طريق مسدود وهو طريق حرب الخنادق ، فتبدد كل الآمال في انتزاع نصر سريع وحاسم » .

لقد كانت الدبابة هي السلاح الافضل الذي اقترح مجال الحرب . وقد اصطدم غودريان بخصوم هذا السلاح الذين تمسكوا بمزاعمهم عما يحدث من تطورات مضادة في انكلترا وفرنسا من حيث زيادة دقة الأسلحة من مختلف العيارات ؛ وقال : « إن المحركات المحمية بالتصفيح تتيح نقل المدافع إلى صفوف العدو ؛ مما يضعف من قيمة تحضيرات المدفعية ؛ فإذا ما أمكن تنفيذ الشروط الرئيسية التحضيرية ، وهي اختيار الأرض المناسبة وتحقيق المباغته وزج الدبابات بكثافة ، فإنه بالمستطاع التغلب على كافة العقبات » .

وقال غودريان : « نريد انتزاع النصر بفضل عمل الأسلحة التي تندفع بسرعة في خطوط الخصم . وبفضل الرمي ذي التسديد

المباشر لأسلحتنا المتحركة والمحمية بالدروع » .

لقد قيل : « بأن المحرك ليس سلاحاً جديداً ؛ ولكنه ينقل بشكل جديد أسلحة قديمة » .

إن السلاح المدرع هو سلاح جديد في مجال الحرب البرية ، شأنه في ذلك شأن المحرك الذي ساعد على اختراع الغواصة ، وشأن المحرك الذي ساعد على صناعة الطائرة ؛ وأوجد بالتالي (سلاح الجو) . فإذا ما نجح هذا السلاح الجديد - المدرع - في الاضطلاع بدوره في الحرب البرية ؛ فإن على بقية الأسلحة التكيف مع سرعة المدرعات وتوقيتها وقدرتها على العمل . والمطلوب بالتالي هو أن تصبح الأسلحة المساعدة والضرورية لاستثمار نجاح المدرعات - المدفعية والمشاة والمهندسين وسواها - ذات قدرة حركية معادلة لقدرة المدرعات ، وأن تكون تابعة للمدرعات منذ أيام السلم من أجل انتزاع النصر الحاسم .

جرت مناورات كبرى للجيش البري الألماني في نهاية فصل الخريف من سنة ١٩٣٧ ؛ وحضرها هتلر ورافقه عدد كبير من الضيوف الأجانب في الأيام الأخيرة من المناورة - وبينهم موسوليني والمارشال الانكليزي سيرسيريل دفريل والمارشال الإيطالي بادوليو - واشترك في هذه المناورات لواء مدرّع ولواء دبابات . وكانت الدبابات من طراز (١) إلا أن منظر هجومها كان رائعاً .

وعاش غودريان أحلى لحظات انتصاره . لقد أصبح السلاح المدرّع حقيقة واقعة ، وانتهى العمل من تشكيل ثلاث فرق مدرعة . لقد انطلق هذا السلاح ؛ ولم يعد هناك من يستطيع إيقاف تطوره .

وهكذا ارتبط ظهور السلاح المدرّع الألماني باسم (غودريان) لا في مجال تنظيمه وتسليحه فقط ، وإنما أيضاً في مجال استخدامه وطرائق عمله (التكتيكية وعلى مستوى العمليات ونهاية بالنتائج وتحقيق الأهداف الاستراتيجية) .

ولقد كانت هناك تطورات مماثلة تسير سيراً حثيثاً في بقية دول العالم (الاتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا) . غير أن ملامح الحرب الحديثة في إطار (المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة) لم تكن واضحة كل الوضوح بقدر ما كانت واضحة في ذهن (غودريان) . وكان لا بد لهذا الوضوح من أن يرسم ملامحه على أرض المعركة الحقيقية .

٣ - التجربة الأولى في الحرب

كان غودريان في طريقه لحضور اجتماع دعا إليه هتلر ؛ وذلك في صباح يوم ٤ شباط - فبراير - ١٩٣٨ . وبوغت اثناء الطريق وهو يطالع صحيفة ألمانية عندما قرأ خبر ترفيعه إلى رتبة جنرال فرقة مع تعيينه قائداً للفيلق السادس عشر ؛ وكان خبراً مفرحاً ؛ غير أن هذه الفرحة ما لبثت أن تحولت إلى وجوم وذهول ؛ فقد قرأ في الصفحة ذاتها خبر إحالة عدد كبير من قادة الجيش على التقاعد (ومنهم وزير الدفاع فون بلومبرغ وقائد الجيش البري فون فريتش والجنرال لوتز وسواهم من كبار القادة) . وكان غودريان يعتبر أنهم هم أصالة الجيش الألماني والذين حافظوا على تقاليده وعملوا على تطويره . ولم يقدم هتلر في الاجتماع أي تفسير - سوى الانحراف الخلقي لبعضهم ؛ ولما كانت الثقة بهم في وسط الجيش الألماني هي ثقة

مطلقة ؛ فما من أحد استطاع تصديق ما قاله هتلر ؛ لكن أحداً لم يتمكن من الاعتراض أو الاحتجاج ؛ بسبب عدم توافر أدلة للدفاع عنهم . وعلى كل حال ؛ فقد أدت إقالة بلومبرغ إلى تسلّم الفوهرر لسلطات وزير الدفاع وصلاحياته . فيما أصبح (ويليام كيتل)^(١) رئيساً لقيادة الجيش البري العليا ؛ وكلف بممارسة عمل وزير الدفاع فيما لا يعيق قيادة مختلف أسلحة الجيش البري .

بينما كان - غودريان - يمارس قيادته ؛ تلقى أمراً بالحضور إلى مكتب رئيس هيئة الأركان في الساعة ١٦,٠٠ من يوم ١٠ آذار - مارس - ١٩٣٨ . وهناك علم أن الفوهرر قد اتخذ قراره بضم النمسا إلى الرايخ ضمّاً عسكرياً .

وعاد غودريان إلى قيادة فيلقه - السادس عشر - وأخذ في وضع الترتيبات للتحرك المحتمل ؛ وفي الساعة ٢٠,٠٠ من مساء اليوم ذاته تم استدعاؤه لمقابلة رئيس هيئة الأركان مرة ثانية حيث تلقى مهمته : « يتحرك الفيلق ١٦ ومعه فرقة البانزر الثانية واللواء - أدولف هتلر - نحو الحدود النمساوية ، على أن تحشد فرقة البانزر الثانية ولواء أدولف هتلر قرب مدينة باسو » . ورجع غودريان إلى قيادة فيلقه وأصدر أوامره باستنفار القوات - هاتفياً - .

(١) ويليام كيتل : (KIETEL , WILHELM) مارشال ألماني ؛ أصبح رئيساً لإدارة وزارة الدفاع سنة ١٩٣٥ حتى شباط - فبراير - سنة ١٩٣٨ ، حيث عين رئيساً أعلى لقيادة الجيش البري ؛ وأصبح المستشار العسكري الخاص لهتلر ؛ ومعه جودل الذي يليه في القيادة . وكيكل هو الذي وقع على وثيقة استسلام ألمانيا دون قيد ولا شرط في ٩ أيار - مايو - ١٩٤٥ . ثم أحيل إلى محاكمة نورمبرغ ؛ وحكم عليه بالإعدام . ونفذ الحكم في نورمبرغ يوم ١٦ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٦ .

ولما كان قادة وضباط هيئة أركان فرقة البانزر الثانية يقومون بمهمة دراسية في مدينة (تريف) في وادي الموزل ، فقد تم اتخاذ الإجراءات لنقلهم بالسيارات ، وأمكن تنفيذ التحرك في موعده بدقة ، وكانت المسافة بين برلين وفيينا ٩٦٢ كيلومتراً ، في حين كانت المسافة بين منطقة وورزبورغ - حيث تتمركز فرقة البانزر الثانية - وبين مدينة باسو - حيث منطقة الحشد - زهاء ٤٠٠ كيلومتراً ، أما المسافة بين باسو وفيينا فلم تكن تتجاوز ٢٨٠ كيلومتراً .

كان غودريان يرى بأن عملية ضم النمسا إلى ألمانيا هي استجابة طبيعية لرغبة الشعب الجرمانى الواحد في الإقليمين . ولهذا فقد اقترح على القيادة السماح له بتزيين دباباته بالأعلام وأغصان الأشجار الخضراء ؛ رمزاً للسلام والمحبة ؛ وحتى لا يفسر دخول الدبابات الألمانية إلى النمسا بأنه عملية احتلال بالقوة . ووافقت القيادة الألمانية فوراً على اقتراح غودريان الذي لم يلبث ان تحرك من باسو في الساعة الثامنة من صباح يوم ١٢ آذار - مارس .

ولما لم يكن لدى قائد فرقة البانزر الثانية خرائط للعمليات ، فقد اضطر للاستعانة بالخرائط السياحية . ولقد جابهت القوات المدرعة صعوبات تموينية ؛ بسبب التحرك السري والمباغت ، وبسبب عدم التنظيم المبكر لقوافل الإمداد والتموين . وبالرغم من ذلك كله ، فقد اجتازت القوات المدرعة الحدود في الوقت المحدد ، وقام النمساويون من جانبهم برفع حواجز الحدود ، واستقبلوا القوات الألمانية بحب وحماسة لا وصف لها .

ووصل (غودريان) مدينة (لينز) بعد الظهر حيث جرى له

استقبال من قبل السلطات المحلية النمساوية . وبعد تناول طعام الغداء ، قام غودريان باتخاذ الترتيبات الأمنية لاستقبال هتلر الذي وصل إلى المدينة في الساعة الخامسة مساءً ؛ ودخلها بحفاوة مذهلة ، وألقى خطاباً في شرفة دار الحكومة . وبعد ذلك ؛ استأذنه غودريان في متابعة التقدم نحو العاصمة (فيينا) . فأذن له هتلر . وغادر غودريان المدينة في الساعة ٢١,٠٠ ، حيث جابهته عاصفة ثلجية ، غير أنه تمكن من الوصول إلى فيينا على رأس قواته في الساعة الواحدة من صباح يوم ١٣ آذار - مارس - ١٩٣٨ . وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخراً ؛ وعلى الرغم أيضاً من سوء الأحوال الجوية ؛ فقد ذهل غودريان إذ رأى أن الشوارع لا تزال مكتظة بالسكان الذين استمرت مسيراتهم - بالمشاعل - طوال الليل . وبعد استراحة قصيرة ؛ توجه غودريان إلى مقر قيادة الجيش النمساوي ، حيث استقبله القادة النمساويون هناك بالحفاوة البالغة . واتخذت الترتيبات لإجراء عرض كبير حدد مواعده يوم ١٥ آذار - مارس - احتفالاً بهذه المناسبة التاريخية . وقد تقدمت تشكيلات من الجيش النمساوي الفيديرالي القوات المشتركة في العرض ، وتبعتها وحدات من جيش الرايخ الألماني ؛ ثم تبعها وحدات أخرى من الجيش النمساوي . وجرى العرض وسط أجواء حماسية مثيرة .

لقد قطعت فرقة البانزر الثانية في تحركها إلى فيينا مسافة ٧٠٠ كم ، بينما سار اللواء أدولف هتلر - الميكانيكي - مسافة ألف كيلومتر تقريباً ، وقد تم تنفيذ ذلك خلال فترة ٤٨ ساعة . ولم يحدث خلال التحرك أي اشتباك أو توقف ، إلا أن هذا المسير قد

أبرز مجموعة من النقاط الهامة ؛ مثل ضرورة اتخاذ تدابير مسبقة لتنظيم التحرك ، ومثل ضرورة تأمين الإمداد بالوقود والذخائر وتنظيم عملية الإمداد بشكل دقيق . وكذلك أيضاً ضرورة تنظيم الصيانة للدبابات وإجراء الإصلاحات الضرورية بواسطة خدمات فنية تتحرك مع القوات . ولقد كان هذا التحرك بمثابة تجربة ناجحة ؛ فقد كانت الأعطال أقل من المتوقع ؛ وإفادة قادة التشكيلات الكبرى كثيرة من هذه التجربة لقيادة تشكيلات قتالية كبرى في ظروف القتال .

عاد غودريان إلى برلين في شهر نيسان - أبريل - ١٩٣٨ ومعه الفرقة الخاصة ؛ وهيئة أركان الفيلق السادس عشر ؛ وشرع على الفور بإعادة تنظيم قواته وتدريبها على ضوء الدروس المستخلصة من تجربة المسير إلى فيينا . وأمضى فصل الصيف في تفقد وحدات الفيلق وتفتيشها ؛ فأتيحت له بذلك فرصة التعرف على الوحدات وقادتها . وكان يتابع خلال ذلك نشاط هتلر وجهود القيادة لاستعادة (إقليم السوديت)^(١) بطريقة سلمية ؛ غير أن تشيكوسلوفاكيا رفضت التنازل عن هذا الإقليم . وظهر احتمال الحرب ؛ وتوتر الجو . واتخذ غودريان الترتيبات الضرورية للتحرك ؛ وانتقل مع هيئة أركان فيلقه إلى (بلون) يوم ٢ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٣٨ ،

(١) السوديت : (SUDETES) إقليم جبلي في تشيكوسلوفاكيا ؛ تبلغ مساحته (٢٨٩٧٠) كيلومتراً مربعاً ما بين إقليمي بوهيميا وسيليزيا ويمتد من الكاربات حتى نهر ألبا على طول مائتي كيلومتراً . وهو إقليم جميل بغاباته وغني بثروته الباطنية . ومواطني الإقليم من الجرمان ؛ ولهذا ضمته ألمانيا إليها (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ثم أعيد إلى تشيكوسلوفاكيا ؛ مما تسبب في حركة هجرة واسعة ؛ وتغيير ديموغرافي - سكاني - في تكوين مواطني الإقليم .

حيث انضمت إليه فرقة البانزر الأولى ؛ وفرقة المشاة الآلية للعمل تحت قيادة الفيلق السادس عشر .

وقد نظم غودريان عملية احتلال (السوديت) على شكل ثلاث مراحل . وقد رافق هتلر غودريان خلال اليومين الأولين من التحرك ، حيث بدأت الفرقة الأولى للبانزر تحركها من (شام) إلى (ابنستوك) في إقليم الساكس - أي قطعت مسافة ٢٧٣ كيلومتراً - ثم انضمت إليها فرقة المشاة الآلية ١٣ في ليلتي ٣٠ أيلول - سبتمبر - و ١ تشرين الأول - أكتوبر - وبعد ذلك قامت بالمسير من ضواحي كرافنوهير نحو الشمال استعداداً للدخول إلى إيجرلاند ؛ بدون قتال ، وكان مسيراً رائعاً خلال يومي ١ و ٢ تشرين الأول - أكتوبر - ثم توقف غودريان على خط الحدود قرب آرش صباح يوم ٣ تشرين الأول - أكتوبر - بانتظار وصول هتلر . ولما وصل ؛ تناول طعام الإفطار مع غودريان فيما كانت الوحدات المدرعة تتوغل في المنطقة .

واستقبل المواطنون في (إيجر) الوحدات الألمانية بحماسة مثيرة ، وحيث الجماهير هتلر . وفي اليوم التالي (٤ تشرين الأول - أكتوبر) حضر هتلر إلى عربة هيئة أركان غودريان ؛ وتناول معه طعام الغذاء - طعام الجنود - . وكانت الفرحة كبرى تغمر الجميع لعدم حدوث اشتباك مع الوحدات التشيكية . وتقدم غودريان إلى (كارلسباد) واتخذ التدابير لاستقبال هتلر ؛ وتنظيم سرايا حرس الشرف ، حيث تم استقبال هتلر بحرارة - كانت النساء والفتيات المرتديات الزي التقليدي الجميل تبكين فرحاً ، وقد جثون على ركبهن ؛ وكانت المظاهر العامة كافية لإبراز ما عاثاه الألمان من سكان السوديت من البؤس والفقر والبطالة والاضطهاد ؛ وبدأت

المطابخ المتنقلة عملها على الفور لتقديم الطعام للفقراء ؛ إلى أن استطاع الفرع الاجتماعي القيام بعمله .

تابعت القوات الألمانية عملها لانتهاء احتلال إقليم (السودان) بين ٧ و ١٠ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٣٨ ، وذهب غودريان إلى (كادن) و (ساز) و (تبليدز شينو) ورأى بعينه كيف كانت الجماهير تستقبل الجنود الألمان استقبالا رائعا ومؤثرا ، وكيف كانت الزهور تنهال على الدبابات والآليات الألمانية . ونزل (غودريان) في قصر (كورهيوسي) في مدينة (تبليدز) حيث استقبله الأمير كلاري والأميرة والدرنجن بحفاوة بالغة ؛ وتعرف هناك إلى عدد من النبلاء الألمان في بوهيميا .

وتعززت مكانة هتلر بسبب النجاحات التي حققها في ضم (النمسا) ثم (السودان) إلى الرايخ بدون حرب ؛ وأصبح باستطاعته إجراء التغييرات التي يريدونها في قيادات القوات المسلحة ، ولكن سرعان ما عاد التوتر في الظهور .

ففي نهاية تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٣٨ ، أقيم مؤتمر للحزب في (الويمر) لافتتاح فندق الفيل . وحضر هتلر الحفل ، وتلقى غودريان دعوة للحضور لأنه كان قائداً للفيلق السادس عشر ؛ ورئيساً للوحدات المتمركزة في الويمر . وافتتح المؤتمر بحفل عام جرى في القصر ، وخطب هتلر في الهواء الطلق أمام جمهور غفير ، وتهجم في خطابه على انكلترا وعلى تشرشل وإيدن بصورة خاصة . وبعد الخطاب أقيمت حفلة شاي في بهو صالون الفندق ، واستدعي غودريان للجلوس إلى مائدة هتلر ، وأتيحت الفرصة ليتحدث غودريان إلى هتلر لمدة ساعتين كاملتين . ووجه

غودريان - في مجرى الحديث - سؤالاً إلى هتلر بسبب هجومه العنيف على انكلترا . فأوضح هتلر بأن السبب الذي دفعه إلى ذلك هو موقف المفاوضين الإنكليز أثناء مؤتمر كودسبرغ ، وتصرفهم عن عمد بأسلوب بعيد عن اللياقة مما حمله على القول للسفير البريطاني في برلين (هندرسون) بأنه إذا ما زاره ، في المرة القادمة وفد بهذا الزي غير اللائق : « فانه سيطلب من السفير الألماني في لندن بمقابلة الملك بكنزة لا أكمام لها » ، وطلب إليه نقل ذلك إلى الحكومة البريطانية .

وأدرك غودريان من خلال حديثه مع الفوهرر ، بأن الفوهرر قد أصيب بخيبة أمل كبرى من موقف بريطانيا ؛ فقد كان يأمل صادقاً في التعاون معها تعاوناً ثابتاً ومستمراً ؛ وأن تظهر بريطانيا تقديراً لموقف هتلر في تحقيق طموحات الشعب الألماني ؛ وأن تعقد صلحاً معه . فلما خاب أمله ؛ كان رد فعله عنيفاً تجاهها .

قدم مسرح (الويمر) تمثيلية (عايدة) في ليلة انعقاد المؤتمر ، وحضر غودريان الحفل في مقصورة الفوهرر ، كما دعي إلى مائدته أثناء العشاء . وبعدها عاد غودريان إلى برلين ؛ حيث تم استدعاؤه لمقابلة القائد العام للجيش البري ؛ وأثناء المقابلة ؛ أعلمه القائد العام باستحداث منصب (مفتش الوحدات السريعة) . وقرأ غودريان مسودة الأمر التي كانت مكتوبة بخط يد القائد العام ؛ والمتعلقة بالواجبات المنوطة بهذا المنصب وهي « مسؤولية التفتيش ومسؤولية عرض التقرير السنوي » . وهي مسؤولية تحرمه من أية صلاحية لوضع أنظمة الخدمة أو تعميمها ، أو التأثير على تنظيم القوات المدرعة وتشكيلها فرفض المنصب . وبعد ذلك جرت محاولة لإقناعه بقبول المنصب الذي تم استحداثه بأمر الفوهرر شخصياً من

أجل قيادة الوحدات الآلية والفرسان ، ولكن غودريان أصر على موقفه ، وكرر رفضه لقبول المنصب الجديد .

لم تمضِ أكثر من أيام قليلة حتى تلقى غودريان إعلاماً بالتقدم لمقابلة الفوهرر . وعندما قابله سأله هتلر عن سبب رفضه للمنصب الذي عرض عليه ، وكان هتلر وحده ؛ مما أتاح لغودريان فرصة التحدث بحرية ؛ فشرح له أسلوب التسلسل العسكري في القيادة العامة للجيش ؛ وأن المنصب الجديد يحرمه مما يتمتع به من حرية في العمل على رأس فيلقه الذي يضم ثلاث ألوية دبابات - بانزر - ، مما يساعده على تطوير السلاح المدرع وفقاً لما هو مطلوب ، في حين ان انتقاله إلى المنصب الجديد ، سيضعه في مواجهة القيادة التي كانت ترغب في توزيع الدبابات على المشاة ؛ بينما برهنت التجارب السابقة أن المردود الأقصى للسلاح المدرع لا يتحقق إلا باستخدامه في كتل ضخمة . وبالإضافة إلى ذلك ؛ فإن المنصب الجديد يضم قيادة الوحدات الآلية والفرسان ؛ ونظراً لما هو معروف من انحياز غودريان للسلاح الآلي ؛ فسيجد ضباط الفرسان في شخص غودريان خصماً لهم ؛ وسيعملون على مقاومته . وأنهى غودريان حديثه إلى هتلر بقوله : « إن السلطات الممنوحة لي لن تسمح لي بالتغلب على هذه المقاومات ، وستقوم اعتراضات عديدة ومناقشات دائمة ؛ لذلك أرجو إبقائي في منصبي الحالي » .

ولقد تحدث غودريان زهاء عشرين دقيقة وهتلر صامت يستمع إليه بانتباه ؛ ولم يحاول مقاطعته . ولكنه ختم اللقاء بقوله : « لا بد من إنشاء هذا المنصب ؛ لأن الجيش يحتاج إلى قيادة مشتركة لتحويل جميع الوحدات الآلية والفرسان . وإذا أدت المقاومات التي

ذكرتها إلى شل مهام المنصب الجديد ؛ فما عليك إلا أن تعلمني مباشرة ؛ وعندها سندخل التجديدات المطلوبة . إنني أصدر إليك أمراً عسكرياً بقبول هذا المنصب » . ولم يبق على غودريان إلا تنفيذ الأمر . وصدر مرسوم بترفيعه إلى رتبة جنرال قائد فيلق في الوحدات المدرعة ، وعين مفتشاً (للوحدات السريعة) ، وانتقل إلى مبنى وزارة الدفاع .

ولقد اصطدم غودريان بما كان يتوقعه من العقبات والصعوبات ؛ وفشلت مشاريعه لتطوير سلاح الفرسان . غير أن تسارع الأحداث لم يلبث أن فرض وجوده بقوة لمصلحة التطوير . ففي شهر آذار - مارس - ١٩٣٩ ؛ انضمت (بوهيميا - مورافيا)^(١) إلى الرايخ . ووضعت نفسها تحت حمايته . فنشأت عن ذلك حالة توتر خطيرة في مجال السياسة الخارجية . وكان هتلر قد اتخذ وحده ، وبمبادأته هذا القرار .

وفي صبيحة اليوم التالي للتدخل ؛ تم استدعاء غودريان إلى مكتب القائد العام للجيش ؛ حيث تم إعلامه بمسيرة الأحداث الجارية ، وعهد إليه بمهمة التوجه إلى (براغ) لجمع الدروس المستخلصة من قبل الوحدات المدرعة والآلية التي نفذت على التو

(١) بوهيميا (BOHEME) إقليم من أهم أقاليم تشيكوسلوفاكيا . وهو عبارة عن مسطح غرانيقي تحيط به الجبال المرتفعة (جبال العمالقة والجبال المعدنية وغابات بوهيميا) ويخترقه نهر اللاب (LABE) أو (ELBE) وروافده مثل نهر فيتافا VITAVA (أو MOLDAU) ونهر أوهر OHRE (أو EGER) وبراغ هي عاصمة إقليم بوهيميا . أما إقليم مورافيا (MORAVIE) فهو يلي إقليم بوهيميا ويخترقه نهر مورافا (MORAVA) وعاصمته برنو BRNO (أو BRUNN) .

وفي فصل الشتاء ، ولفحص العتاد المدرع التشيكي أيضاً .

وانطلق غودريان لتنفيذ مهمته ؛ وزار مختلف الوحدات ؛ وتفحص العتاد المدرع التشيكي ؛ الذي أفادت منه ألمانيا في معاركها التالية على جبهة الغرب ؛ وذلك قبل أن يحل محله العتاد الثقيل المصنوع في ألمانيا وذلك خلال الحرب على الجبهة الروسية ، وتبع ذلك إنضمام - أو ضم - (منطقة ميمل)^(١) إلى الرايخ .

ووصلت ألمانيا إلى أوج قوتها بضم كل المناطق الألمانية دون حرب أو قتال . ولهذا لم يكن غريباً أن يحتفل هتلر في يوم ٢٠ نيسان - أبريل - ١٩٣٩ بعيد ميلاده الخمسين بإقامة عرض عسكري كبير ؛ حيث جمعت كافة أعلام وحدات الجيش في كتيبة واحدة أطلق عليها اسم (كتيبة الأعلام - أو الرايات) .

ولم يكن لغودريان من مهمة في صيف سنة ١٩٣٩ إلا التحضير للمناورات الكبرى للوحدات الآلية - الميكانيكية - على مستوى الجيش . وقد تقرر إجراؤها في الخريف في سلسلة جبال (أرز جبرغ) باتجاه منطقة السويديت . ولم يكن غودريان يعرف أن جهوده لتحضير هذه المناورات ستذهب أدراج الرياح . فقد توجه إلى معسكر (غروسبورن - في بوميرانيا) يوم ٢٢ آب - أغسطس ١٩٣٩ لإقامة إنشاءات ميدانية على امتداد الحدود

(١) ميمل : (MEMEL) وبالليتوانية : (KLAIPEDA) مدينة في إقليم ليتوانيا (LITUANIE) في الإتحاد السوفييتي حالياً ، ولها خليج كبير على بحر البلطيق . كانت تابعة لألمانيا حتى سنة ١٩١٩ ثم حكمتها فرنسا حتى سنة ١٩٢٣ وأعادت بعدئذ إلى ليتوانيا ؛ ثم ضمتها ألمانيا إليها سنة ١٩٣٩ . ثم أعيدت إلى ليتوانيا بعد هزيمة ألمانيا .

الألمانية - البولونية ؛ لمجابهة أي هجوم قد تقوم به القوات البولونية على ألمانيا . واشترك في العمل مع هيئة أركان الفيلق التاسع عشر الذي كان قد شكل حديثاً ، والذي أطلق على هيئة أركانه اسم (هيئة أركان تحصينات بوميرانيا) . وفي اليوم ذاته ألقى هتلر خطاباً (في أوبرا سالتزبرغ) . وتعاضم خطر الحرب مع (بولونيا)^(١) . وتلقى غودريان أمراً للتقدم بين مدينة زمبولنو نحو اليمين وكونتز نحو اليسار واجتياز براغ والوصول بسرعة إلى نهر الفستول لقطع انسحاب الوحدات البولونية الموجودة في (الممر البولوني) وتدميرها ، على أن تحدد له المهمة التالية في أمر لاحق .

كان الفيلق التاسع عشر الذي أسندت قيادته إلى غودريان يضم فرقة البانزر الثالثة ؛ وفرقتي المشاة الآليتين ٢ و ٢٠ ، ودعمت

(١) معركة بولونيا (أيلول - تشرين الأول) أو (سبتمبر - أكتوبر - ١٩٣٩) وبدأت المعركة بقصف استراتيجي قامت به القوات الجوية الألمانية في فجر اليوم الأول من أيلول - سبتمبر . وكانت القوات البولونية تضم ٨٠٠ ألف جندي بقيادة المارشال إدوار سميغلي ريدز EDWARD - SMIGLY - RYDZ . بينما كانت قوات الغزو الألماني بقيادة الجنرال براوختش BRAUCHITSCH تضم مليون وربع المليون مقاتل ، نظموا في مجموعتي جيوش ؛ مجموعة جيوش الشمال بقيادة فون بوك ومجموعة جيوش الجنوب بقيادة فون رونشتد . ودعم الهجوم بمجموعة من ١٦٠٠ طائرة . وقد نجح الهجوم في تحقيق أهدافه بأسلوب حرب الصاعقة . وفي يوم ١٧ أيلول - سبتمبر - بدأت القوات الروسية باجتياح شرقي بولونيا . ولم تلبث وارسو أن سقطت في قبضة الألمان يوم ٢٧ أيلول - سبتمبر . وانتهت المقاومة البولونية يوم ٥ تشرين الأول - أكتوبر - بعد أن خسر البولونيون ٦٦ ألف قتيل و ٢٠٠ ألف جريح و ٧٠٠ ألف أسير . ومقابل ذلك خسر الألمان (١٠٥٠٠) قتيلاً و ٣٠٣٠٠ جريحاً و ٣٥٠٠ مفقوداً . وكانت الحرب البولونية هي الشرارة التي أشعلت نار الحرب العالمية الثانية .

فرقة البانزر الثالثة بمجموعة التدريب المدرعة ؛ وزودت بدبابات رقم ٢ ورقم ٣ - وكان عليه أن يتقدم وإلى يمينه فيلق (ستروس) وإلى يساره وحدات (كوبستس) باتجاه دانترايغ . وحدد صباح يوم ٢٦ آب - أغسطس - موعداً لبدء الهجوم .

وكان هتلر قد أمن العمل على الجبهة البولونية (بموجب معاهدة مولوتوف - روبينتروب)^(١) وكان يأمل أن يتمكن من تحييد الغرب (بريطانيا وفرنسا) عن طريق الاتصالات الدبلوماسية حتى يتم اجتياح بولونيا دون مقاومة ؛ ولهذا تم تأجيل موعد الهجوم المرة بعد المرة .

وأخيراً ؛ حدد الموعد النهائي للهجوم . وانطلق غودريان بفيلقه في الساعة ٥,٤٥ من فجر اليوم الأول من أيلول - سبتمبر - ١٩٣٩ . فاجتاز الحدود وسط ضباب كثيف . ولم تحدث اشتباكات عنيفة في بداية الأمر ؛ غير أن رمايات عشوائية من المدفعية الألمانية ؛ قذفت بسيارة غودريان إلى حفرة ، فانتقل إلى عربة مصفحة وجعلها بأجهزة الإتصال اللاسلكي لتكون عربة

(١) معاهدة مولوتوف - روبينتروب ؛ هي المعاهدة الروسية - الألمانية التي تم توقيعها يوم ٢٣ آب - أغسطس - ١٩٣٩ من قبل وزيري خارجية البلدين . وكان هدف ستالين هو كسب الوقت لإنهاء استعداد بلاده للحرب ؛ في حين كان هدف هتلر هو حرمان الغرب من التعاون مع روسيا ضده إذا ما اجتاحت قواته بولونيا . وقد تضمنت معاهدة مولوتوف - روبينتروب بنوداً سرية لتعديل الحدود الغربية ، ورسم حدود جديدة بين بولونيا وأوكرانيا السوفيتية . وتجدر الإشارة إلى أنه في يوم توقيع المعاهدة ذاته ؛ كان هناك وفد فرنسي - بريطاني في موسكو لعقد معاهدة (أمن جماعي) إلا أن الألمان كانوا هم الأقوى والأكثر فائدة للإتحاد السوفيتي . فتم عقد المعاهدة معهم .

قيادة . فكان أول فيلق يستخدم عربية قتال مصفحة لمرافقة قوات الدبابات وقيادتها .

وجرى الاشتباك الجدي الأول في (غروس - كلونيا) شمال (زمبلبورغ) حيث انكشف الضباب فجأة بينما كانت الدبابات تتقدم في الترتيب المنتشر ، اعترضتهم جبهة دفاعية بولونية ؛ أصابت مدافعها المضادة للدبابات أهدافها ؛ وقتل ضابط وصف ضابط وثمانية جنود .

كانت (غروس - كلونيا) من أملاك البارون هليرفون كايترنجن ؛ وهو من أجداد غودريان . وفيها دفن جده الذي كان يحمل اسم (غودريان) . وفيها ولد أيضاً والد غودريان القائد . وها هو الآن يصل إليها للمرة الأولى في حياته ، فيجد نفسه في المكان الذي يحبه أفراد أسرته جميعاً .

بعد أن بدّل (غودريان) عربته ، توجه إلى فرقة البانزر الثالثة والتي كانت تعمل على محور الجهد الرئيسي للفيلق ؛ وقد وصلت مقدمتها إلى مدينة (براه) في حين كانت القوة الرئيسية للفرقة قد انتشرت بين (برورز - وكلين كلونيا) وأعطائها قائد الفرقة استراحة ؛ وذهب لحضور اجتماع مع قائد مجموعة الجيوش - فون بوك - . وقام غودريان بدراسة الموقف مع الضباط الموجودين ؛ فأظهروا له رغبته في تنفيذ أمر التوقف ؛ وعدم عبور نهر (براه) في هذا اليوم ، وذلك خلافاً للأوامر الأساسية الصادرة عن قيادة الفيلق بعبور النهر في اليوم الأول للهجوم ، مما أغضب غودريان الذي انسحب إلى بقعة منعزلة وهو يفكر فيما يجب عليه عمله . ولم يطل انتظاره ؛ فقد تقدم إليه ضابط شاب - اسمه الملازم فيليكس -

وقد غطى الدخان الأسود وجهه وذراعيه ؛ وقال له : « سيدي الجنرال ! . لقد وصلت على التّو من براه . يحتل العدو الضفة النهر بقوة ضعيفة ؛ ولقد أحرق البولونيون الجسر بالقرب من - همر موهل - ولكنني اطفأته بنفسني من دبّاتي ، ومن الممكن اجتياز الجسر ، ولقد فشل التقدم لسبب بسيط وهو عدم وجود من يتولى قيادته ؛ يجب أن تذهب بنفسك سيدي الجنرال » .

وسرعان ما تحرك غودريان بين العربات الألمانية والبولونية المعطلة ؛ عبر طريق رملي ضيق وصل به إلى - همر موهل - فشاهد هناك عدداً من ضباط هيئة الأركان وقد احتموا بظل سنديانة ضخمة ، على بعد مائة متر فقط من النهر ، وصاحوا به عندما رأوه : « الرمي شديد هنا أيها الجنرال » .

وكان الرمي غزيراً في الواقع ، ذلك لأن مدافع دبّابات الفوج السادس وبنادق فوج الرماة الثالث ؛ كانت تطلق قنابلها ورصاصها بأقصى استطاعتها ضد العدو الذي اختفى في خنادقه وراء الضفة المقابلة . وبذل غودريان جهده إلى أن تمكن من إيقاف النيران ؛ ثم أصدر أمره بتحديد قوة الجبهة البولونية وامتدادها ؛ ودفع بكتيبة راكبي الدراجات النارية الثالثة ؛ والتي لم تكن قد زجت بعد في القتال ؛ لعبور النهر بالزوارق المطاطية بعيداً عن المنطقة المضروبة بالنيران المعادية . وبعد أن عبرت هذه الكتيبة النهر ، أصدر غودريان أمره إلى الدبّابات بالهجوم على الجسر ، فتم بسرعة أسر سرية راكبي الدراجات البولونية التي كانت تدافع عنه ؛ واجتازت جميع الوحدات الموجودة الجسر إلى الضفة المقابلة ؛ فشكّلت رأس جسر .

وتلقت مجموعة الاستطلاع المدرعة الثالثة أمراً بالتوغل دون توقف عبر منطقة (توشولسكا) حتى (سويزي) القائمة على نهر الفستول ؛ والقيام بتحديد مكان تمركز القوات الرئيسة للبولونيين ، والقوات الاحتياطية المتوافرة لديهم والتي يحتمل لها أن تتدخل . وتمت عملية اجتياز النهر في الساعة ١٨,٠٠ . ووصلت فرقة البانزر الثالثة إلى (سويكانو) ليلاً . وعاد (غودريان) إلى مقر قيادته في (زهن) وقد حل الظلام ؛ وحقت وحداته المتقدمة هدف الهجوم لليوم الأول .

كانت الطريق الطويلة خالية كلها ؛ ولم يسمع غودريان أي طلقة نار بالقرب من مقر قيادته ؛ ولهذا فقد انتابته الدهشة عندما استوقفته دورية قبل وصوله إلى (زهن) ووجد بعض عناصر هيئة أركانه ؛ وهم يضعون خوذ الميدان ويربصون سلاحاً مضاداً للدبابات ؛ وسألهم عما دفعهم لما يعملون ؛ فأجابوه بأن الفرسان البولونيين يتقدمون ؛ ويمكن لهم أن يصلوا بين فترة وأخرى ؛ فهذا من مخاوفهم ، ومضى إلى عمله في مقر هيئة أركانه .

عرف (غودريان) من مطالعته للتقارير اليومية التي وصلت إلى مقر قيادته ؛ بأن وحدات فرقة المشاة الآلية الثانية قد توقفت أمام شبكة الأسلاك الشائكة لخط الدفاع البولوني . وأن قيادة الفرقة قد زجت أفواج المشاة الثلاثة جبهياً ولم تحتفظ بأي قوة احتياطية ، مما حملها على العمل ليلاً لسحب الفوج الأيسر ووضعها وراء الجناح الأيمن ليعمل في اليوم التالي وراء فرقة البانزر الثالثة من أجل القيام بعملية تطويق باتجاه توشولسكا .

قامت وحدات فرقة المشاة الآلية العشرين في الوقت ذاته

باحتلال مدينة (كونيتر) ولقيت بعض الصعوبة ؛ ولم تتمكن من اجتياز المدينة ؛ فتلقت أمراً بمتابعة هجومها .

ظهرت خلال الليل الحالة العصبية التي سببتها صدمة قتال اليوم الأول من الحرب . ففي منتصف الليل تقريباً ؛ أرسلت فرقة المشاة الآلية الثانية إعلماً بأنها ستضطر إلى الانسحاب أمام ضغط الفرسان البولونيين . وأذهلت المباغته (غودريان) للوهلة الأولى ؛ غير أنه لم يلبث أن سيطر على نفسه وقال لقائد الفرقة : « هل سمعت في الماضي أن الرماة البوميرانيين قد انسحبوا من أمام فرسان العدو ؟ » . ويظهر أن هذه الكلمات قد أيقظت بدورها قائد الفرقة من ذهوله فأجاب : « كلا ! وسأتمسك بمواقعي بالتأكيد » .

واتخذ غودريان قراره بالذهاب إلى هذه الفرقة في وقت مبكر من الصباح . وعندما وصل إلى هناك في الساعة الخامسة تقريباً وجد أن الاضطراب لا زال مهيمناً على هيئة أركان الفرقة ، فتولى بنفسه قيادة الفوج الذي كان قد تم سحبه ليلاً ؛ وقاده حتى ممر (كافيونكا) إلى الشمال من (غروس - كلونيا) وزجه للعمل على اتجاه (توشولسكا) . واستطاعت بذلك فرقة المشاة الآلية الثانية أن تتابع هجومها ؛ وأن تتجاوز صدمة الخوف الناجمة عن الاشتباك في أول معركة .

كانت مجموعة الاستطلاع لفرقة البانزر الثالثة قد وصلت ليلاً إلى نهر الفستول ؛ وتعرضت لخسائر فادحة بالضباط - قرب مزرعة (بولدنو) في ضواحي (سوسي) بسبب إهمال تدابير الحيلة والأمن . كما انقسمت قوات فرقة البانزر الثالثة إلى شطرين بسبب نهر (براه) ، وهاجمها البولونيون في الصباح على الضفة الشرقية من

النهر وهي على هذا الموقف من الاضطراب . ولهذا لم يتم الهجوم المضاد إلا ظهراً ؛ وعادت الفرقة إلى المسير لتخوض معارك الغابات . وقامت فرقة المشاة الثالثة والعشرون بالتحرك سريعاً وراء فرقة البانزر الثانية . وحقت فرقتا المشاة الآليتان نجاحاً كاملاً في منطقة (توشولسكا) .

زجت فرقة المشاة ٢٣ يوم ٣ أيلول - سبتمبر - بين فرقة البانزر الثالثة التي كانت قد وصلت إلى نهر الفستول ، وبين فرقة المشاة الآلية العشرين . وجرت معارك صعبة تخللتها مآزق حرجة ، غير أن زج الفرقة في المعركة أتاح الفرصة لتطويق القوات البولونية في المناطق المشجرة شمال (سوزي) وغرب (كروديادز) . وقد أظهر الفرسان البولونيون جهلهم بخصائص السلاح المدرع وميزاته ، فهاجموه بالسلاح الأبيض ، وتعرضوا بذلك لخسائر فادحة . كما استطاعت قوات غودريان المدرعة اللحاق بفوج مدفعية بولوني كان يسير نحو نهر الفستول ودمرته ، ولم تتمكن من فتح النار على قوات غودريان سوى قطعتان من المدفعية . وتعرض المشاة من البولونيين لخسائر جسيمة . وأمكن الاستيلاء على قسم من قوافل التموين البولونية والمعدات الهندسية التي تم تدميرها وهي تحاول الانسحاب .

أمكن تضيق دائرة الحصار على القوات البولونية المطوقة في يوم ٤ أيلول - سبتمبر - ووصلت معركة (الممر البولوني) إلى نهايتها . وقام غودريان بزيارة فرقة المشاة ٢٣ وفرقة البانزر الثالثة حيث التقى بابنه (كورت) هناك . وكم كان سروره عظيماً إذ لاحت له في الأفق أبراج بلدته (كولم - في شلمنو) والتي كانت تقع

على الضفة المقابلة لنهر الفستول .

ثم قام في يوم ٥ أيلول - سبتمبر - بزيارة لفرقة المشاة الآلية الثانية ، ثم فرقة المشاة الآلية العشرين ، ثم فرقة البانزر الثالثة التي وصلت في المساء إلى نهر الفستول ؛ وأكملت تطويق القوات البولونية من الشرق .

وهكذا أنهت قوات غودريان اختراق الممر البولوني من جهة إلى جهة أخرى ، وأصبحت وهي على استعداد لتنفيذ واجبات جديدة . ولكن ؛ وبينما كانت هذه القوات ؛ ومعها بقية القوات الألمانية ؛ تقوم بعملها الشاق ؛ اتخذ الموقف السياسي مساراً جديداً . فقد أعلنت إنكلترا الحرب على الرايخ الألماني ؛ وتبعتها فرنسا . فزال الأمل بسلم قريب ؛ وبدأت الحرب العالمية الثانية ؛ وكان من الواضح أنها ستدوم طويلاً ، وأدرك غودريان أنه يجب بذل كل الجهود لكسبها .

بوغت غودريان وهيئة أركان فيلقه بزيارة هتلر لهم يوم ٥ أيلول - سبتمبر - . فاستقبله غودريان ؛ وركب معه في عربته ؛ وسارا معاً على طريق الانسحاب نحو سوسي ، ومرا بحطام المدفعية البولونية المدمرة ؛ ووصلا إلى أول خطوط التطويق عند (كروديازد) ، وتوقفا قليلاً على مقربة من الجسر المدمر على نهر الفستول . وقال هتلر عندما شاهد حطام المدفعية البولونية المدمرة : « هذا عمل طائراتنا الشتوكا - بالتأكيد » . وأجابه غودريان : « كلا ! هذا عمل دباباتنا » . فأظهر هتلر تعجبه .

وجرى الحديث أثناء المسير عن تطور الأعمال القتالية في قطاع

- غودريان - وسأل هتلر عن الخسائر ؛ فأجابه غودريان :
« ١٥٠ قتيلًا و ٧٠٠ جريحاً في الفرق الأربعة التي اشتركت في
معركة الممر البولوني ». ودهش هتلر لهذه النتيجة ؛ وقارن بين هذه
الخسائر وبين خسائر فوج ليست خلال اليوم الأول من معركته في
الحرب العالمية الأولى ، حيث بلغت الخسائر يومها ألفي جندي بين
قتيل وجريح في فوج واحد .

وأفاد غودريان من هذه المقارنة ، فأكد أن قلة الخسائر إنما
يعود إلى فاعلية الدبابات وتأثيرها القوي وإلى طابع المعركة ضد عدو
شجاع وعنيد . فقد وفر عمل الدبابات كثيراً من الدماء
والتضحيات ؛ واكتسب سدنة الدبابات مزيداً من الثقة بعتادهم
المدرع بعدما حققوه من نصر في معركة الممر البولوني . وخسرت
القوات البولونية ٣ فرق مشاة ولواء فرسان وغنمت قوات غودريان
مئات المدافع ؛ وحصلت على آلاف الأسرى .

بينما كان هتلر وغودريان يقتربان من نهر الفستول ؛ ظهرت
على الأفق معالم مدينة . وسأل هتلر : « أليست هذه هي مدينة كولم
- شلمنو - ؟ » . وأجاب غودريان : « أجل ! ها هي كولم ؛ ولقد
استقبلتُك في شهر آذار - مارس - الماضي على أرض مسقط
رأسك ، واليوم أستقبلك على أرض وطني » . وظل هتلر يذكر هذه
الحادثة ، حتى بعد سنوات .

إنّ تجه الحديث بعدئذ نحو المسائل الفنية ؛ وأظهر هتلر رغبته في
معرفة المجالات التي أدت فيها الدبابات دورها بنجاح ؛ وما هي
نقاط الضعف التي تحتاج للمعالجة والتطوير . فقال غودريان بأنه من

الضروري الإسراع في زيادة انتاج الدبابات من نموذجي ٣ و ٤ وتزويد الوحدات المقاتلة في الجبهة بها .

أما فيما يتعلق بالصناعة المقبلة ، فقد رأى غودريان بأن السرعة الحالية هي سرعة كافية ؛ غير أنه من الضروري زيادة التصفيح لا سيما التصفيح الجبهي ؛ وزيادة مدى الأسلحة وقوة اختراقها ، أي زيادة طول سبطانات المدافع وأغلفة القنابل وحجم الحشوات المتفجرة ؛ ولا بد من القيام بالعمل ذاته في المدافع المضادة للدبابات .

ما إن توقف القتال في مدينة (سويس) حتى تشجعت الجماهير وخرجت من ملاجئها لتحية هتلر ، وفرشت أمامه الزهور ؛ وقامت بتزيين المدينة بالأعلام السوداء والبيضاء والحمراء . وأحدثت هذه الزيارة تأثيراً حسناً في الوحدات . ولقد انقطع هتلر خلال الحرب عن القيام بمثل هذه الزيارة إلى الجبهة - إلا نادراً - حتى أنه تخلى عنها مع الأسف في السنين الأخيرة ، مما جعله يفقد الاتصال بالجنود ، فحرم نفسه بذلك من معرفة بطولاتهم أو تحسس معاناتهم وآلامهم .

اجتازت العناصر المتقدمة للفرق نهر الفستول يوم ٦ أيلول - سبتمبر - وتبعتها هيئة أركان الفيلق حيث أقام غودريان مقر قيادة الفيلق في قصر الأمراء (دوهنا - فنكنستين) الجميل . وهو القصر الذي أهذاه فريدريك الكبير للأمير فون - فنكنستين - الذي كان وزيراً له . وقد أقام نابليون بونابرت فيه مرتين . كانت المرة الأولى سنة ١٨٠٧ عندما شن الحرب ضد البروسيين والروس في بروسيا الشرقية والأراضي الواقعة وراء نهر الفستول ؛ وذلك بعد أن اجتاز

منطقة توشولسكا الفقيرة ، حيث شاهد بناء القصر الفخم فصاح قائلاً : « وأخيراً وجدت قصراً » . واتخذ من هذا القصر مقراً لقيادته مرة ثانية قبل معركة روسيا سنة ١٨١٢ ؛ وعاش فيه بضعة أسابيع مع الأميرة الجميلة - فالفнка - . ولقد اختار غودريان الغرفة التي خصصت لنابليون من قبل . ولما كان الأمير دوهنا مريضاً في أحد مشافي برلين ؛ فإنه لم تتح لغودريان فرصة الالتقاء به وبالأميرة .

أنهت الفرق في فيلق غودريان اجتياز نهر الفستول في (ثيف) و (كيسيمارك) يوم ٨ أيلول - سبتمبر - . ثم تابعت الأحداث سراعاً . فتم استدعاء غودريان إلى القيادة العامة في (اللنستين) لتلقي أوامره الجديدة ، فغادر (فنكنستين) في الساعة ١٩,٣٠ من يوم ٨ أيلول - سبتمبر - . وقد وضع في اعتباره استثمار سرعة فرقه الآلية ، وذلك لمنع انسحاب القوات البولونية من فرصوفيا إلى الشرق ، وإقامة خط دفاعي جديد إلى الشرق من مدينة (بوغ) . ولهذا تقدم غودريان باقتراح لزج الفرقة المدرعة التي كانت تحت قيادته للعمل إلى الشرق من (بوغ) باتجاه (برست - ليتوفسك) مروراً بمدينة (بوزنا) . ووافقت القيادة على اقتراح غودريان . وتلقى التعليمات الضرورية لتنفيذها ، وعاد إلى (معسكر آريس) حيث استدعى ضباط ارتباط الفرق وأبلغهم واجباتهم الجديدة .

قام غودريان بإبلاغ أوامره إلى فرقة البانزر الثالثة وفرقة المشاة الآلية العشرين فيما بين الساعة ٢,٠٠ والساعة ٤,٣٠ من فجر يوم ٩ أيلول - سبتمبر - . ثم توجه إلى جاره الأيمن - قائد الفيلق ٢١ الجنرال فون مالكنهوسن - لتنظيم التعاون معه . فوصل إلى مقر

قيادته في (كورزنتست) في الساعة ٥,٣٠ حيث كان مقر القيادة هذا
يبعد مسافة ١٩ كم إلى الشمال من (لومزا) ، فأيقظ الضباط من
نومهم ؛ واستعلم منهم عن الموقف ؛ فعرف بفشل الهجوم على
(لومزا) بسبب المقاومة البطولية للبولونيين ؛ وبسبب ضعف الخبرة
القتالية للجنود الألمان . فتوقف الفيلق ٢١ على الضفة الشمالية لنهر
(نارو) .

وصل غودريان إلى (وزنا) في الساعة ٨,٠٠ تقريباً؛ واجتمع
بهيئة أركان الفرقة العاشرة ، فوجد أن مشاة الفرقة قد عبرت النهر ؛
وأنها في سبيلها لاحتلال التحصينات البولونية المسيطرة على
القطاع ؛ وأن القتال لا زال محتدماً . وبعد الاطمئنان عن الموقف ؛
ذهب غودريان إلى لواء (لوتزن) الذي كان عليه احتلال هذا
الحصن في بداية الأمر ؛ غير أنه كان عندئذ في أرض مكشوفة يهاجم
تحصينات (نارو) . وسر جداً من اللواء الذي نجح في اجتياز النهر
وتابع الهجوم بقوة ؛ ووافق على الإجراءات التي اتخذتها قيادة
اللواء ؛ ثم عاد إلى فرقة البانزر العاشرة ، وسرعان ما خاب أمله
عندما وصل إلى (وزنا) عندما طالع التقرير الصباحي وعرف منه
أن معلوماته عن نجاح الفرقة كانت معلومات خاطئة . إذ أن المشاة
لم تلبث بعد اجتيازها للنهر أن اصطدمت بالتحصينات البولونية التي
كانت تدعم الموضع الدفاعي على الشاطئ وتزيده قوة ، وكان
الهدوء يهيمن على المنطقة .

وأسرع غودريان فاجتاز النهر بحثاً عن مقر قيادة اللواء ؛ أو
حتى قيادات الكتائب ، غير أنه كان من المتعذر عليه العثور عليها
بعد أن ابتعدت عن الأنظار ، وأتقنت أعمال الإخفاء والتمويه ؛

حتى أن الدبابات المنتشرة على الضفة الشمالية للنهر لم تظهر له بسبب إتقان الإخفاء والتمويه ؛ وأرسل غودريان الضابط المرافق له للبحث عن القادة واستدعائهم . وعلم أن العمل كان يجري وقتها لتبديل السرايا التي زجت في القتال ؛ والاستعاضة عنها بسرايا لم تشترك بعد في القتال . غير أن ما أغضب غودريان هو جهل الجنود لأوامر الهجوم ، حتى أن مراقب رمي مجموعة المدفعية الثقيلة الذي كان مع المشاة ؛ لم يكن يعرف مهمته ، ولم يكن هناك من يعرف مكان تركز العدو ؛ ولم تنفذ أية محاولة لاستطلاع الجبهة . وعمل غودريان على علاج الموقف (بعد أن انتهى التبديل العجيب للسرايا) ، فاستدعى قائد اللواء وقادة الكتائب وحدد لهم واجباتهم . وأعطى لمراقب المدفعية مهمته بالرمي على التحصينات البولونية . ثم توجه للاستطلاع نحو الخطوط المتقدمة للبولونيين ؛ وسار طويلاً قبل أن يوجه إليه البولونيون نيرانهم . وهكذا وصل إلى التحصينات ؛ ووجد أن مدفعاً ألمانياً مضاداً للدبابات قد تم وضعه في مريض مناسب بناء على مبادأة سدنته . وبدأ الهجوم من هذا الموقع .

عاد غودريان إلى (نارو) فوجد أن لواء الدبابات لا زال متوقفاً عند الضفة الشمالية ؛ فأصدر أمره إلى قائد اللواء بالمسير بسرعة واجتياز النهر . ولم يكن بناء الجسر قد انتهى ، فمرت الدبابات على العوامات ؛ وكانت الساعة ١٨,٠٠ عندما بدأ الهجوم . ونجحت الخطة بسرعة ؛ وكانت الخسائر طفيفة ؛ بسبب تنفيذ الهجوم بعزم وتصميم . وأصدر غودريان أمره - الشفهي ثم الخطي - إلى الضابط المكلف ببناء الجسر لإنجاز عمله بسرعة حتى

تجتازه فرقة البانزر العاشرة وفرقة البانزر الثالثة التي تتبعها - وعاد بعدها إلى مقر قيادته في (وزنا) حيث عمل فور وصوله على كتابة الأوامر لعمليات اليوم التالي . وقضى ليله في بناء (دير وزنا) وهو البناء الذي لم ينته تشييده بعد ؛ ولم يكن يصلح للسكن ؛ غير أن بقية الأبنية كانت أسوأ حالاً .

علم غودريان في الساعة ٥,٠٠ من صباح يوم ١٠ أيلول - سبتمبر - أن جسر (نارو) الذي انتهى بناؤه عند منتصف الليل قد فكّ من جديد تنفيذاً لأمر قائد فرقة المشاة الآلية العشرين ، وأعيد بناؤه في مكان آخر لصالح هذه الفرقة ، وهكذا لم يبق للفرقة المدرعة سوى العوامات لاجتياز النهر . وكاد صبر غودريان ينفذ ، ذلك أن قائد الفرقة لم يعلم بالأمر الذي أصدره غودريان إلى ضابط الهندسة للإسراع ببناء الجسر ؛ وقام قائد الفرقة بعمله بحسن نية . ولكن غودريان وجد بعض العزاء عندما علم أن العمل لا زال مستمراً لبناء جسر آخر للوحدات المدرعة ، ولو أن بناء هذا الجسر لن يكتمل حتى المساء .

قاتلت فرقة المشاة الآلية العشرون طوال اليوم في منطقة (زامبرو) ، واتجهت مجموعة قوية من هذه الفرقة نحو (بوغ) وتقدمت مجموعة الاستطلاع فاحتلت نقطة مرور (بوغ) أمام المجموعة السابقة كما تقدمت فرقة البانزر العاشرة حتى مدينة (برانسك) وأجرت خلال تقدمها عدة اشتباكات . وكان (غودريان) قد تبع هذه الفرقة في المساء ؛ وقضى الليل في مدينة (ويسوكي - ماسو ويسكة) المحترقة . أما هيئة أركانه التي اجتازت نهر (نارو) عند المساء لتلحق به ؛ فإنها لم تستطع الوصول إلى مكان

تمركزه ؛ واضطرت للتوقف عند حلول الظلام في قرية محترقة وجدها على طريقها (إلى الشمال من ويسوكي ماسو ويسكه) . وبقي غودريان بعيداً عن مكان هيئة أركانه مما جعل من الصعب نقل الأوامر . وندم غودريان على أنه أصدر أمره المسبق بانتقال مقر القيادة ، وكان من الأفضل لو قضى الليل في (وزنا) مع هيئة أركانه في مقره السابق . واضطر غودريان للانتظار بفارغ الصبر وصول هيئة أركانه في صباح يوم ١١ أيلول - سبتمبر .

كانت هناك قوات بولونية متمركزة في المنطقة ؛ أرادت الانسحاب على الطريق الذي كانت تتحرك عليه فرقة المشاة الآلية العشرون ؛ نحو (لومزا) باتجاه الجنوب الشرقي في جنوب (زامبرو) ، الأمر الذي وضع فرقة المشاة الآلية العشرين أمام مأزق حرج : فقرر قائد الفرقة سحب العناصر التي تقدمت باتجاه (بوغ) وتطويق العدو الجديد وتدميره . كما وجهت ضده أيضاً عناصر فرقة البانزر العاشرة .

وفي هذه الأثناء وصل إلى فرقة البانزر الثالثة إعلام بأن (غودريان) مهدد بالتطويق من قبل البولونيين في (ويسوكي - ماسو ويسكه) ، فانحرفت كتيبة الرماة الراكبة على الدراجات النارية نحو (ويسوكي) لتحطيم الحصار ، وكان سرور الجنود كبيراً عندما شاهدوا غودريان وهو يسير على طريق القرية ، وشعر غودريان ببهجة وسعادة يصعب وصفها للمشاعر الأخوية التي عبر عنها الجنود راكبو الدراجات النارية . وأمضى غودريان وهيئة أركانه ليلة في (ويسوكي - ماسو ويسكه) .

إستطاعت فرقة المشاة المحمولة العشرون وبعض العناصر من

فرقة البانزر العاشرة ؛ تطويق البولونيين في (أندرز جيفو)
يوم ١٢ أيلول - سبتمبر . ووصلت فرقة البانزر العاشرة إلى
(ويسوكي - ليتوفزكي) . ووصلت فرقة البانزر الثالثة إلى
(بيلسك) .

دارت معركة ضارية في اليوم التالي (١٣ أيلول - سبتمبر)
بين مدينتي برانسك وبييلسك ، وأمكن تدمير تجمع للقوات
البولونية . وفي هذا اليوم أيضاً استسلمت الفرقة البولونية الثامنة
عشرة في (أندرز - جيفو) ، كما وصلت فرقة البانزر الثالثة إلى
(كامينيك - ليتوفزكي) وأرسلت عناصر من الاستطلاع باتجاه
(بريست - ليتوفسك) . وأصدر غودريان أمره بالهجوم على
التحصينات .

وعلم غودريان بأن وحدات بولونية قد وصلت إلى (غابة
بيلو - ويزا) الشهيرة ، فاكتمل بمراقبة منطقة الغابة ، وأمر بتجنب
القتال مع القوات البولونية المنتشرة في الغابة حتى لا تضطر القوات
الألمانية للانحراف عن مهمتها الأساسية .

قامت عناصر فرقة البانزر العاشرة التابعة لمجموعة الاستطلاع
وعناصر من لواء الدبابات الثامن باختراق خطوط بريست المحصنة
يوم ١٤ أيلول - سبتمبر . فأصدر غودريان أمره بتوجيه الفيلق
بكامله نحو (بريست) بأقصى سرعة ممكنة لاستثمار نتائج المباغته .
وأمكن في اليوم التالي (١٥ أيلول - سبتمبر) إحكام الطوق على
بريست من الجانب الشرقي من مدينة (بوغ) . وقد فشل الهجوم
المدرع على الحصن بسبب مقاومة البولونيين الضارية وتحصيناتهم
القوية .

وتلخصت عمليات اليومين التاليين (١٦ و ١٧ أيلول - سبتمبر) بالاستيلاء على حصن (بريست) الضخم ، وبوصول القوات الروسية من الشرق ، وجرت مفاوضات تقرر على أثرها انسحاب القوات الألمانية حتى خط الحدود المتفق عليه ؛ وإخلاء بريست التي دفعت القوات الألمانية ثمناً غالياً لاحتلالها .

أفاد (غودريان) من انتهاء الحرب ؛ ومن وجوده في بروسيا الشرقية ؛ لزيارة أهله وأقاربه. وانتقلت هيئة أركانه إلى برلين يوم ٩ تشرين الأول - أكتوبر - فتوجه إلى بروسيا الغربية لزيارة أهله ووداعهم ؛ وعرف منهم مدى ما عانوه من صعوبات فيما عرف باسم (يوم الأحد الدامي)^(١) . ثم توجه لزيارة مدينة (شلمنو - كولم) ، وشاهد منزل أهله وأجداده ومسقط رأسه . ولم يكن يعرف أنها ستكون زيارة الوداع ؛ والزيارة الأخيرة .

كانت سعادة (غودريان) لا توصف عندما رجع إلى برلين ؛ فوجد أن ابنه البكر (هنز) قد حصل على وسامي الصليب الحديدي بمرتبتيه الثانية والأولى ؛ وكان قد خاض معارك ضارية

(١) الأحد الدامي هو يوم ٣ أيلول - سبتمبر - ١٩٣٩ وفيه هاجم أشخاص مدنيون الوحدات البولونية المنهزمة في مدينة برومبيرغ (BROMBERG) أو باللغة البولونية بيدغوزس (BYDGOSZESZ) ، فقاومهم المدنيون البولونيون الذين هبوا لدعم هذه الوحدات . ويدل عدد الضحايا على ضراوة المعارك التي وصل إلى ٢٣٨ جندياً بولونياً و ٢٢٣ جندياً ألمانياً . وعندما احتلت القوات الألمانية المدينة ، بدأت الوحدات الخاصة والغستابو أعمال قمع وحشية قتل فيها ١٠٥٠٠ بولوني وأسر ١٣ ألف مواطن بولوني ، وفقاً لما ذكرته لجنة التحقيق البولونية التي شكلت بعد الحرب ، بينما تذكر مصادر أخرى أن عدد الضحايا لا يتجاوز ثلاثة آلاف بولوني .

أمام مدينة فارصوفيا (وارسو) .

استدعي غودريان إلى مقر وزارة الرايخ يوم ٢٧ تشرين الأول - أكتوبر - لمنحه وسام الصليب الحديدي من رتبة فارس (ريتز - كروز) ؛ ومعه ٢٤ قائداً ممن تم منحهم هذا الوسام .

وكان سرور (غودريان) عظيماً لحصوله على هذا الوسام في وقت مبكر . إلا أنه كان يتمنى لو أنه حصل عليه تقديراً للجهد الذي بذله في تنظيم السلاح المدرع الجديد وفي تطويره ، وهو السلاح الذي كان دوره حاسماً في حملة بولونيا السريعة ، والتي كان النصر فيها بكلفة محدودة نسبياً .

وكان مكان (غودريان) إلى يمين (هتلر) أثناء حفلة الغذاء التي تبعت توزيع الأوسمة ؛ وجرى بينهما حديث تدفق حيوية ؛ بشأن تطور الوحدات المدرعة والدروس المستخلصة من الحملة البولونية . وفي الختام وجه هتلر سؤاله المباغت إلى غودريان : « أريد أن أعرف ما هو شعور الجمهور والشعب ؛ بعد عقد الاتفاق مع روسيا السوفيتية ؟ » . وأجاب غودريان دون تفكير : « لقد تنفس الجيش الصعداء عندما علم في نهاية شهر آب - أغسطس - بعقد هذا الاتفاق . إذ أصبحنا أحراراً في مؤخراتنا ؛ وسعداء لأننا تجنبنا الحرب على جبهتين ؛ وهذا ما كنا نخشاه ؛ لأن هذا الوضع ؛ والحرب على جبهتين ؛ هو الذي أدى بنا إلى الهزيمة في الحرب العالمية الأولى . تلك هي مشاعرنا » ونظر هتلر مندهشاً إلى غودريان ؛ وأظهر عدم سروره بإجابته ؛ ولكنه لم يعلق بشيء .

كان غودريان يقضي إجازة قصيرة في منتصف شهر تشرين

الثاني - نوفمبر - ١٩٣٩ عندما تلقى أمراً بنقله وهيئة أركانه إلى (دوسلدورف) ثم إلى (كوبلنز) حيث عين تحت قيادة الجنرال (فون رونشتد)^(١) قائد مجموعة الجيوش (آ) .

نظمت في برلين مجموعة من المحاضرات بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني - نوفمبر - بهدف تثبيت العقيدة السياسية لدى القادة . وكان هتلر وغوبلز وغورينغ من المحاضرين . وقد حضر هذه المحاضرات قادة أسلحة البر والبحر والجو وأساتذة الكليات العسكرية وضباطها . وتعرض قائد الجيش البري وقادة وضباط هذا الجيش لنقد قاس ؛ مما أثار الغضب في نفوس ضباط وقادة القوات البرية ، غير أن أحداً لم يحاول الاحتجاج . وحاول غودريان إقناع عدد من كبار القادة لمقابلة هتلر ؛ وإعلامه بغضب الضباط للإهانة التي وجهت إليهم ؛ لا سيما بعدما حققوه من نتائج في الحرب البولونية .

(١) فون رونشتد : (, KARL RUDOLF GERD VON RUNDSTEDT)
ماريشال ألماني ؛ خدم في هيئة الأركان العامة خلال الحرب العالمية الأولى ؛ وقاد مجموعة الجيوش في غزو بولونيا في أيلول - سبتمبر - ١٩٣٩ ثم قاد مجموعة الجيوش (آ) في معركة فرنسا في أيار - حزيران (مايو - يونيو) ١٩٤٠ . ثم تولى قيادة مجموعة جيوش الجنوب في غزو روسيا في حزيران - يونيو ١٩٤١ . واستقال من منصبه في تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤١ ، فتم تعيينه قائداً لجهة الغرب سنة ١٩٤٢ بمهمة تنظيم الدفاع عن جدار الأطلسي ، قبل إنزال النورماندي . وتم استبداله في تموز - يوليو - ١٩٤٤ بالماريشال (فون كلوغه KLUGE) بسبب فشله في إيقاف إنزال قوات الحلفاء . غير أنه تم استدعاؤه من جديد في أيلول - سبتمبر - من السنة ذاتها لقيادة هجوم القوات الألمانية في الأردن (في كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤٤) ولم تلبث القوات الأمريكية أن أسرته بعد أشهر قليلة - وعاش الفترة (١٨٧٥ - ١٩٥٣) .

ولكن الجميع امتنعوا عن تنفيذ هذه المهمة ، وعهدوا بها إلى غودريان رغم أنه كان من أصغر قادة الفيالق رتبة . وقام غودريان بمقابلة هتلر ، وشرح له الموقف ، ولكن نتيجة المقابلة كانت عقيمة ؛ ومعدومة الفائدة .

٤ - اجتياح الغرب

انصرفت القيادة الألمانية بعد الحرب البولونية لتطبيق الدروس المستخلصة من هذه الحرب . فلقد برهنت تجربة الحملة على أن (الفرق الخفيفة) هي بمثابة نصف إجراء ؛ ولهذا صدر الأمر بتحويلها إلى فرقتين مدرعتين حملتا الأرقام ٦ و ٩ . كما لوحظ أن فرق المشاة الآلية كانت ثقيلة جداً ؛ فخفض ملاكها - أو تنظيمها - بانقاص لواء مشاة .

وكان من الضروري بصورة خاصة ، تجهيز ألوية الدبابات ، بدبابات جديدة (نموذجي ٣ و ٤) إلا أن قيادة الجيش البري كانت تفضل الاحتفاظ بالدبابات الجديدة ؛ وذلك بسبب المعدل الصناعي البطيء في انتاج هذه الدبابات .

وكان على (غودريان) تدريب بعض الفرق المدرعة ، ولواء المشاة (غروس - دوتشلاندر) وهي القوات التي وضعت تحت قيادته . وكان لديه ما يكفي من الوقت للتفكير في تخطيط الملاكات ، ومتابعة الاستعدادات للعمليات المتوقعة على جبهة الغرب .

كانت القيادة العليا للجيش البري تريد تنفيذ المخطط القديم الذي نفذ في سنة ١٩١٤ (والمعروف باسم مخطط شليفن) بعد إجراء بعض التعديلات الخفيفة عليه . حتى كان يوم من أيام شهر

تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٣٩ حيث تلقى غودريان دعوة من (مانشتاين) طلب فيها إلى غودريان الحضور إلى مكتبه . وعندما تمت المقابلة ؛ شرح مانشتاين فكرته عن الحرب القادمة لاجتياح الغرب بقوله : « الهجوم بقوات مدرعة قوية عبر اللوكسمبورغ وبلجيكا الجنوبية - باتجاه خط ماجينو الممتد حتى مدينة سيدان ، ثم اختراق هذه الجبهة المحصنة ، وانهاء خرق الجبهة الفرنسية » . وطلب مانشتاين إلى غودريان دراسة هذا المشروع من ناحية قدرة الدبابات على العمل . وقام غودريان بدراسة المشروع على الخرائط ؛ واستند في دراسته إلى معرفته الدقيقة للأرض أثناء الحرب العالمية الأولى ، وعاد ليؤكد للجنرال مانشتاين بأن خطة العمليات التي وضعها هي خطة يمكن تنفيذها بشرط واحد يتلخص بزج عدد كاف من الفرق المدرعة والآلية في المعركة ؛ وأنه من الأفضل استخدامها كلها .



الفيلد مارشال اريخ فون مانشتاين

وضع الجنرال (مانشتاين) مذكرة وجيزة للخطة ؛ ووقعها الجنرال (فون رونشتد) ، ورفعت إلى القيادة العليا للجيش البري يوم ٤ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٣٩ .

ولما كانت القيادة العليا للجيش البري عازمة على عدم زج أكثر من فرقة مدرعة واحدة أو فرقتين مدرعتين من أرلون ، فإنها انتقدت الخطة ؛ وجرى تبادل وجهات النظر ومناقشة الآراء بهذا الصدد . وكان غودريان يرى بأن هذه الوسائط ضعيفة ؛ وأن تنفيذها بهذه الوسائط لن يجدي ؛ وما دامت القوات المدرعة ضعيفة في جميع الأحوال ؛ فإنه من الخطأ تجزئتها ؛ وإضافة المزيد من الضعف على ضعفها .

ولقد حاول (مانشتاين) استعجال الحصول على الموافقة لتبني خطته ؛ مما أغضب القيادة العليا للجيش البري ، فقررت تعيين مانشتاين قائداً لأحد فيالق المشاة ، فحاول استبدال هذا التعيين بتعيينه قائداً لفيلق مدرع ؛ لكن القيادة رفضت الأخذ بطلبه .

وهكذا ؛ اشترك هذا القائد العبقرى بالعملية على رأس قوة من الدرجة الثالثة ؛ بينما كان سير هذه العملية الناجحة يعود إلى بدايته الشخصية .

وقع في هذه الأثناء حادث في قيادة القوى الجوية جعل القيادة تتخلى عن مخطط شليفن . وتلخص الحادث بقيام ضابط ارتباط من القوى الجوية بمخالفة التعليمات والطيران في ليل ١٠ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٠ ومعه مصنفات سرية تضمنت مشروع العملية المستند إلى مخطط شليفن المعروف ؛ ولدى اجتيازه الحدود أرغم على

الهبوط اضطرارياً في بلجيكا . ولم تعلم القيادة ما إذا كان قد نجح في إخفاء هذه الوثائق السرية أم لا . وبات متوقفاً أن يعرف البلجيكيون ؛ وبطبيعة الحال الفرنسيون والانكليز ، بمخططات العملية .

في هذه الفترة ذاتها ، كان قد تم ترفيع (مانشتاين) إلى رتبة فريق ، واستدعي ، على نحو ما جرت العادة ، لمقابلة هتلر . وقد أفاد (مانشتاين) من هذه الفرصة السانحة ؛ فعرض وجهات نظره بشأن العملية القادمة ؛ وكان من نتيجة ذلك أن أعيدت دراسة مخططاته دراسة وافية .

ثم عقد مؤتمر (كوبلانس) يوم ٧ شباط - فبراير - ١٩٤٠ ؛ وفيه اقترح غودريان الهجوم على نهر الموز ؛ واجتيازه قرب مدينة سيدان ؛ وذلك في اليوم الخامس من الحملة ؛ بقوات كبيرة مدرعة وآلية ؛ على أن يكون الهدف هو القيام باختراق عميق ، ثم توسيعه بعد ذلك باتجاه مدينة (أميان) . وحضر رئيس هيئة الأركان العليا - الجنرال هالدر - فاعترض على اقتراح غودريان واعتبره (غير معقول) . وكان يرى أنه يجب الوصول إلى نهر الموز بقوات مدرعة ؛ واحتلال رؤوس الجسور ؛ وانتظار فرق المشاة ؛ ومن ثم القيام (بهجوم مشترك) إنما قبل اليوم التاسع أو العاشر من الحملة . وهذا ما أطلق عليه اسم (الهجوم العام المنظم) . وأجابه غودريان بعنف ؛ فقال : « إنه من الضروري زج جميع الدبابات المشتركة ، في الوقت الحاسم ؛ والإفادة من عامل المباغتة لتطوير قوة الضربة المحدودة ، على أن تتم فصل القوات بعدئذ لتتوغل بالعمق ؛ مع حماية الأجانب ، ثم استثمار النجاح الأول على الفور ؛ بدون أي اعتبار للوصول فيالق المشاة » .



حواجز مضادة للدبابات تمتد أمام خط «سيغريد». ولن يكون لهذه الحواجز أية فائدة، كما لن يكون للحفر وغيرها من الحواجز الممتدة أمام خط «ماجينو» أية فائدة. ولكن الأسباب هنا تختلف عنها هناك. ويبدو أن إله الحرب يتلذذ دوماً في تخطيط ما يذهب إليه العسكريون من تكهنات وتصورات.

تأكد غودريان من صحة تقديره لقيمة التحصينات وقوتها على الجبهة البلجيكية والجبهة الفرنسية، وذلك بعد الدراسات الدقيقة التي قامت بها رئاسة قسم الهندسة في مجموعة الجيوش، والتي استندت فيها إلى الصور الجوية الدقيقة الملتقطة في أوقات مختلفة.

عقد مؤتمر ثان في هيئة أركان الجيش الأول يوم ١٤ شباط - فبراير - ١٩٤٠ وبحضور رئيس هيئة الأركان العليا أيضاً - الجنرال هالدر - ، وذلك بهدف الاتفاق على طريقة اجتياز نهر الموز. وتركز البحث على النقطة التالية : هل يجب على الفرق المدرعة أن تحاول عبور النهر بوسائطها الخاصة ؟ أم يجب عليها انتظار وصول المشاة ؟ وأخذت المناقشة شكلاً عقيماً مما دفع غودريان إلى الإعلان عن عدم ثقته بنجاح العملية ؛ بسبب الاستخدام الخاطئ للدبابات ، وحذر القيادة من الأزمات المتوقعة إذا ما أصرت على استخدام الدبابات

بهذه الطريقة (طريقة انتظار الدبابات للمشاة) .

قرر غودريان العمل بمبادئه بعد أن أدرك بأن فيلقه هو الذي سيحمل قوة الصدمة عند اجتياز منطقة الأردن الصعبة ، فبذل كل جهده لتدريب كبار القادة وضباط هيئة أركانه على المهمة المتوقعة . وقد تكوّن فيلق غودريان من ألوية البانزر الأول والثاني والعاشر ولواء المشاة (غروس دوتشلاند) وبعض الوحدات الأخرى منها مجموعة مدافع قذافة ذات عيار كبير .

ولقد عرف (غودريان) هذه الألوية والوحدات - ما عدا لواء غروس دوتشلاند - في زمن السلم وفي فترة الحرب ؛ ولهذا كانت ثقته كبيرة بقدراتها القتالية . كما أتيحت له فرصة إعدادها وتدريبها لتنفيذ المهمة الشاقة التي تنتظرها ؛ والتي لم يكن هناك من يصدق بإمكان تحقيقها بنجاح إلا هو وهتلر ومانشتاين . ولقد تطلب الإعداد لهذا المخطط دخول مناقشات مضية ، وبذل جهود كبيرة ، استنزفت قدرة غودريان ؛ وجعلته بحاجة لإجازة قصيرة حصل عليها في النصف الثاني من شهر آذار - مارس .

عقد مؤتمر آخر لقادة جيوش المجموعة (آ) بحضور هتلر في رئاسة وزارة الرايخ وذلك يوم ١٥ آذار - مارس - ١٩٤٠ . وعرض كل قائد مهمته وطريقته لتنفيذها . وتكلم غودريان في النهاية فقال : «مهمتي هي اجتياز حدود اللوكسمبورغ يوم (ي) والتقدم نحو سيدان ؛ من جنوب بلجيكا ؛ واجتياز نهر الموز في سيدان . واحتلال رأس جسر على الضفة اليسرى تعبره فيالق المشاة التي تتبعني . وسيتقدم الفيلق المدرع بثلاثة أرتال ، مجتازاً الحدود البلجيكية في اليوم الأول ؛ ثم يتابع التقدم في اليوم الثاني حتى

(نيوشاتو)، ويجتاز نهر السوم عند مدينة بويون في اليوم الثالث ؛
ليصل إلى نهر الموز في اليوم الرابع ، على أن يبدأ الهجوم لاجتياز
النهر في اليوم الخامس . وآمل احتلال رأس الجسر ليلة اليوم ذاته «
وهنا طرح هتلر سؤاله الحاسم الذي لم يطرحه سواه : « وماذا
تنوي عمله بعد ذلك ؟ » .

وأجاب غودريان على الفور ؛ وكأنه كان يتوقع مثل هذا السؤال :
« إذا لم يصلني أمر معاكس ؛ فسأتابع اختراقي نحو الغرب . وستقدر
القيادة العليا اتجاه الاختراق : هل هو نحو أميان أم نحو باريس ؟
والأفضل كما أرى متابعة الاختراق نحو أميان ؛ ثم إلى المانش » .

ووافق هتلر بإيماءة من رأسه دون أن يضيف شيئاً . إلا أن
قائد الجيش السادس عشر - الجنرال بوش - والذي كان يجلس إلى
اليسار من غودريان ؛ صرخ معترضاً : « لا أعتقد أن بإمكانك
اجتياز النهر ! » وبدأت على هتلر أمارات الاهتمام ؛ وكأنه ينتظر
إجابة غودريان بفارغ الصبر . ولم يتأخر الرد فقال غودريان مخاطباً
بوش ؛ « لا تتعب نفسك بهذا الاعتقاد » . ولم يعلق هتلر بشيء على
المناقشة .

بدأ غودريان بالتحضير للعملية الكبرى ؛ بعد عودته من
إجازته القصيرة . وحلّ ربيع جميل بعد الشتاء الطويل ؛ وكادت
تمارين الإنذار المتتالية تصبح حقيقية . وقد يكون من المناسب
التوقف قليلاً عند أبرز المعالم والمؤشرات التي وجهت غودريان في
عمله منذ البداية وحتى مرحلة الهجوم .

هناك حقيقة معروفة وهي أن الحرب العالمية الأولى قد انتهت



وجه الرايخ الثالث قيادته العسكرية وجهة جديدة. فبات القواد يقودون جيوشهم شخصياً.
والصورة تمثل «غوديريان» قائد الفيلق المصفح التاسع عشر يقود الهجوم باتجاه «سيدان».

بعد التحركات الأولى إلى مرحلة من الجمود القتال ؛ وتحولت إلى (حرب مواقع وخنادق) . ولم يؤد تكديس العتاد على كثرته وضخامته ؛ إلى زحزحة الجبهات ؛ وإعادة الحركة إليها ، حتى زج الحلفاء الغربيون سلاحهم الجديد - الدبابات - في شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩١٦ م ، فاستطاعت هذه الدبابات بتصفيحها وسلاسلها ومدافعها ورشاشاتها ؛ اختراق الخطوط الألمانية ، وأعادت الدبابات للهجوم قدرته الحركية . وقد أثارت هذه الظاهرة الاهتمام والانتباه ، غير أن الألمان لم يقدرُوا الدبابات حق قدرها .

وبرزت الأهمية الحقيقية للدبابات في نصوص معاهدة (فرساي) . فقد حظر على ألمانيا - تحت طائلة العقوبة - امتلاك أو صنع الدبابات والعربات المدرعة .

واستنبط (غودريان) من ذلك أنه لا بد من دراسة تاريخ هذه الآلة بعناية ومراقبة تطورها المقبل . ولم يكن (غودريان) مقيداً بأي قيود نظرية أو عملية - من حيث العتاد والتسلح - . فأمكن له وضع نظرية استخدام الدبابات والوحدات المدرعة وتنظيمها وتشكيلها وتسلحها ؛ وتجاوز بهذه النظرية ما كان معروفاً في الخارج عن استخدام الدبابات . وأمضى سنوات متتالية وهو يدافع بتصميم وعناد عن نظريته حتى أمكن له وضع النظرية موضع التطبيق العملي من قبل أن تصل بقية جيوش العالم إلى هذه النظرية ، فكان الوحيد - حتى في ألمانيا - رائداً في تنظيم السلاح المدرع واستخدامه ؛ وبقي كذلك حتى سنة ١٩٤٠ .

وكان غودريان يعرف نفسية جيشه معرفة جيدة ؛ فانصرف لدراسة نفسية أعداء ألمانيا (دول الغرب) دراسة عميقة ، فتكونت

لديه بذلك فكرة دقيقة وواضحة عن طباعهم وطرائق تفكيرهم .

كان الخوف - حتى درجة الرعب - مهيمناً على العقول من حرب المواقع وحرب الخنادق ؛ ولهذا أظهر الغربيون اهتماماً كبيراً بامتلاك السلاح وتطويره . وكان لدى القوات المقاتلة البريطانية والفرنسية على جبهة الغرب - في شهر أيار - مايو - ١٩٤٠ - أكثر من ٤٨٠٠ مدرعة ، بينما لم يكن لدى القوات الألمانية أكثر من ٢٨٠٠ مدرعة ؛ منها العربات المصفحة (وكان عدد الدبابات عند بداية الهجوم ٢٢٠٠ دبابة) ، فكان على الألمان مواجهة تفوق يعادل الضعف تقريباً . وبالإضافة إلى ذلك ؛ كانت الدبابة الفرنسية تتفوق على الدبابة الألمانية في مجال التصفيح وفي مجال عيار المدافع ، إلا أنها كانت دون الدبابة الألمانية في مجال القيادة والسرعة .

وهكذا كانت فرنسا تمتلك جهاز قتال متحرك وقوي بالإضافة إلى امتلاكها لجهاز قتال دفاعي هو خط ماجينو ، والذي كان يعتبر بحق أقوى التحصينات الدفاعية وأقواها في العالم . ولعله كان من الأفضل لفرنسا لو أنها استخدمت الأموال التي انفقتها على تحصين خط ماجينو وتطويره ؛ من أجل زيادة قدرتها الهجومية في السلاح المدرع . ولقد توقع بعض القادة الفرنسيين - من أمثال الجنرال ديغول - حدوث ثورة في فن الحرب من خلال السلاح المدرع ؛ على نحو ما بشر به غودريان وعمل له ؛ إلا أن فرنسا قد تجاهلت النداءات الداعية للإفادة من القدرة الحركية العالية للدبابات من أجل تطوير حرب الحركة ؛ ولم تعترف بأهمية الدبابة في حرب الحركة .

ولقد تأكد غودريان من هذه الحقيقة ؛ من خلال متابعته

لكافة المشاريع التدريبية للتشكيلات الفرنسية الكبرى ؛ وللمناورات ؛ حيث برز واضحاً أن القيادة الفرنسية ملتزمة بفكرة ثابتة وهي قيادة قواتها بطريقة تضمن للقرارات المتخذة بناء على معطيات أكيدة ، تنفيذاً أميناً ودقيقاً ؛ وتكفل اتخاذ الإجراءات الهجومية أو الدفاعية بطريقة منظمة .

وكانت القيادة الفرنسية تجتهد قبل اتخاذ القرار بالعمل ؛ لتكوين فكرة واضحة عن تنظيم المعركة وتوزيع قوات العدو ؛ حتى إذا ما تم لها ذلك ؛ وتم اتخاذ القرار ؛ سارت الأعمال بحسب خطة منظمة بداية من مرحلة التقرب ومروراً باحتلال قاعدة الهجوم وتحضير رمايات المدفعية ؛ ونهاية بتنفيذ الهجوم أو احتلال المنطقة الدفاعية .

وكانت طريقة العمل المنظم هذه ، والتي لا تضع اعتباراً للاحتمالات الطارئة أو التطورات المباشرة ؛ تضع الدبابات - هذه الآلة المتحركة - في حالة من العطالة ؛ وهذا السبب هو الذي أدى إلى توزيع معظم الدبابات الفرنسية على فرق المشاة ؛ ولم يخصص إلا قسم قليل للعمل في وحدات مدرعة مستقلة .

توقعت القيادة الألمانية أن توجه فرنسا أعمالها القتالية للإفادة من تحصيناتها الدفاعية ؛ وفقاً للمبادئ التي استخلصتها فرنسا من نتائج الحرب العالمية الأولى ؛ أي من خبرة حرب المواقع ، وتأثير النار الحاسم ؛ وقيمتها الدفاعية ، وعدم تقدير المناورة والحركة تقديراً صحيحاً ، فكانت المبادئ الفرنسية سنة ١٩٤٠ - - في مجال الاستراتيجية والتكتيك ، مناقضة تماماً لما كان يدعو إليه غودريان ؛ وكان هذا عاملاً ثانياً من عوامل ثقته بالنصر .

نجحت القيادة الألمانية - حتى ربيع سنة ١٩٤٠ - في جمع المعلومات الكافية عن التنظيم القتالي للعدو وعن تحصيناته . فكانت تعرف أن التحصينات بين (مونتميدي) و (سيدان) هي أضعف من بقية تحصينات خط ماجينو . وكانت القيادة الألمانية تطلق على التحصينات ما بين سيدان والمانش اسم (امتداد خط ماجينو) .

ولقد أمكن للقيادة الألمانية الحصول على مخطط التحصينات ؛ ثم تابعت العمل على مهل للحصول تباعاً على كافة المعلومات الدقيقة عن قوة التحصينات الهولندية والبلجيكية ؛ وكانت جميعها موجهة لمقاومة أي هجوم ألماني - فحسب - . ولقد زجت القيادة الفرنسية بأضعف قواتها في خط ماجينو ؛ واحتفظت بفرقها المدرعة القوية وبالفيلق البريطاني ؛ فحشدتها في مقاطعة الفلاندر الفرنسية ؛ بين نهر الموز والمانش ؛ في الجبهة الشمالية الشرقية .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تم فصلت القوات البلجيكية والهولندية لحماية بلديهما من هجوم ألماني - قادم من الشرق - . وكان تم فصل القوات هذا يدعو إلى الاستنتاج بأن دول الغرب كانت تأمل بقيام الألمان بتنفيذ مخطط شليفن لسنة ١٩١٤ مرة أخرى ، وأن قوات جيوش الغرب ستعمل على منع الألمان من القيام بحركة التطويق ؛ وذلك بالتقدم عبر هولندا وبلجيكا .

ولقد لاحظت القيادة الألمانية أن القوات البلجيكية والهولندية - المتمفصلة - هي قوات محرومة من التغطية ، ولا تملك أي قوات احتياطية فكان توزيع القوات الغربية ؛ والتزام قياداتها بفكرة أخذ الألمان بخطة شليفن - وحتمية تطبيقها بحذافيرها - ، وجهل قيادات القوات الغربية بما كان يفكر به الألمان ويعملون

له ، هو العامل الثالث في جملة العوامل التي حملت غودريان على الثقة بحتمية النصر .

لقد كان غودريان يعرف أهمية تنظيم التعاون بين كافة الأسلحة لنجاح حرب الحركة لا سيما مع القوات الجوية ؛ لذلك فقد وضع برنامجاً للتدريب على تنظيم التعاون مع طيران الدعم ؛ ومع الفيلق الجوي المخصص للعمل معه بصورة رئيسة . فعمل على استدعاء الطيارين لحضور تمارين قيادة - على الخرائط - . كما اشترك أيضاً في تمرين حربي أعدته القيادة الجوية بهدف دراسة الإجراءات عند عبور نهر الموز . وتقرر بنتيجة التفكير والدراسة العميقة توسيع مجال عمل الطيران ؛ واستمرار تدخله طوال فترة العبور ؛ وذلك بدلاً عن توجيه ضربة واحدة قوية ومركزة على نحو ما كان مقرراً من قبل . وحددت للطائرات (القاذفة والمقاتلة ؛ الشوكا) واجباتها بدقة من أجل إبطال عمل المدفعية المعادية ؛ وشلها ؛ طوال فترة العملية .

طلب (غورنغ)^(١) قبل بدء التحرك ؛ إلى غودريان ؛ تحميل

(١) غورنغ : (GORING , HERMANN WILLIAM) مارشال ألماني ؛ وسياسي (١٨٩٣ - ١٩٤٦) كان طياراً في الحرب العالمية الأولى . اشترك مع هتلر في قمع عصيان ميونيخ سنة ١٩٢٣ . وانضم إلى الرايخستاغ سنة ١٩٢٨ وأصبح وزيراً للقوات الجوية في وزارة هتلر سنة ١٩٣٣ . فأنصرف لتنظيم القوات الجوية الألمانية (لوفتووف) . ثم أصبح المستشار الأول لهتلر ؛ ووزيراً لداخلية بروسيا . وهو الذي نظم الغستابو والشرطة السرية للدولة في بروسيا . وقد أقنع هتلر أن باستطاعة سلاح الجو الألماني إلحاق الهزيمة بسلاح الجو الملكي البريطاني سنة ١٩٤٠ . وكان فشل (معركة بريطانيا) سبباً في تدهور مكانته القيادية . وقد =

كتيبة من لواء المشاة - غروس دوتشلاندا - على طائرات (ستورش)
لإنزالها صبيحة يوم (ي) خلف الجبهة البلجيكية - في مدينة وتيري
غربي مارتيلانج - بمهمة نشر الاضطراب في تحصينات الجبهة .
وانصرف غودريان لتحديد الواجبات للوحدات المختلفة ؛ وإنهاء
الاستعدادات .

صدر الأمر باستنفار الجيش الألماني في الساعة ١٣,٣٠ من يوم
٩ أيار - مايو - ١٩٤٠ . فغادر غودريان (كوبلانس) في الساعة
١٦,٠٠ ووصل إلى مقر قيادة فيلقه مساء في مدينة (سوننهوف)
قرب (بيتبورغ) ، فيما كانت قوات الفيلق تحتل مواقعها على
امتداد الجبهة بين مدينتي (فياندن - و - أكرناك) ، وأخذت في
اجتياز (حدود اللوكسمبورغ) في الساعة ٥,٣٥ من صباح
يوم ١٠ أيار - مايو - ووصلت بعد ظهر اليوم ذاته الى الحدود
البلجيكية قرب مدينة مارتيلانج - . لقد بدأت عمليات اجتياح
الغرب .

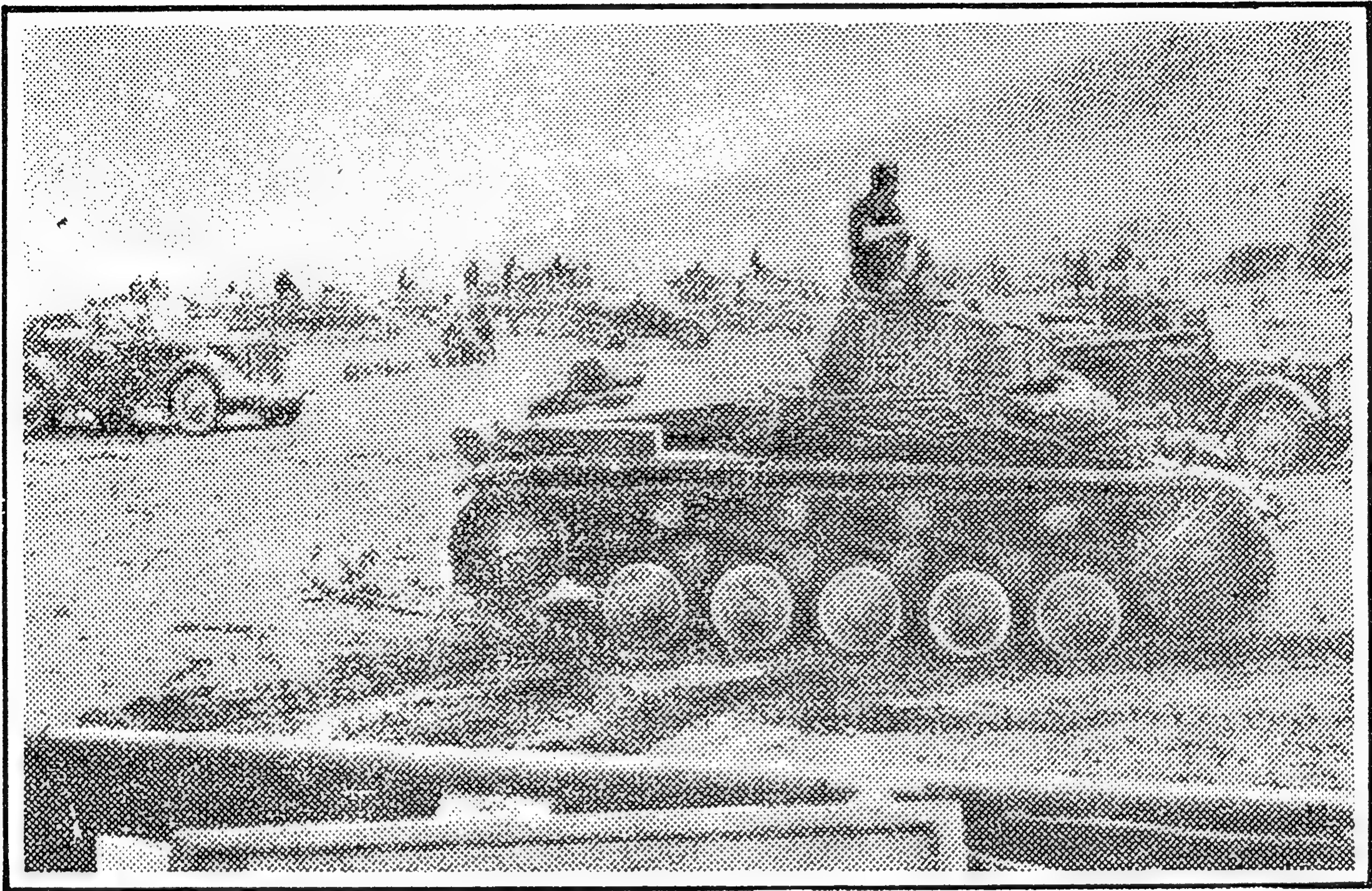
كان غودريان قد وضع فرقة البانزر الأولى ؛ على محور الجهد
الرئيسي ؛ وسارت فرقة البانزر الثانية الى يمين الفرقة الأولى ؛ فيما
سارت فرقة البانزر الثالثة إلى يسارها ومعها لواء مشاة - غروس
دوتشلاندا - .

وقد استطاعت فرقة البانزر الأولى إجراء الاتصال في الوقت
المحدد مع الوحدات المنقولة جواً - والتابعة للواء مشاة غروس

= حاول الحصول من هتلر على إذن بمفاوضة الحلفاء لإنهاء الحرب في ٢٣ نيسان -
أبريل - ١٩٤٥ ، فأقاله هتلر . وقبض عليه الحلفاء وأحالوه إلى محكمة نورمبرغ التي
حكمت عليه بالإعدام غير أنه انتحر في سجنه في أكتوبر - ١٩٤٦ .

دوتشلاندا - ، غير أن فرقة البانزر الأولى لم تتمكن من التوغل عميقاً في بلجيكا بسبب تخريب الطرقات الذي أعاق مناوراتها ؛ ولم تستطع الدبابات الالتفاف على الجبهة بسبب طبيعة المنطقة ذات التعاريج الكثيرة ؛ ولم يتم فتح الطرق إلا في الليل . وقاتلت فرقة البانزر الثانية من أجل احتلال مدينة (سترين شامب) ، فيما كانت فرقة البانزر العاشرة تتقدم باتجاه (هاباي لانوف) ومدينة (إتيال) فاصطدمت بالقوات الفرنسية .

كانت الأعمال القتالية تسير بدقة مثيرة ؛ وانتظام مذهل ، لقد برهن تدريب القوات على فائده وأهميته مرة أخرى في تاريخ فن الحرب . كما برهن عامل (الكفاءة القيادية) على دوره الفعال أيضاً . لقد كانت القوات تمارس عملها وكأنها تعمل في ميادين التدريب . فبينما كان المهندسون يزيلون الألغام ، ويصلحون الطرق ، كانت عناصر الاستطلاع تندفع متقدمة لحماية الكتلة الرئيسة لقوات البانزر ، فيما كان الطيران يتعامل مع المقاومات التي يتم اكتشافها . ولم يكن لغودريان من عمل سوى التنقل بين قواته المتقدمة لمعالجة المواقف الطارئة ؛ وتنسيق التعاون كلما تطلب الموقف ذلك ، والاستمتاع برؤية الاشتباكات العنيفة التي كانت تحدث بين فترة وأخرى ؛ فيتم حسمها بسرعة ؛ حيث تتابع القوات تقدمها بحماسة بعد أن تدمر المقاومات التي تحاول التعرض لها . وهكذا تمكنت فرقنا البانزر الأولى والعاشرة من الاستيلاء على الضفة الشمالية لنهر الموز واحتلال مدينة سيدان التاريخية والمحصنة وذلك في ليل ١٢ أيار - مايو . وبدأ العمل لعبور الموز وتشكيل رأس جسر على الضفة المقابلة .

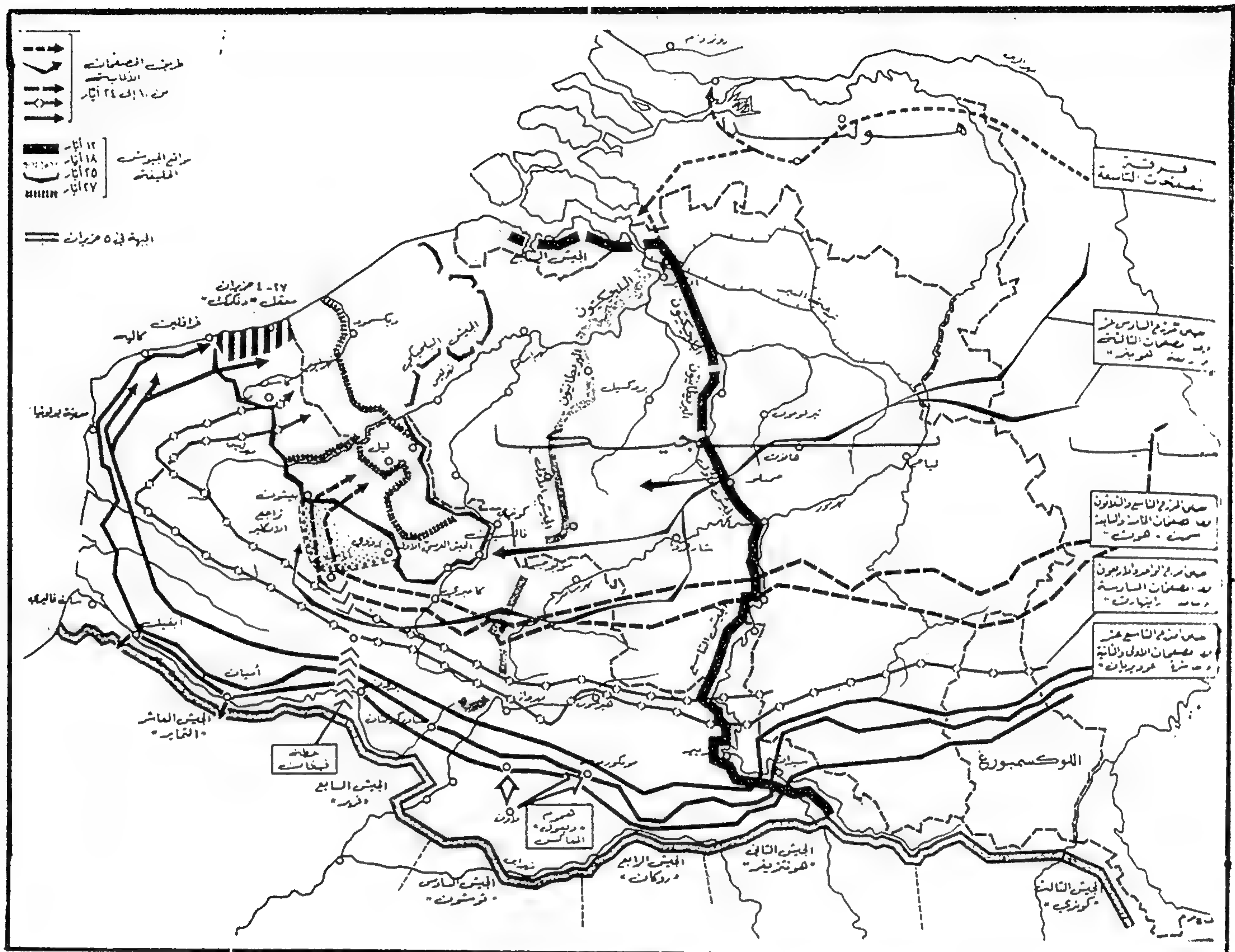


تقدم القوى الآلية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية في منطقة نهر الموز

وسارت العملية بدقة ، وتابعت فرق البانزر اندفاعها وجرت أعنف المعارك عند (قرية ستون) يوم ١٤ أيار - مايو ، حيث تناوبت السيطرة عليها القوات الألمانية والفرنسية مرات عديدة . وفي اليوم التالي ؛ وقع في قبضة غودريان أمر صادر عن القيادة الفرنسية : « يجب أخيراً إيقاف تقدم الدبابات الألمانية » . وكان الجنود بحاجة للراحة بعد الجهد الذي بذلوه طوال الأيام الماضية ولياليها في مسير متصل ومعارك متتالية ؛ إلا أن غودريان استشارته برقية القيادة الفرنسية فجمع قاداته - حتى مستوى قادة السرايا - وطلب إليهم بذل المزيد من الجهد لإحباط المحاولات الفرنسية .

وأمكن للحماسة أن تضعف من تأثير التعب والإرهاق ، فتابعت فرق البانزر تقدمها ، مخلفة وراءها نهر الموز . وكان

غودريان يشعر بسعادة لا توصف لدى سماعه تعليقات جنوده المتقدمين وهو يمر بهم فيهتفون له ؛ ويحيون ؛ ويصرخون : (هيا إلى الأمام يا صديقي !) و (ها هو شيخنا) و (هل رأيت هانز السريع) .



وهكذا استولت قوات البانزر يوم ١٦ أيار - مايو - على مدينة (مونكورينيه) . ولما حدث تداخل بين الفرق بسبب عدم تحديد خط فصل بين الفرق والفيالق ، فقد عمل غودريان على تحديد خطوط الفصل على الأرض ، وعاد إلى مقر قيادته (في قرية سواز) على أمل متابعة الهجوم في اليوم التالي .

كان قائد مجموعة الجيوش (الجنرال فون كليست) قد أوجس خيفة من سرعة تقدم غودريان ، فطلب منذ يوم ١٣ أيار - مايو -

إلى غودريان بالتوقف عن التقدم لبعض الوقت (عند رأس جسر نهر الموز) . ولكن غودريان نجح في إقناع (فون كليست) بضرورة استثمار المباغته حتى أقصى الحدود ؛ لاندفاع بما يمكن من السرعة . ووافق (فون كليست) على متابعة التقدم لفترة اليوم التالي فقط (لمدة ٢٤ ساعة) . ولكن غودريان تابع تقدمه بسرعة أذهلت (فون كليست) . وعندما عاد (غودريان) إلى مقر قيادته في ليل ١٦ - ١٧ أيار - مايو ، وجد في انتظاره أمراً يطلب إليه التوجه في الساعة السابعة من صباح يوم ١٧ أيار - مايو - إلى مطار طائرات ستورش لمقابلة (فون كليست) .

وتوجه غودريان في الوقت المحدد ، ووصل (فون كليست) فبادر غودريان بتوبيخ شديد - دون أن يبدأ المقابلة برد التحية - وعنفه لتجاوز توجيه القيادة العليا ؛ ولم يذكر شيئاً عما قامت به الوحدات من أعمال بطولية . وانتظر غودريان حتى هدأت العاصفة الأولى ، فطلب إليه إقالته من قيادته . وارتجف الجنرال فون كليست ؛ ووافق على الطلب ؛ وأمره بتسليم القيادة إلى الجنرال - القائد - الأقدم في الفيلق . وانتهت المقابلة على هذه الصورة ؛ وعاد غودريان إلى مقر قيادته .

كان أول عمل قام به (غودريان) هو الاتصال لاسلكياً بقيادة مجموعة (فون رونشتد) وأعلمها بأنه سيصل عند الظهيرة لتقديم تقريره بعد أن ينتهي من تسليم القيادة . وجاءه الرد بسرعة مذهلة ؛ حيث وصله أمر بالبقاء في مقر قيادته حتى تلقي أوامر جديدة ، وانتظار وصول قائد الجيش الثاني عشر - الفريق ليست - الذي كان يتحرك وراء فيلق غودريان ؛ والذي صدر إليه أمر

بتكليفه لحل القضية . وعمل (غودريان) بعد ذلك على إصدار أمر إلى كافة وحدات الفيلق بالتوقف في الأماكن التي وصلت إليها .

ووصل الفريق ليست - بعد الظهر - فأعلمه غودريان عما جرى بكل تفاصيله . فأصدر الفريق ليست أمراً - باسم الفريق فون رونشتد - بإلغاء أمر النقل ، وأعلمه أن الأمر بإيقاف الهجوم هو أمر صادر عن القيادة العليا للجيش ؛ فلا بد من تنفيذه والالتزام به . وأضاف بأنه مطلع على حجج غودريان وبراهينه بضرورة متابعة التحرك ؛ وأصدر إليه توجيهاً - باسم قائد مجموعة الجيوش فون رونشتد - سمح له : « بمتابعة دفع مجموعات قتالية استطلاعية قوية إلى الأمام : على أن لا يتحرك مقر قيادة الفيلق من مركزه الحالي حتى يكون بالمستطاع الاتصال به في أي لحظة » . وشعر غودريان بأنه مدين للفريق ليست بتفهمه لموقفه ؛ ومساعدته على الخروج منه فشكره ، وطلب إليه العمل على إنهاء الخلاف الذي نشب بينه وبين الجنرال (فون كليست) .

أفاد (غودريان) من حرية العمل العسكري المحدودة التي منحت له من خلال فقرة (دفع مجموعات قتالية استطلاعية) فنظم هذه المجموعات ؛ ودفعها للعمل على مختلف الاتجاهات ؛ كما عمل على وصل مقر قيادته المتقدم بخط هاتفي ؛ مما جعله في غنى عن اللاسلكي في المكان الجديد ؛ وبهذا أصبح متعذراً على فرع التنصت والاصغاء في قيادة الجيش تحديد مكان غودريان ورصد تحركاته .

استولت فرقة البانزر الأولى في وقت مبكر من صباح يوم ١٧ أيار - مايو - ١٩٤٠ على (ريبيمون) الواقعة على نهر الواز

وعلى مدينة (كريسي - سور - سير) . ووصلت عناصر فرقة البانزر العاشرة إلى (فريليكور) و (سولس - مونكلان) . وأمكن في مساء اليوم ذاته إقامة رأس جسر على نهر الواز قرب مدينة (موا) . ثم تابعت (مجموعات الاستطلاع القتالية) عملها يوم ١٨ أيار - مايو . فوصلت فرقة البانزر الثانية في الساعة ١٩,٠٠ إلى (سانت كوانتان) ^(١) وعبرت فرقة البانزر الأولى نهر الواز أيضاً إلى يسارها ثم تقدمت باتجاه مدينة (بيرون) ، وتبعها فرقة البانزر العاشرة التي انتشرت على نسق نحو اليسار وإلى الخلف من الفرقتين المتقدمتين ؛ واتجهت نحو (بيرون) . واستطاعت فرقة البانزر الأولى في صبيحة اليوم التالي (١٩ أيار - مايو) أن تحتل جسراً على نهر (السوم) بالقرب من مدينة (السوم) ^(٢) وقد أمكن أسر عدد من هيئات الأركان الفرنسية - لتشكيلات قتالية مختلفة - كانت تتجه نحو (بيرون) بمهمة استطلاعية

(١) سانت كوانتان : (SAINT - QUENTIN) مدينة في الأيسن (AISNE) تقع على نهر السوم . وقد شهدت أحداثاً تاريخية هامة عبر تاريخها الطويل ، ولا سيما في الحرب العالمية الأولى . وهناك قناة سانت كوانتان ، التي تصل نهر الأيسكوت من جهة بنهري السين والسوم من جهة ثانية .

(٢) السوم : (SOMME) إقليم في شمال فرنسا يضم إقليم بيكاردي القديم (PICARDIE) وعاصمته أميان (AMIENS) ومن أشهر مدنه (آبفيل : ABBEVILLE) ومونتديديه (MONTDIDIER) وبيرون (PERONNE) والإقليم في معظمه ذو طبيعة كلسية ، تتخلله تعرجات وتموجات كثيرة . أما مدينة السوم - فهي مدينة قديمة وحصينة أنشئت في القرن الخامس عشر لتكون قلعة للدفاع عن نهر السوم .

هكذا ؛ استقرت فرق البانزر يوم (١٩ أيار - مايو) على أرض السوم التي شهدت أعنف المعارك أيام الحرب العالمية الأولى . وكانت هناك مجموعة استطلاع قتالية وقناصة دبابات ووحدات هندسية تعمل على حماية المجنبة اليسرى المكشوفة ؛ خلال تقدم فرق البانزر شمالي نهر الآين ونهر السين ونهر السوم . ولم يشعر غودريان إلا بتهديد بسيط على هذه المجنبة ؛ وكان يعرف بوجود فرقة المدرعات الفرنسية الرابعة بقيادة الجنرال ديغول ؛ ، حيث شوهدت للمرة الأولى في مدينة (مونكورنييه) يوم ١٦ أيار - مايو - .

وبقي ديغول خلال الأيام التالية وهو يتحرك على مجنبات فرق البانزر الألمانية ؛ واستطاع في يوم ١٩ أيار - مايو - أن يصل حتى مسافة ٢ كم فقط من مقر القيادة المتقدم لغودريان - في غابة هولنون - .

وجابه غودريان موقفاً صعباً ؛ فقد كانت قوات ديغول مجهزة بدبابات من نموذج (ب - ١) وهي أقوى دبابات كانت متوافرة لدى جميع الأطراف المتحاربة ، وعلاوة على ذلك ؛ فإن مقر قيادة غودريان كان محروماً من وسائل الدفاع المضاد للدبابات - باستثناء بعض مدافع من عيار ٢٠ مم المضادة للطائرات - ومرت ساعات صعبة قبل أن ينسحب هؤلاء الضيوف غير المرغوب فيهم - دون حدوث أي اشتباك - .

أعيدت حرية العمل والمناورة لفيلق غودريان في مساء يوم ١٩ أيار - مايو - ، على أن يبدأ مسيره نحو أميان في اليوم التالي . وأصدر غودريان أوامره إلى فرقته ؛ وحدد لها خطوط الفصل .

في الوصول إلى باريس بهذه الطريقة ؛ مما يمكنها من الإفلات من الأسر .

وتم إلقاء القبض على مجموعة من المقاتلين الانكليز . وسرعان ما اكتظ سوق مدينة (ألبرت) بالأسرى من جميع الدول الغربية . وتبددت مخاوف فرقة البانزر الثانية من عدم توافر إمكانات التقدم بسبب نقص الوقود ؛ وصدر إليها الأمر بالوصول إلى آبفيل في اليوم ذاته . فانطلقت الفرقة بأقصى سرعة لها حتى وصلت آبفيل في الساعة ١٩,٠٠ .

ولقد أدى التقدم السريع إلى حدوث أخطاء في تنظيم التعاون مع القوات الجوية التي قصفت الفرقة وأوقعت بها بعض الخسائر ؛ كما ردت المدفعية المضادة للطائرات على الهجوم الجوي فاسقطت طائرة صديقة .

ولما لم يتلق غودريان أي أمر لمتابعة التقدم ، فقد أفاد من يوم ٢١ أيار - مايو - لتفقد الوحدات ، واستطلاع الممرات التي يجب عبورها على نهر السوم والتأكد من الحراسة المنظمة على الجسور وزيارة مدينة آبفيل .

وقد حاولت الدبابات الإنكليزية في هذا اليوم اختراق منطقة عمليات دبابات البانزر للتوجه نحو باريس ، فوقعت معركة ضارية ؛ ودبت الفوضى في وسط القوات الألمانية ؛ غير أنه أمكن السيطرة على الموقف .

وتلقى غودريان في مساء يوم ٢١ أيار - مايو - أمراً بمتابعة التقدم للاستيلاء على مرافئ بحر المانش ، غير أنه سحبت من فيلق

غودريان إحدى فرقته (وهي فرقة البانزر العاشرة) فاضطر للعمل بفرقتين فقط . وقد حاول غودريان الإبقاء على فرقة البانزر العاشرة حتى يتمكن من الوصول إلى دونكيرك وكاليه بقوة وسرعة ، ولكن القيادة العليا أصرت على وضع هذه الفرقة في الاحتياط ؛ مما حد من حرية عمل غودريان .

وبدأت الفرقتان البانزر الأولى والثانية تحركهما منذ صباح يوم ٢٢ أيار - مايو - واندفعتا بسرعة ، غير أنهما اضطرتا لخوض معارك ضارية في (دوفر) و (سامر) وجنوب (بويون) ضد قوات فرنسية وإنكليزية وبلجيكية وهولندية ، وأمكن التغلب على هذه القوات بعد قتال عنيف .

يظهر أن القيادة العليا شعرت بالموقف الحرج الذي يجابهه (غودريان) ، لا سيما بعد أن حرم من دعم الطيران الألماني في معارك يوم ٢٢ أيار - مايو - بسبب عدم تمكن القوات الجوية الألمانية من الانتقال إلى قواعد متقدمة ، في حين كان الحلفاء يستخدمون قواتهم الجوية بفاعلية ونشاط كبيرين ؛ ولهذا فقد أعيدت لغودريان فرقة البانزر العاشرة يوم ٢٣ أيار - مايو - وأرسل غودريان - في منتصف الليل - برقية إلى قواته جاء فيها : « يجب الوصول قبل الساعة ٧,٠٠ من صباح يوم ٢٣ أيار - مايو - إلى مدينة كانش ؛ لأن فرقة البانزر العاشرة تتبعنا . لقد دخلت فرقة البانزر الثانية إلى بويون ؛ وستعزز العناصر يوم ٢٣ أيار - مايو - باتجاه كاليه ؛ مارة بمدينة ماركيز . كما تصل الفرقة الأولى إلى خط أودرويك - آردر - كاليه ؛ ومن ثم تتجه على الفور باتجاه الشرق للمسير إلى - برغ - دونكيرك ؛ مارة ببوربورغ - فيل - غرافلين . أما

فرقة البانزر العاشرة ؛ فتتقدم في الجنوب . ويتم التنفيذ بإرسال كلمة : المسير باتجاه الشرق - ابتداء المسير الساعة العاشرة .

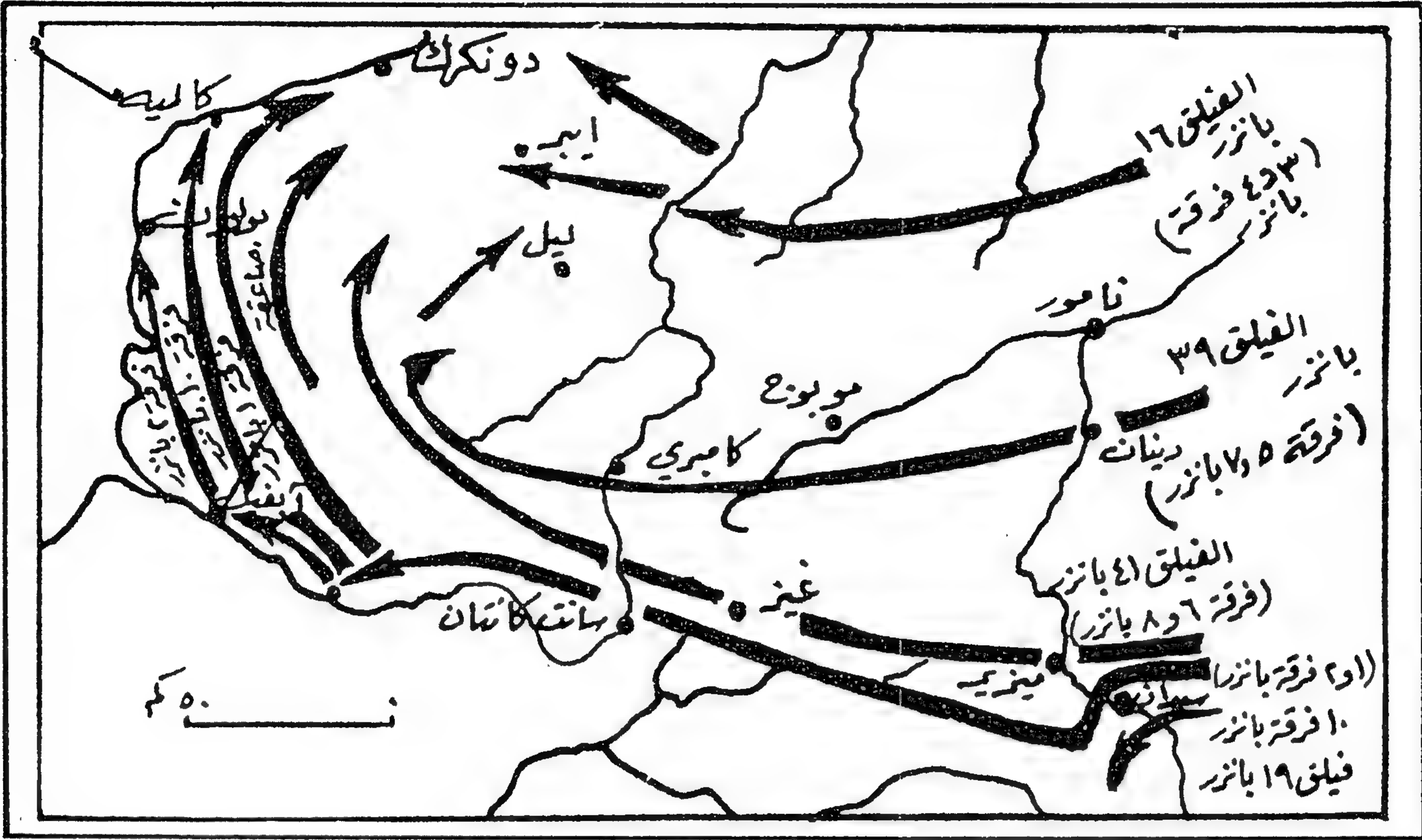
وفي صباح يوم ٢٣ أيار - مايو - أرسل غودريان برقيته اللاسلكية : « المسير في الساعة ١٠,٠٠ باتجاه الشرق - الاختراق : جنوب كاليه باتجاه سان بير - بروك - غرافلين » .

اندفعت فرق غودريان للاستيلاء على ساحل المانش ؛ ودارت معارك طاحنة حول (بويون) انتهت بانتصار القوات الألمانية ؛ وبينما كانت قوات غودريان تستعد للانقضاض على (دونكر) و (كاليه) ، وصلت برقية يوم ٢٤ أيار - مايو - بتوقيع هتلر ؛ وجاء فيها : « ستتولى القوى الجوية أمر دونكر ؛ وإذا بدت أية صعوبة في الاستيلاء على مدينة كاليه فستتولى أمرها أيضاً القوات الجوية » .

وبوغت غودريان ؛ وبوغت قواته ، وكان لا بد من تنفيذ الأمر . وقد قيل إن « هتلر أراد من إيقاف الدبابات أمام دونكر إتاحة الفرصة أمام الإنكليز ، للتفاوض ، وإيجاد صيغة لتحقيق السلام مع بريطانيا » . وقيل أيضاً إن (فون رونشتد) قد أوقف الدبابات بمبادأته الخاصة ؛ وذلك نتيجة المقاومة البطولية لقوات الحلفاء في كاليه - وهذا غير صحيح - . وقيل أيضاً إن غورينغ هو الذي أقنع هتلر بتوفير جهد القوات البرية ، وترك المجال أمام عمل القوات الجوية لتدمير قوات الحلفاء ومنعها من الانسحاب .

ومهما كان السبب ؛ فقد نتج عن تدخل هتلر ؛ وإيقافه لمسيرة

العمليات ؛ توفير فرصة كافية لانسحاب معظم قوات الحلفاء من دونكرنك إلى بريطانيا .

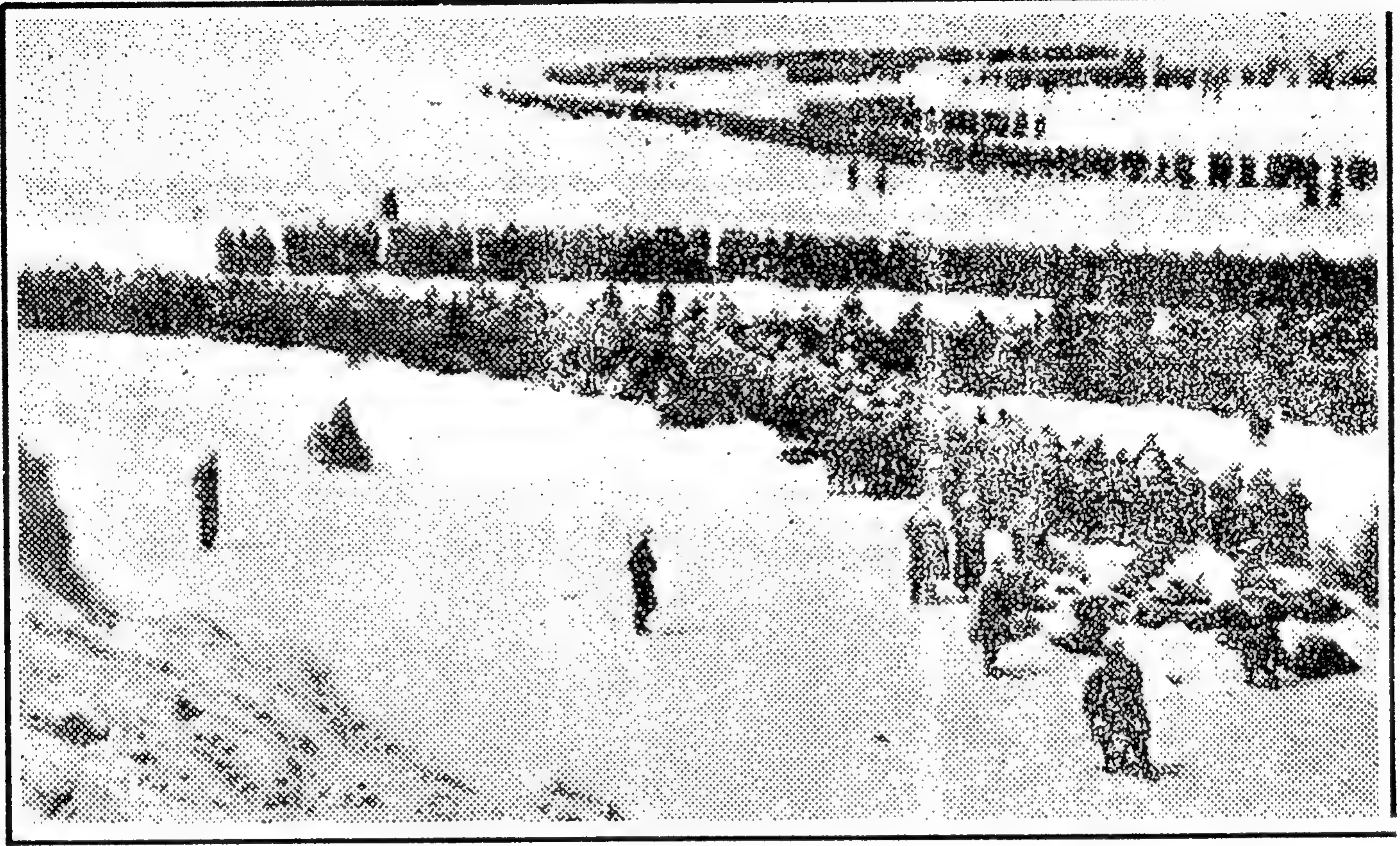


الهجوم على الغرب

توجه غودريان صباح يوم ٢٥ أيار - مايو - لمراقبة التزام الفرق بتنفيذ أمر التوقف ؛ ولاستطلاع أوضاعها على الطبيعة ؛ فوجد أن الفرقة الأولى للبانزر تقاتل للسيطرة على (هضبة واتن برغ) المرتفعة ٧٢ متراً ، والمهيمنة على وادي نهر آ - فيما كانت فرقة البانزر الثانية تنهي احتلال مدينة بويون ، وتعمل على تطهيرها من فلول قوات الحلفاء . أما فرقة البانزر العاشرة ، فكانت تخوض معركة ضارية للاستيلاء على مدينة (كاليه) .

وقد حاول قائد فرقة البانزر العاشرة توفير الجهد القتالي ، فأرسل إلى قائد الحامية البريطانية المدافعة عن كاليه يطلب اليه

الاستسلام . فأجاب قائد الحامية - البريغادير جنرال نيكولسن :
« الجواب لا ! وإن واجب الجيش البريطاني هو القتال قدر ما
يستطيع ؛ مثاه كمثل الجيش الألماني سواء بسواء »(*) .



القوات البريطانية تتجمع للابحار من دنكرك

وقاتل البريطانيون بعناد وضراوة ؛ إلا أنهم اضطروا
للاستسلام في الساعة ١٦,٤٥ من مساء يوم ٢٦ أيار - مايو . ووقع
في قبضة قوات غودريان في كاليه ٢٠ ألف أسير منهم ٤ آلاف
انكليزي ؛ والباقي من الفرنسيين والبلجيكيين والهولانديين . وكان
قسم من هؤلاء قد رفض المقاومة ، فسجنهم الإنكليز في الأقبية .

(*) « THE ANSWER IS NO , AS IT IS THE BRITISH ARMY'S DUTY
TO FIGHT AS WELL AS IT IS THE GERMAN'S ».

هكذا غابت شمس يوم آخر من أيام الأجداد العظيمة التي عاشها غودريان ؛ وجاء الجنرال فون كليست إلى كاليه ؛ والتقى بغودريان ولم يكن قد التقى به منذ وقع الخلاف بينهما يوم ١٧ أيار - مايو - وقدم فون كليست تهانيه لغودريان ؛ وأشاد بأعماله ، وبجهود رجاله وبطولاتهم ، وكان ذلك وسام فخر حق لغودريان أن يفخر به . وقد شعر غودريان أنه مدين لقواته بما تم إحرازه من نصر ؛ فهي التي قاتلت ؛ وهي التي جابهت معاناة كره القتال . فأرسل تعميماً (يوم ٢٦ أيار - مايو -) (*) شكر فيه قواته وهناها بالنصر .

غير أن الحرب لم تصل إلى نهايتها بعد ؛ لقد أمكن تدمير وتمزيق الكتلة الرئيسة من قوات الغرب ، ولا زالت هناك قوات أخرى يجب اخضاعها . ونظر غودريان بحزن وهو يرى عدم فاعلية القصف الجوي في منع انسحاب قوات الحلفاء من دونكيرك ؛ وتساءل : « ماذا لو تم أسر هذه القوات الضخمة ؛ بدلاً من إتاحة الفرصة لها للهرب ؛ واستخدامها للمساومة من أجل تحقيق سلم مناسب مع بريطانيا ؟ » .

لكن الفرصة الذهبية كانت قد فاتت عندما وصل غودريان أمر - في ظهر يوم ٢٦ أيار - مايو - منحه فيه هتلر حرية التقدم نحو (دونكيرك) . وتقدم غودريان بقواته واستولى على ساحل المانش دون قتال تقريباً . وتم الاستيلاء على دونكيرك يوم ٢٩ أيار - مايو - .

(*) انظر قراءات - ١ - في نهاية الكتاب .

أصدر هتلر أمراً يوم ٢٨ أيار - مايو - ١٩٤٠ بتشكيل مجموعة بانزر بقيادة غودريان ضمت : الفيلق ٣٩ الذي تشكل من فرقتي البانزر الأولى والثانية وفرقة المشاة الآلية - الميكانيكية - ٢٩ ، وكذلك الفيلق ٤١ الذي تشكل من فرقتي البانزر السادسة والثامنة وفرقة المشاة الآلية - الميكانيكية - ٢٠ ، بالإضافة إلى بعض الوحدات الداعمة للفيلق . ووضعت مجموعة بانزر غودريان تحت قيادة قائد الجيش الثاني عشر الجنرال ليست .

حددت منطقة جنوبي غربي مدينة (شارل فيل) لإعادة تنظيم مجموعة غودريان وتجميعها . وكان على بعض الأرتال السير لمسافة مائة كيلومتر وبعضها أكثر من ٢٥٠ كم ؛ وكانت الوحدات بحاجة لبعض الراحة بعد ذلك الجهد الكبير الذي بذلته في عملياتها السابقة ؛ كما كانت الدبابات والآليات بحاجة لصيانة عامة وإجراء الإصلاحات الضرورية قبل الانطلاق للمهمة الجديدة وهي القضاء على بقية الجيش الفرنسي - أي ما يقارب سبعين فرقة ، منها فرقتين بريطانيتين - ثم عقد صلح لصالح ألمانيا .

انهى غودريان نشر قواته على نهر السوم وعلى نهري السير والآين . وكان على مجموعة جيوش فون رونشتد - والتي تتبع لها مجموعة غودريان - أن تبدأ هجومها يوم ٩ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ ، مما أتاح لمجموعة غودريان فترة إضافية للراحة وإنهاء استعدادها .

وانطلق غودريان بفرقه ، وكان عليه أن يتنقل باستمرار بين فرقه المتقدمة ؛ وقد اصطدمت قواته بمقاومات ضارية نظمها الفرنسيون في المدن الصغيرة والغابات ، كما جابهت الهجمات

المضادة التي استطاعت صدها بنجاح (رغم ما كانت عليه الدبابات الفرنسية ب - أ - من التفوق ؛ حتى أن كثيراً من المدافع والمدافع المضادة للدبابات لم تكن لتؤثر فيها تأثيراً يخرجها من القتال) .

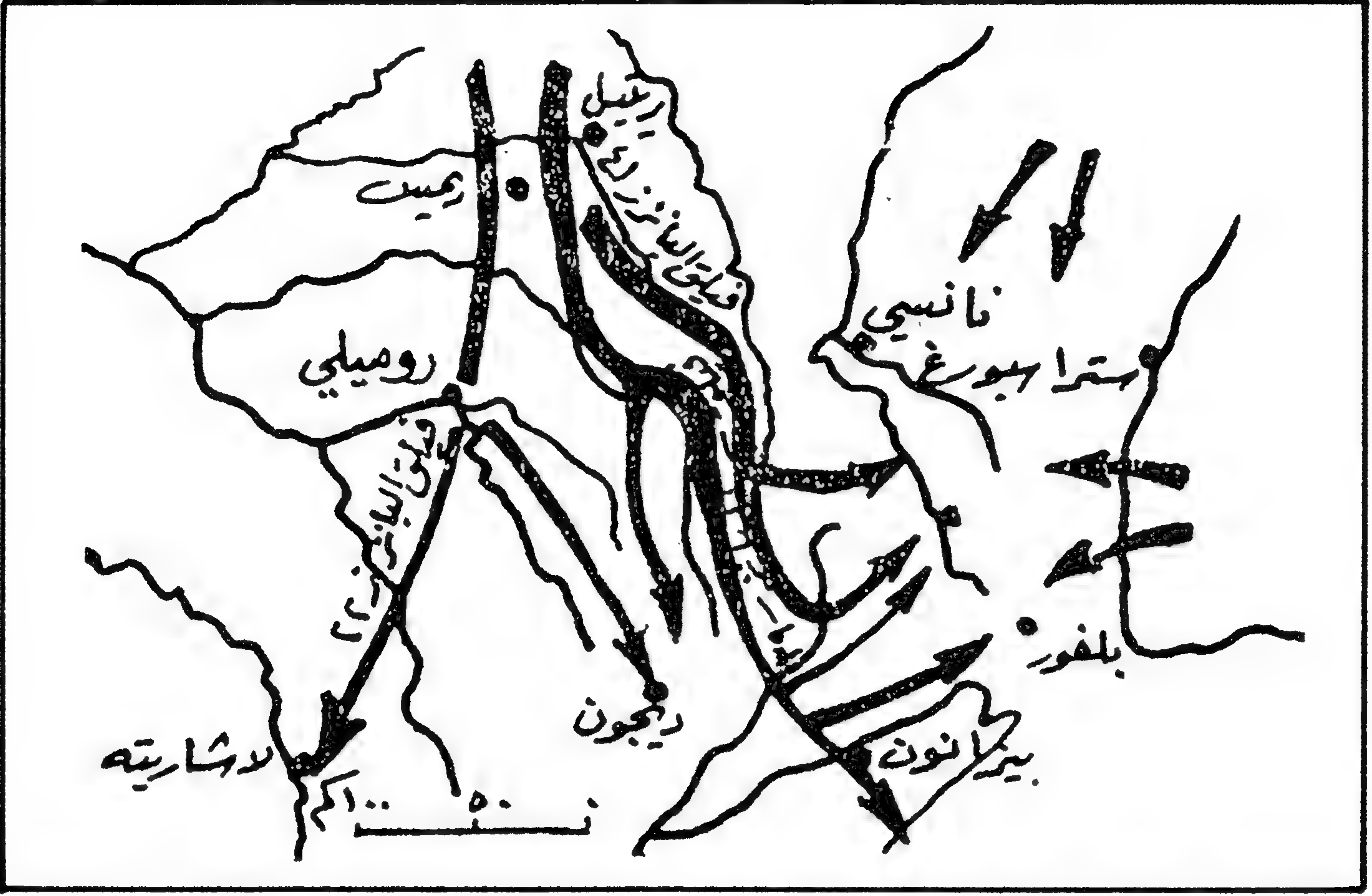
وكان على غودريان وهيئة أركان مجموعته متابعة التقدم باستمرار ؛ واختيار مكان جديد ليكون مقراً للقيادة في كل يوم . وبعد عشرة أيام من القتال والمسير السريع ؛ وصل غودريان ومجموعته إلى الحدود السويسرية . وعندما علم هتلر بالأمر ؛ ظن أن هناك خطأ ؛ فأرسل إلى غودريان مستوضحاً : « يستند تقريرك على خطأ . هل تريد أن تذكر أنك وصلت إلى بونتالييه سور - سون » . وأجابه غودريان : « لا خطأ هناك . انني موجود شخصياً في بونتالييه على الحدود السويسرية - وذلك يوم ١٧ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ .

وكانت الحكومة الفرنسية قد استقالت في اليوم السابق (١٦ حزيران - يونيو) . وتشكلت وزارة جديدة برئاسة المارشال العجوز بيتان ، تقدمت إلى الألمان بطلب للهدنة .

وأصبحت مهمة القوات الألمانية هي إجراء الاتصال لتطويق القوات الفرنسية في مقاطعتي الألزاس واللورين . فمضى غودريان بمجموعته ، وتم تنفيذ المهمة بنجاح .

وانهارت مقاومة الفرنسيين انهياراً تاماً يوم ٢٠ حزيران - يونيو - ، وتزايد عدد الأسرى ، بحيث بلغ مجموع من أسرتهم مجموعة غودريان - منذ عبور نهر الأين وحتى اليوم الأخير من القتال - ما يقارب ٢٥٠ ألف أسير ، بالإضافة إلى كميات ضخمة

من الأعتدة القتالية المتنوعة . ووقعت الحكومة الفرنسية الهدنة يوم ٢٢ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ وانتهت بذلك عمليات اجتياح الغرب .



اجتياح الغرب ١٩٤٠

ومرة أخرى ؛ أدرك غودريان أن ما حققه من نصر ، يعود وبالدرجة الاولى إلى الجهود التي بذلها القادة والضباط والجنود الذين نفذوا واجباتهم بتعاون مذهل ؛ وبحماسة لا وصف لها . فأفاد من توقف القتال ليوجه لقواته كلمة شكر وتقدير ، وليزف إليهم التهئة بالنصر(*) .

أصدرت القيادة الألمانية العليا أمرها بحل مجموعة

(*) انظر قراءات - ٢ - في نهاية الكتاب .

غودريان - البانزر - في بداية شهر تموز - يوليو - . ونقلت بعض فرقها إلى ألمانيا ، كما نقلت فرقاً أخرى إلى منطقة باريس .

وأقام غودريان مقر قيادته في باريس . وبدأ الإعداد لإجراء عرض كبير في باريس يحضره هتلر . ولكن هذا العرض قد ألغي .

وأفاد غودريان من وقت الفراغ المتوافر له ، للتعرف على جبال جورا - المشرفة على بحيرة جنيف - ولزيارة ابنه البكر (هنز) في مدينة ليون والذي أصيب بجراح للمرة الثانية في حملة الغرب ؛ فتم ترفيعه قبل الأوان لحسن بلائه ولما أظهره من الشجاعة . ثم زار غودريان عدداً من المدن الفرنسية الهامة (فرساي وفونتينبلو ؛ وسواهما) .

وعقد مؤتمر في الرايخستاغ يوم ١٧ تموز - يوليو - استدعي غودريان لحضوره ، هو وسائر القادة . وأعلن هتلر أثناء المؤتمر ترفيع غودريان إلى رتبة جنرال - قائد جيش - .

ولما لم يبق لغودريان عمل في باريس ، فقد رجع وهيئة أركان مجموعته إلى برلين ، للبدء بإعادة التنظيم الشامل للقوات .

لقد أبرزت عمليات اجتياح الغرب أهمية الدبابات والمركبات المدرعة في تطوير حرب الحركة ؛ ولهذا لم يكن غريباً أن يتخذ هتلر قراره بزيادة عدد الفرق المدرعة وفتح المشاة الآلية - الميكانيكية - زيادة كبيرة . فتمت مضاعفة عدد الفرق المدرعة بسرعة كبرى ؛ لكنه تم تخفيض عدد الدبابات ضمن تشكيل هذه الفرق إلى النصف . فضم الجيش الألماني عدداً من

الفرق يساوي ضعفي العدد السابق لكنه لم يملك قوة مدرعة تقدر بالضعفين ؛ وهذا هو الشيء الهام .

ولقد طلب هتلر مضاعفة فرق المشاة الآلية - الميكانيكية - لتتطور في خط مواز لخط تطور تشكيلات الدبابات ، مما كان يتطلب زيادة انتاج المحركات زيادة لم تتمكن المصانع من بلوغها إلا بعد أن أخذت حاجتها من الاحتياط ومعه الغنائم التي تم الاستيلاء عليها من أقطار أوروبا الغربية . وكان هذا العتاد الغربي أقل جودة من العتاد الألماني . ولهذا لم تتمكن القوات الألمانية من استخدامه بفاعلية على مسارح عمليات أفريقيا وروسيا .

بالإضافة إلى ذلك ؛ وعلى ضوء تجربة حملة القوات الألمانية على الغرب ؛ طلب هتلر زيادة انتاج الدبابات من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ دبابة شهرياً ، وتركيب مدفع ٥٠ ملم (المدفع ل - ٦٠) على الدبابات (٣) بدلاً من المدفع ٣٧ ، غير أن المخصصات المالية والنقص في اليد العاملة الاختصاصية ؛ قد أعاق تنفيذ طلبات هتلر .

كُلف غودريان بعد عودته من الغرب بالإشراف على التدريب ؛ وتشكيل بعض الفرق المدرعة وفرق المشاة الآلية . وشغلت هذه المهمة وقت غودريان بكامله ، فبقي اتصاله محدوداً بقيادة الجيش وبهيئة الأركان العامة ، فلم يكن له رأي في تشكيل الوحدات المدرعة ؛ أو في قضية متابعة الحرب .

الفصل الثاني

على جبهة الشرق

- ٥ - الموقف العام .
- ٦ - مينسك وسمولنسك .
- ٧ - التحول من موسكو إلى كييف .
- ٨ - معركة كييف .
- ٩ - العمل على اتجاه موسكو .

٥ - الموقف العام

كان الاتحاد السوفيتي قد وقع مع ألمانيا معاهدة عدم اعتداء في ٢٣ آب - أغسطس - ١٩٣٩ ، مما مكن ألمانيا من اجتياح بولونيا ، وحصول الاتحاد السوفيتي على القسم الشرقي منها . ثم عقد الاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة ومعاهدة تجارية أخرى مع ألمانيا في ٢٩ أيلول - سبتمبر - ١٩٣٩ أفاد منها الاتحاد السوفيتي للإستيلاء على دول البلطيق المتاخمة لحدوده ، ثم للهجوم على (فنلندا) في ٣٠ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٣٩ (١) . وبينما كانت القوات الألمانية مشغولة في الغرب قام الاتحاد السوفيتي بارغام رومانيا على التخلي عن إقليم بيسرابيا لصالحه ؛ مما اضطر هتلر حيال ذلك إلى ضمان استقلال رومانيا بتاريخ ٣٠ آب - أغسطس ١٩٤٠ .

(١) فنلندا : (FINLAND) وباللغة الفنلندية : (SUOMI) جمهورية في شمالي شرقي أوروبا ؛ عاصمتها هلسنكي (HELSINKI) تقع على بحر البلطيق ؛ ومساحتها ٣٣٧ ألف كيلومتر مربع . كانت تابعة للسويد حتى مطلع القرن التاسع عشر ، ثم ضمتها روسيا إليها بعد انتصارها على السويد في حرب سنة ١٨٠٩ . وقد أعلن استقلالها سنة ١٩١٧ . واجتاحتها القوات السوفيتية في آذار - مارس - سنة ١٩٤٠ بعد مقاومة بطولية ومعارك ضارية تكبدت فيها القوات السوفيتية خسائر فادحة - وقد حررها الألمان ؛ فأعلنت فنلندا الحرب على روسيا سنة ١٩٤١ . ثم وقعت الهدنة سنة ١٩٤٤ مع الحلفاء . وحصل الإتحاد السوفيتي من فنلندا على إقليمي (سالا) و (كاريلي) بموجب معاهدة باريس ١٩٤٧ .

انشغل هتلر في شهر تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٠ بمحادثاته مع الفرنسيين والاسبانيين (الجنرال فرانكو) بشأن متابعة الحرب . والتقى في نهاية هذه المحادثات مع صديقه (موسوليني) في (فلورنسا) . وقد دهش هتلر عندما علم وهو في طريقه لهذا اللقاء - في محطة قطار بولونيا - أن حليفه موسوليني قد شن حرباً على اليونان دون علمه ودون موافقته . وهكذا تفجرت القضية البلقانية ؛ واتسع الصراع ؛ وامتد إلى اتجاه لا يلائم ألمانيا .

كان من أول نتائج مبادأة موسوليني - حاكم إيطاليا - بحسب ما قاله هتلر لغودريان ، قيام فرانكو بالانسحاب ورفضه للتعاون مع المحور ؛ إذ أنه في الظاهر لم يقبل التورط في سياسة واحدة مع حلفاء غير متفاهمين كل التفاهم . وأما النتيجة الثانية فهي تصعيد التوتر في العلاقات بين ألمانيا والإتحاد السوفيتي ؛ نتيجة وقوع مجموعة من الحوادث التي أدت إليها سياسة ألمانيا حيال رومانيا وحوض الدانوب . وقد حاول هتلر التخفيف من حدة التوتر ؛ فوجه دعوة إلى مولوتوف لزيارة برلين . وجاء مولوتوف إلى برلين ؛ وقد حمل معه الطلبات التالية :

١ - إدخال فنلندا في فلك الاتحاد السوفيتي .

٢ - الإتفاق على حدود بولونيا القادمة .

٣ - الاعتراف بالمصالح السوفيتية في رومانيا وبلغاريا .

وعندما عاد مولوتوف إلى موسكو ؛ أرسل هذه الطلبات كتابياً (بمذكرة رسمية) .

وغضب هتلر عندما اطلع على المطالب السوفيتية ؛ غير أنه لم يظهر نواياه بوضوح عندما درس المقترحات الشفهية في برلين ؛

وكذلك فعل أيضاً عندما وصلته اقتراحات - أو طلبات - مولوتوف
الكتابية ؛ ولم يرد عليها ؛ غير أنه بات مقتنعاً أن الحرب مع الاتحاد
السوفييتي هي حرب ستقع حتماً ؛ وأنه لا يمكن تجنبها .

لقد اعترف هتلر لغودريان أن استيائه من السياسة الإيطالية في
شهر تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٠ كان أكبر من استيائه من
المطالب الروسية . فقد وقع الهجوم الإيطالي على اليونان بدون
استعداد مسبق ؛ وكان هجوماً عقياً لا فائدة منه ولا جدوى ؛ ولم
يلبث أن توقف في ٣٠ تشرين الأول - أكتوبر - . وانتقلت المبادأة إلى
قبضة اليونانيين اعتباراً من يوم ٦ تشرين الثاني - نوفمبر - .

وبدهي أن تؤدي السياسة السيئة إلى كوارث عسكرية ؛ وهذا
شأنها دائماً ؛ وقد تأكدت هذه الحقيقة مرة جديدة في التاريخ من
خلال تجربة الهجوم الإيطالي على اليونان . وكان لا بد من البحث
عن ضحية للفشل ؛ فوجه موسوليني غضبه إلى الضباط القادة ؛
وخاصة (بادوليو) الذي نبّه موسوليني إلى ما تؤدي إليه المغامرات غير
المحسوبة من كوارث مؤكدة ، ولكن بدون جدوى .

ومني الإيطاليون بهزيمة بشعة في منتصف شهر تشرين
الثاني - نوفمبر - . وأصبح (بادوليو)^(١) في نظر موسوليني خائناً
وعدواً للحكم . فقدم استقالته يوم ٢٦ تشرين الثاني - نوفمبر -
وخلفه كافاليرو في الحكم يوم ٦ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤٠ .

(١) بادوليو : (BADOGLIO) واسمه بيترو PIETRO ، ماريشال إيطالي ؛ ولد
سنة ١٨٧١ ؛ وأصبح حاكماً لليبيا سنة ١٩٢٨ ثم نائباً لملك الحبشة - اثيوبيا -
سنة ١٩٣٨ ، ثم رئيساً للوزراء بعد سقوط موسوليني سنة ١٩٤٣ - وهو الذي وقع
وثيقة استسلام إيطاليا للحلفاء .

ولكن هذا التغيير لم يوقف من سيل الكوارث المتتالية ، فنزلت بالقوات الإيطالية هزيمة نكراء في (سيدي براني) في ليبيا يوم ١٠ كانون الأول - ديسمبر - ، ثم تبعثها هزائم متتالية خلال معارك الشتاء في (البردية) و (درنة) و (طبرق) ، مما دعى المارشال غرازياني للاستنجاد بالطيران الألماني ؛ فيما فكر موسوليني بطلب فرقتين مدرعتين ألمانيتين . ووجدت ألمانيا أن من مصلحتها دعم الموقف الإيطالي . فأرسلت (رومل) على رأس الفيلق الأفريقي ؛ واستطاع (رومل) السيطرة على الموقف ؛ ووضع الأمور في نصابها الصحيح .

لم تمض فترة طويلة على زيارة مولوتوف لبرلين - وهي الزيارة التي سبقت الإشارة إليها - حتى دعت هيئة الأركان العامة الألمانية الضباط العاملين في هيئات أركان الجيوش والفيالق لمؤتمر - حضره عن هيئة أركان غودريان رئيس فرع العمليات المقدم فون لينشتين والضابط الأول في العمليات الرائد بايرلين - . ولدى عودتهما من المؤتمر حملا معهما التعليمات الأولى (لخطة بربروسا) المتضمنة عمليات الهجوم على الاتحاد السوفيتي .

ولم يصدق غودريان ما سمعه : فلقد كان هتلر ينتقد بشكل عنيف القادة السياسيين الألمان في سنة ١٩١٤ لأنهم لم يتجنبوا اندلاع الحرب على جبهتين . وها هو ذاته ؛ سيتخذ القرار بشن الحرب على الاتحاد السوفيتي وهو لا زال في حرب مع انكلترا .

لقد ظهر لغودريان أن الانتصارات السريعة والحاسمة على جبهة الغرب ؛ قد أفسدت تفكير هتلر وتفكير القيادة العليا ، فتم شطب كلمة (المحال) من قاموسهم . ولم يميزوا بين الموقف على

جبهة الغرب ؛ والموقف على جبهة الشرق ؛ رغم التجارب المتتالية (منذ أيام شارل الثاني عشر ونابليون بونابرت) . ولما لم يكن باستطاعة غودريان إلا الالتزام بتوجيهات القيادة ؛ رغم عدم اقتناعه بها ؛ فقد مضى لبذل كل جهده لتنظيم الفرق الموضوعة تحت تصرفه ؛ وتجهيزها ؛ استعداداً للمهمة الشاقة والخطيرة . وكان يردد على مسامع وحداته بأن الحملة المقبلة ستكون أصعب بكثير ، وأشد قسوة ؛ من حملة بولونيا والحملة على الغرب . ولم يكن غودريان قادراً على أن يقول أكثر من ذلك لقواته ؛ إلا أنه حاول جهده بألا يذهب رجاله إلى الشرق وهم يستخفون بالمهمة التي تحمل في طياتها صعوبات جمة ، أو يستهينون بها .

ارتفع انتاج الدبابات الألمانية إلى ما يزيد على ألف دبابة من جميع الأنواع - سنوياً - . وكان ذلك قليلاً بالنسبة للانتاج الصناعي السوفييتي ، فقد كان من المعروف لألمانيا أن الانتاج اليومي لمصنع واحد للدبابات السوفييتية قد بلغ - منذ سنة ١٩٣٣ - معدل ٢٢ دبابة من نوع (كريستي روسكيج) .

وكانت القيادة الألمانية تعتمد عند تخطيطها للحملة على روسيا ، على التفوق الفني للدبابات الألمانية على النماذج السوفييتية المعروفة . غير أن هناك حادثة حملت (غودريان) على زيادة مخاوفه من الحملة على روسيا ؛ وقد تلخصت هذه الحادثة بما يلي : « سمح هتلر للجنة من الضباط السوفييت بزيارة مصانع الدبابات الألمانية ؛ والمدارس الألمانية وذلك في ربيع سنة ١٩٤١ . وأصدر تعليماته بأن يشاهدوا كل شيء . وعندما رأوا الدبابة من نموذج ٤ ، لم يصدقوا أن هذه الدبابة هي الدبابة الثقيلة في ألمانيا . وقالوا : إنكم تخفون

عنا النماذج الأخيرة على الرغم من أن هتلر قد وعد بأن نشاهد كل ما تنتجون . وقد بلغ إلحاح اللجنة من الشدة مبلغاً حمل الكثيرين من الضباط وأصحاب المصانع - وفي مقدمتهم غودريان - على القول : يظهر أن الروس يملكون منذ الآن نماذج أثقل من نماذجنا وأفضل منها . وقد صح هذا التوقع ، فقد وضعت الدبابة (ت - ٣٤) في الخطوط الأولى على الجبهة منذ نهاية شهر تموز - يوليو - ١٩٤١ وكانت أول انتاج أخرجته المصانع الروسية .

اشتركت بلغاريا في توقيع المعاهدة الثلاثية مع ألمانيا في اليوم الأول من آذار - مارس - ١٩٤١ وتبعتها يوغوسلافيا يوم ٢٥ آذار - مارس . غير أن انقلاباً وقع في بلغراد يوم ٢٧ آذار - مارس - فأفسد مخطط المعاهدة . وقامت روسيا بعقد معاهدة صداقة مع يوغوسلافيا يوم ٥ نيسان - أبريل - ، فانطلقت القوات الألمانية في حملة البلقان يوم ٦ نيسان - أبريل - .

وكان موسوليني هو الرجل الوحيد في العالم الذي ابتهج باتساع رقعة الحرب ؛ لأن حرب البلقان واليونان هي حربه ؛ ولقد شنها على الرغم من إرادة هتلر . ولقد برهنت معاهدة الصداقة الروسية - اليوغوسلافية بوضوح تام ؛ أن الخلاف بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي لا بد له وأن يتحول إلى صراع مسلح .

لقد تطورت الأحداث في البداية لمصلحة ألمانيا على كل حال ؛ فقد استولت الوحدات المدرعة الألمانية على بلغراد يوم ١٣ نيسان - أبريل - . واستسلم الجيش اليوغوسلافي يوم ١٧ نيسان - أبريل - . وتبعه الجيش اليوناني يوم ٢٣ نيسان - أبريل - على الرغم من النجدة البريطانية . واستولى المظليون الألمان على

جزيرة كريت في نهاية شهر أيار - مايو - ولو أن ثمن هذه العملية كان باهظاً جداً ، واقتسمت ألمانيا وإيطاليا والمجر وبلغاريا وألبانيا الأقاليم اليوغوسلافية . وتشكلت دولة (كرواتيا)^(١) الجديدة والمستقلة ؛ وكان يجب أن يتولى الحكم فيها الأمير الإيطالي (سبوليت) . لكن هذا الأمير لم يستقر على عرش كرواتيا القلق والمهتز ، فأعيد دمج إقليم كرواتيا بإقليم (مونتينيغرو) بناء على رغبة سيد إيطاليا - موسوليني - وأصبح دولة مستقلة . وبما أن حدود كرواتيا الجديدة لم تنطبق على حدودها الطبيعية ، فقد بدأ النزاع مع إيطاليا منذ البداية ، فبقيت (كرواتيا) هي البؤرة المتفجرة في أوروبا الوسطى .

استطاع البريطانيون من جهة أخرى احتلال الحبشة وسوريا في شهري أيار وحزيران (مايو ويونيو) سنة ١٩٤١ . وفشلت ثورة رشيد عالي الكيلاني والتي كان الألمان يأملون بانتصارها لاضعاف نفوذ البريطانيين في العراق - وفي العالم العربي عامة - .

عملت القيادة الألمانية على إعادة تنظيم قواتها البرية تنظيماً

(١) كرواتيا : (CROATIE) إحدى جمهوريات يوغوسلافيا الاتحادية ؛ عاصمتها زغرب (ZAGREB) ومساحتها ٦٢ ألف كيلومتر مربع . وسكانها من السلافيين - وكان معظمهم من المسلمين . . وكانت كرواتيا قسماً من هنغاريا القديمة . وانضمت سنة ١٩١٨ إلى صربيا (SERBIE) وسلوفيني (SLOVENIE) . فشكلت المملكة الصربية الكرواتية السلوفينية ؛ حملت بعدئذ اسم (يوغوسلافيا) . واحتلها الألمان سنة ١٩٤١ ، فأعادوا تنظيمها ؛ وقسموها . وأعيد إقليم كرواتيا بعد الحرب العالمية الثانية ليشكل إحدى جمهوريات يوغوسلافيا الاتحادية .

شاملاً ؛ استعداداً للحملة على الاتحاد السوفيتي . فشكلت ثلاثة مجموعات للجيش :

١ - مجموعة جيوش الجنوب بقيادة المارشال فون رونشتد ، وانتشرت جنوبي مستنقعات برييت ؛ ودعمت بمجموعة بانزر .

٢ - مجموعة جيوش الوسط بقيادة المارشال فون بوك ؛ وانتشرت بين مستنقعات برييت وبين جيب سوفالكي ودعمت بمجموعتي بانزر - إحداها مجموعة غودريان - .

٣ - مجموعة جيوش الشمال بقيادة المارشال فون ليب ؛ وانتشرت في بروسيا الشرقية ، ودعمت بمجموعة بانزر واحدة .

تشكلت مجموعة غودريان من ثلاث فيالق (وأطلق عليها اسم مجموعة البانزر الثانية) وقد ضمت هذه المجموعة :

« ١ - الفيلق ٢٤ وضم فرقة البانزر الثالثة وفرقة البانزر الرابعة وفرقة المشاة الآلية - الميكانيكية - العاشرة ؛ وفرقة الفرسان الأولى .

٢ - الفيلق المدرع ٤٦ وضم فرقة البانزر العاشرة ؛ وفرقة المشاة الآلية داس رايخ واللواء هوسار ولواء المشاة غروس دوتشلاند .

٣ - الفيلق المدرع ٤٧ وضم فرقة البانزر السابعة عشرة ، وفرقة البانزر الثامنة عشرة وفرقة المشاة الآلية التاسعة والعشرين » .

ووضعت تحت قيادة غودريان أيضاً مجموعة طيران مقاتل ولواء مدفعية مضاد للطائرات - هيرمان غورنغ - ووحدات دعم أخرى .

كان نهر (بوغ) هو خط الحدود الطبيعي بين حكومة بولونيا التابعة للإدارة الألمانية ؛ وبين الأراضي التابعة للإدارة السوفيتية .

وقد تلقت مجموعة غودريان مهمتها كالتالي :

« اجتياز نهر بوغ يوم الهجوم (ي) من جانبي حصن برست - ليتوفسك ؛ واختراق الجبهة الروسية ، ثم استثمار النصر للوصول إلى منطقة روسلاف - يلينا - سمولنسك . ومنع العدو من إعادة تنظيم قواته وتشكيل جبهة جديدة . وخلق الظروف المناسبة لتحقيق النجاح الحاسم في الحملة منذ العام ١٩٤١ ، وستصل مجموعة البانزر تعليمات جديدة بعد بلوغها هدفها الأول » .

قام (غودريان) بالاستناد لهذه المهمة ، بتقسيم قواته على قطاعات الهجوم ؛ وشكل منها ثلاثة مجموعات (الجناح الأيمن ؛ والوسط ؛ والجناح الأيسر) مع الاحتفاظ بقوة احتياطية من البانزر ، وحدد للمجموعات واجباتها وأهدافها .

جمع هتلر - في برلين - الجنرالات قادة مجموعة الجيوش وقادة الجيوش وقادة مجموعات البانزر - يوم ١٤ حزيران - يونيو - ١٩٤١ ، وشرح لهم الأسباب الكامنة وراء نية الهجوم على الاتحاد السوفيتي ، وتلقى منهم التقارير النهائية عن الاستعدادات .

جرى بعد ظهر اليوم ذاته مؤتمر عسكري لمناقشة تحضيرات الهجوم ، وسئل غودريان عن عدد الأيام التي يحتاجها للوصول إلى مينسك ؛ فأجاب (٥ - ٦) أيام .

وفي اليوم التالي (١٥ حزيران - يونيو) استقل غودريان الطائرة ، وانتقل من برلين إلى فارصوفيا ؛ حيث تمركزت هيئة أركانه ؛ فاتخذ الإجراءات الضرورية ، وأمضى أيامه التالية في

تفتيش القوات ، واستطلاع مناطق انطلاقها للهجوم ؛ وزيارة التشكيلات المجاورة لتنظيم التعاون معها ، مع الاستمرار بجمع المعلومات عن القوات السوفيتية المنتشرة في الجبهة وفي عمق مسرح العمليات .

كان لدى ألمانيا قبل عشية الهجوم على الاتحاد السوفيتي ٢٠٥ فرق ، خصص منها ١٤٥ فرقة للهجوم على الاتحاد السوفيتي ؛ ووزعت البقية على النحو التالي : (٣٨ فرقة في الغرب و ١٢ فرقة في النرويج وفرقة واحدة في الدانمارك و ٧ فرق في البلقان وفرقتان في ليبيا) . وتساءل غودريان : أليس من الأفضل زج كل الفرق المتوافرة ؛ وسحبها من مسارح العمليات المختلفة ؛ للعمل على جبهة الشرق ؛ من أجل حسم الصراع على نحو ما هو مطلوب (بسرعة وقبل قدوم فصل الشتاء) ؟

لقد كان ترك هذه الفرق بعيداً عن مسرح العمليات الرئيسي هو نتيجة التقويم الخاطئ للقيادة الألمانية العليا عن القدرة الصناعية للاتحاد السوفيتي ؛ وعن قوة النظام وتماسكه ، ولم يكن باستطاعة غودريان أن يفعل شيئاً ، إلا أن ينتظر ما سينجلي عن الصراع المسلح .

٦ - مينسك وسمولنسك

أقبل أخيراً يوم ٢٢ حزيران - يونيو - ١٩٤١ ؛ وهو اليوم الذي ميزه القدر عن سواه من الأيام بأن جعله موعداً لبداية أضخم تحول في أحداث القرن العشرين . ففي هذا اليوم انطلقت فيالق ألمانيا للهجوم على الاتحاد السوفيتي .

وكان غودريان على موعد مع قدره لتحقيق انتصارات جديدة وحاسمة ، ففي الساعة ١٠, ١٢ من فجر يوم ٢٢ حزيران - يونيو - انتقل غودريان إلى مقر قيادته التكتيكي ؛ ووقف في برج المراقبة الواقع على بعد ١٥ كم إلى الشمال الغربي من برست - ليتوفسك . وفي الساعة ٣, ١٥ ؛ تمزق صمت الليل ؛ واضاءت السماء بوهج الانفجارات والنيران ؛ لقد فتحت أبواب جهنم ؛ وانطلقت المدفعية للعمل بأقصى قدرتها واستطاعتها ، ثم تبعثها أسراب الطائرات القاذفة للقنابل في الساعة ٣, ٤٠ . وتحركت دبابات البانزر للانطلاق من قواعد الهجوم في الساعة ٤, ١٥ ؛ ولما يكد ضياء الفجر يطل من الأفق ، وتم عبور نهر (بوغ) بقفزة واحدة . وغادر غودريان برج المراقبة في الساعة ٦, ٥٠ ؛ ليتحرك على رأس قواته ؛ ومعه جهاز قيادته المشكل من عربتين مدرعتين مجهزتين باللاسلكي وبعض العربات التي تسير على جميع الطرق (مجنزرات أو ذات سلاسل) وبعض راكبي الدراجات .

لقد بوغنت القوات السوفيتية مباغته كاملة ؛ وهيمن عليها الذهول ، غير أنها سرعان ما استعادت قدرتها على المقاومة ؛ وتصدت لقوات الغزو الألماني ودارت اشتباكات قصيرة وعنيفة لم تتمكن من تعطيل أو تأخير تقدم قوات الغزو .

وفي المساء ؛ كانت قوات غودريان تخوض معاركها حول مدن (مالوريتا ؛ وكوبرين ؛ وبرست - ليتوفسك وبروزانا) .

وأمضى غودريان أيامه التالية متنقلاً بين فرقته المتقدمة ؛ متابعاً للاشتباكات التي كانت تحدث بين فترة وأخرى ؛ ولم تعد أسماء المدن بالنسبة له مجرد أسماء غامضة ؛ وإنما أصبحت معالم

واضحة على طريق التقدم السريع نحو الهدف ؛ ولقد ارتبطت أسماء هذه المدن بمعاركها الضارية ، من أمثال كارتوسكا وسولزلك وكارتوسكا وسلونيم وفيلنو وكوفنو وجزر آلد وبارانوفيتسي وستولبي وليسنا وسلوتسك ؛ وأسماء كثيرة غيرها ؛ إنها قد لا تعني شيئاً بالنسبة لأي قارئ ؛ بل إنها قد تربك تفكيره لو حاول حفظها ، وقد تربك لسانه لو حاول لفظها ، غير أنها بالنسبة لغودريان وفيالقه المدرعة ؛ هي الوجود ؛ في مرحلة معينة وفي ظروف معينة من هذا الوجود .

غير أن أهم هذه الأسماء هو اسم (مينسك)^(١) المدينة التي توقع غودريان أن تصلها قواته يوم ٢٧ حزيران - يونيو - أي بعد ٥ أو ٦ أيام من بداية الهجوم . وها هي فرقة البانزر ١٧ وقد وصلت إلى التخوم الجنوبية من مدينة (مينسك) يوم ٢٧ حزيران - يونيو - وقامت بالاتصال مع مجموعة البانزر الثالثة التي دخلت المدينة في اليوم السابق ؛ بعد أن حوّلت الحرب هذه المدينة إلى أنقاض .

لقد حققت مجموعة غودريان أول نصر كبير لها باستيلائها على مينسك ؛ وحاولت أعداد كبيرة من الجنود السوفييت الهرب باتجاه الشرق ؛ غير أن طوق الحصار الذي أحكمته دبابات البانزر منعت كل محاولة لهروب قوات كبيرة ؛ وأمكن أسر أعداد كبيرة من المقاتلين ، ولم يتمكن من الإفلات من طوق الحصار سوى أعداد قليلة . ورأى غودريان أن يترك قوات قليلة - ومن المشاة - ليندفع بالكتلة الرئيسة من دبابات البانزر لتحقيق هدفه الاستراتيجي

(١) مينسك : (MINSK) مدينة من مدن الاتحاد السوفيتي ، وهي عاصمة روسيا البيضاء - بيلاروسا - تقع على نهر سفيسلوتش (SVISLOTCH) .

بأسرع ما يمكن ؛ وهو الوصول إلى خط سمولنسك - يلنا -
روسلاف .

تتابعت المعارك في يوم ٢٩ حزيران - يونيو - . وكانت عنيفة ؛
ضارية ؛ في قطاع زلفينكا . وكان على (غودريان) أن يتنقل في
اليوم ٣٠ حزيران - يونيو - بالطائرة لتنظيم التعاون مع القوات
المجاورة ؛ وفيما بين قوات مجموعة غودريان ذاتها (بين الفيالق
والفرق) ، فيما كانت القوات تتابع تقدمها .

ولم يكن لغودريان ما يخشاه بشأن الامداد بالوقود والذخائر
وإخلاء الجرحى وتأمين الخدمات الهندسية ، فقد كانت الأمور تسير
بدقة متناهية ؛ ووفقاً لما هو مخطط لها . وقد أصدرت القيادة العامة
للجيش أمرها في هذا اليوم ذاته (٣٠ حزيران - يونيو -) للوصول
إلى نهر (الدنيبر) . وأن تقوم قوات قتالية قوية بتأمين المعابر على
نهر الدنيبر في مدن (روكاتشيف وموهيليف وأورشلا وفيتبسك
وبولتسك) .

وجاءت تقارير الاستطلاع لتؤكد ضرورة التحرك بسرعة
للوصول إلى هذه المدن ، والاستيلاء على المعابر والجسور فيها ،
ذلك لأن القيادة السوفيتية كانت تحشد قوات ضخمة في منطقة
سمولنسك - أورشا - موهيليف . هذا فيما كان القتال العنيف الذي
بدأ منذ يوم ٢٦ حزيران - يونيو - مستمراً في جيب بياليستوك
بعنف وضراوة ؛ مما اضطر غودريان لزج عدد من فرقه المدرعة في
الصراع ؛ إلى أن تم تحطيم المقاومة في جيب بياليستوك يوم
٣ تموز - يوليو - حيث تم أسر ٣٦ ألفاً من مقاتلي القوات

السوفييتية ، وصار باستطاعة فيالق غودريان متابعة تقدمها نحو (الدينير) .

لقد كان لزاماً على غودريان اتخاذ قراره يوم ٧ تموز - يوليو - بمتابعة تقدمه السريع ، واجتياز نهر الدينير عنوة بقواته المدرعة وحدها . فقد كان وصول المشاة حتى المواقع التي وصلتها القوات المدرعة يتطلب أربعة عشر يوماً ؛ وهي مدة كافية حتى تتمكن القيادة السوفييتية من دعم تجمعاتها القوية في (غومل) وفي (سنو) شمال أورشا . ووضع خطته للهجوم ؛ وحدد يوم ١٠ تموز - يوليو - موعداً لتنفيذها . وقام بإيضاح خطته لقادة فيالقه وقادة فرقته ، ثم حدد الواجبات لكل تشكيل مقاتل ؛ ونظم التعاون بين التشكيلات المختلفة ؛ وكان عليه في الوقت ذاته ؛ مجابهة الهجمات المضادة القوية التي كانت تقوم بها القوات السوفييتية .

وأمكن عبور نهر الدينير يوم ١٠ تموز - يوليو - بنجاح كبير وبخسائر محدودة . وانطلق (الفيلق المدرع ٤٧) نحو هدفه الرئيسي وهو مدينة سمولنسك . وكان عليه أيضاً تغطية جناحه الأيسر المواجه لنهر الدينير .

غادر غودريان مقر قيادته يوم ١١ تموز - يوليو - وهو المقر الذي استخدمه نابليون بوناپرت مقراً لقيادته في (تولوتسينو) سنة ١٨١٢ وعبر نهر الدينير في الساعة ١٠، ١٦؛ ومضى لتفقد القوات ؛ ومتابعة المعارك الضارية التي كانت تخوضها الفرق المتقدمة ، وعلى سبيل المثال فقد تمكنت فرقة البانزر ١٧ ؛ أن تحبط الهجمات المضادة السوفييتية وأن تدمر ٥٠٢ دبابة . وكان على غودريان أن يدفع باستمرار قوات المشاة لتلحق بقوات البانزر ؛ وأن

يستثمر كل نجاح تحقّقه بعض الفيالق ليدفع بالمزيد من القوات نحو المحاور التي أمكن اختراقها بنجاح . وهكذا حتى يوم ١٦ تموز - يوليو - حيث تمكنت فرقة المشاة الآلية - الميكانيكية - ٢٩ من الاستيلاء على سمولنسك وبذلك حققت مجموعة غودريان هدفها الاستراتيجي الأول . وترددت أصداء سقوط (سمولنسك)^(١) قوية في أرجاء العالم . وأسرعت القيادة الألمانية العليا لمكافأة قائد النصر ؛ فمنحت غودريان وسام الفارس ؛ فكان الخامس الذي ينال هذا الوسام في الجيش البري ؛ والرابع والعشرين من القوات الألمانية .

ولم تلبث قوات غودريان المتقدمة حتى استولت على ييلنا في الأيام التالية ؛ وكان على غودريان وقواته مواجهة ردود الفعل الغاضبة للقيادة السوفيتية وقواتها ؛ إذ بدأت القوات السوفيتية في التدفق من الجنوب نحو ييلنا وسمولنسك ؛ حيث دارت معارك ضارية ؛ مما أرغم غودريان على إيقاف قواته ، وتوجيه الجهد كله نحو القوات السوفيتية لإحباط مقاومتها . ولقد استمر الصراع المرير طوال ما بقي من شهر تموز - يوليو - (وعلى سبيل المثال فقد شنت القوات السوفيتية يوم ٣٠ تموز - يوليو - ١٣ هجوماً مضاداً في قطاع ييلنا فقط) .

وخشي غودريان أن تتكرر تجربة الحرب العالمية الأولى ؛ وأن يهيمن الجمود على الجبهة فتتحول حرب الحركة إلى حرب خنادق

(١) سمولنسك : (SMOLENSK) مدينة روسية في الاتحاد السوفيتي تقع على نهر الدنيبر DNIEPER . وهي مركز اقتصادي وصناعي هام ؛ انتصر فيها الفرنسيون على الروس سنة ١٨١٢ .

ومواقع . ولهذا فقد اتخذ قراره بالهجوم على (روسلاف) وبذلك
تتاح لقواته فرصة التوغل إلى عمق الجبهة والسيطرة على طرق
المواصلات المؤدية إلى الشرق وإلى الجنوب وإلى الجنوب الغربي .

وحدد اليوم الأول من آب - أغسطس - ١٩٤١ موعداً لهذا
الهجوم . وأعاد تنظيم قواته ، رغم معارضة بعض القيادات
لخطته . وقد استطاعت فرق البانزر المتقدمة اجتياح المقاومات التي
اعترصتها ؛ وأمكن لها في اليوم التالي (٢ آب - أغسطس)
الاستيلاء على روسلاف . وأصدر غودريان أوامره إلى فرقه المتقدمة
بالاندفاع على طريق موسكو . وهكذا أغلق الجيب على الروس في
(روسلاف) وتم تطويق ثلاث فرق روسية .

لقد كان غودريان يأمل في أن يطور هجومه للوصول إلى
موسكو ؛ بأسرع ما يمكن ؛ وإنهاء الحرب قبل قدوم فصل الشتاء ؛
لكن القيادة الألمانية العليا تدخلت لتحويل جهد الحرب نحو
أوكرانيا .

٧ - التحول من موسكو إلى كيف

تلقى (غودريان) دعوة للحضور يوم ٤ آب -
أغسطس - ١٩٤١ إلى (نوفيج بوريسوف) حيث مقر قيادة مجموعة
جيوش الوسط ؛ وذلك لاطلاع هتلر على الموقف بعد أن وصلت
الحرب على جبهة الشرق إلى منعطف حاسم . وكان هذا الاجتماع
الذي دعي إليه قادة الجيوش والمجموعات والفيالق هو الاجتماع
الأول الذي يحضره هتلر وكبار القادة منذ بداية الحملة على روسيا .
وقد استقبل هتلر القادة واحداً تلو الآخر ؛ وتحدث إلى كل منهم

على انفراد ؛ ولهذا لم يعرف أي منهم ما قاله الذي سبقه إلى
المقابلة .

واتفق قادة مجموعة الجيوش على أن متابعة الهجوم على
موسكو هي الأمر الهام أو الحاسم . واقترح غودريان أن يبدأ هجومه
على موسكو في يوم ١٥ آب - أغسطس - . ومن ثم بدأ هتلر في
توجيه حديثه إلى المجتمعين ؛ فجعل الهدف الأول هو الهجوم على
المنطقة الصناعية حول لينينغراد ؛ ثم تساءل : هل ينبغي الاندفاع
بعد ذلك نحو موسكو أو نحو أوكرانيا ؟ ولم يحدد إجابة حاسمة
ونهاية ؛ إلا أنه أبدى ميله إلى الحل الثاني ؛ لأنه كان يتوقع نجاح
مجموعة الجيوش الجنوبية ؛ وكان يرى أنه بحاجة إلى المواد الأولية
والتموين من أوكرانيا لمتابعة الحرب وأنه بذلك يهيمن على شبه
جزيرة القرم - وفيها القاعدة التابعة للاتحاد السوفيتي والموجهة ضد
حقول البترول في رومانيا - . كذلك كان يأمل في احتلال موسكو
وخاركوف قبل حلول فصل الشتاء . ولم يتخذ أي قرار في هذا اليوم
في تحديد اتجاه الهجوم القادم .

ثم تحدث هتلر إلى غودريان ؛ فأبرز له ضرورة الاحتفاظ بنهر
(بيلنا) حتى تكون الأرض التي تحتلها قواته هي قاعدة الانطلاق
نحو موسكو . وتحدث غودريان ؛ فأظهر لهتلر ضرورة تبديل
المحركات المهترئة للدبابات والتي تآكلت بسبب كثرة الغبار ؛ لا سيما
من أجل القيام بعمليات بعيدة المدى ، وكذلك ضرورة تبديل
الآليات القديمة بآليات جديدة . وبعد مناقشات طويلة ؛ وعد هتلر
بإرسال (٣٠٠) محرك فقط للدبابات في الجبهة الشرقية . فعاد
غودريان وأكد أن هذا العدد قليل جداً ؛ ورفض هتلر إرسال

دبابات جديدة لأنه كان يحتفظ بها في ألمانيا لتشكيل قوات جديدة .

وتحدث غودريان عن التفوق الساحق لأعداد الدبابات السوفيتية . وأنه إذا لم يتم التعويض عن الخسائر فإنه سيكون من الصعب التغلب عليها . ورد عليه هتلر بقوله : « لو كنت على يقين من أن عدد الدبابات التي ذكرتها في كتابك حقيقياً ؛ لما بدأت هذه الحرب على ما أعتقد » . وكان غودريان قد ذكر في كتابه - إننبه البانزر - الذي صدر سنة ١٩٣٧ ؛ إن سلاح الدبابات السوفيتي يضم عشرة آلاف دبابة . لكن قيادة الجيش حاولت منع ذكر هذا الرقم . فأجرى غودريان بحثاً إضافياً ، وإتصالات عديدة ؛ أكدت له أن عدد الدبابات في تلك الفترة هو ١٧ ألف دبابة سوفيتية ، أي أنه أنقص العدد بسبعة آلاف دبابة ؛ فرفع مذكرة جاء فيها أنه « لا يجوز اتباع سياسة النعامة ، وإغماض الأعين إذا ما أردنا تجنب الحظر الذي يتهددنا » . وبذلك تم ذكر الرقم . غير أن هتلر وجهاز قيادته مضوا في اتباع سياسة النعامة في المجالات الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية . فكان لا بد لغودريان من الصدام بهذا الواقع .

قرر غودريان وهو في طريق عودته بالطائرة إعداد خطة الهجوم على موسكو . وعند وصوله أسند إلى هيئة أركانه مهمة الإعداد للهجوم ؛ على أن تزج الفيالق المدرعة على الجناح الأيمن في المسير على طريق موسكو ، بينما تتقدم فيالق المشاة في الوسط وعلى الجناح الأيسر . وقد وضع غودريان في اعتباره إمكان اختراق الجبهة السوفيتية التي كانت العمق ؛ ابتداء من طريق موسكو ؛ وتركيز الجهد الرئيسي على الجناح الأيمن ؛ مما يتيح فرصة طرد القوات

السوفييتية إلى فيازما ، ممهداً للاختراق باتجاه موسكو .

إنتهت معركة (روسلاف) بنجاح . وكانت النتيجة (يوم ٨ آب - أغسطس ١٩٤١) الاستيلاء على مائتي دبابة وأسر ٣٨ ألف مقاتل سوفيتي . وتابعت القوات تحسين أوضاعها . وكان موقف السكان ودياً حميماً ؛ فقد أسرع نساء إحدى القرى الواقعة في منطقة القتال للترحيب بالقوات الألمانية ، وحملن إلى غودريان الخبز والزبدة والبيض في صحنون خشبية ؛ ولم يتركنه حتى أكل مما حملنه إليه معهن(*) .

خاب أمل (غودريان) يوم ١١ آب - أغسطس - عندما تم إبلاغه رفض القيادة العليا للمخطط الهجومي الذي اقترحه . ولكنه لا زال يأمل في أن تعيد القيادة العليا نظرها ؛ ومن أجل ذلك ؛ قام

(*) وقد تكررت مثل هذه الظواهر في كل مكان . وقد جاء في مذكرات إريك كيرن - رقصة الموت - (ERICH - KERN (DANCE OF DEATH) 102 , 94 , 86 P.P 1948 ما يلي : « كان هناك في كل أنحاء روستوف أناس ينتظرون في الشوارع لحظة وصولنا ، وقد استعدوا لتحيتنا وللترحيب بقدمونا . إنني لم أشاهد قبل ذلك أبداً تغييراً مبالغاً بمثل هذه السرعة . لم يبق للبلشفية وجود ، لقد ذهب العدو . لقد كنا نصادف في كل يوم ذهبنا إليه أناساً يرحون ويضحكون وهم يشيرون إلينا . لقد تداعت مفاصل الأباطورية السوفييتية في كل مكان » .

لقد استقبل الشعب السوفيتي القوات الألمانية في كل مكان ؛ ولقد اعتبر الأوكرانيون أن هتلر هو محرر أوروبا ؛ وكان الروس البيض راغبين كل الرغبة في القتال إلى جانب الألمان . ثم جاء هملا وأجهزة الأمن - والغستابو - فأفسدوا كل شيء ؛ وعاملوا الروس والأوكرانيين أسوأ معاملة . وهكذا ففي الوقت الذي ظهر إفلاس البولشفية على المستوى السياسي إفلاساً مريعاً ؛ جاء هتلر وأجهزته فأنقذوا البولشفية ، وعززوا مواقعها السياسية ، فأيقظوا في الشعب الروسي الحماسة لقضية (الحرب الوطنية) .

يوم ١٣ آب - أغسطس - بزيارة استطلاعية للجبهة في منطقة (دسنا - شرقي روسلاف) ، وشاهد اللافتات ولوحات السير على جانبي الطريق المؤدية إلى موسكو ؛ وقد كتب عليها (اتجاه موسكو) . وكانت الوحدات العسكرية قد وضعت لافتات كهذه في كل مكان ؛ بانتظار التقدم المحتمل نحو العاصمة السوفيتية ، هذا فيما كانت القوات الألمانية تتابع صراعها في منطقة (كريتسيف) وقد أحرزت في يوم ١٤ آب - أغسطس - انتصاراً رائعاً عندما دمرت ثلاث فرق سوفيتية وأسرت ١٦ ألف جندي ، بالإضافة إلى غنائم ضخمة من المدافع والوسائل القتالية ، مع الاستيلاء على مدينة (كوستجوكوفيتسي) .

تلقى غودريان أمراً بالحضور إلى مقر قيادة مجموعة جيوش الوسط يوم ٢٣ آب - أغسطس - لمناقشة الموقف ؛ وحضر الاجتماع رئيس هيئة الأركان العامة للجيش البري ، الجنرال هالدر ، الذين أعلن أن هتلر عازم على إيقاف التحرك باتجاه لينينغراد أو باتجاه موسكو ، وذلك من أجل تحويل الجهد للاستيلاء على أوكرانيا أو شبه جزيرة القرم . وتبع ذلك نقاش بين كبار القادة على أن تحويل الاتجاه نحو كييف ، سيؤدي حتماً إلى شن الحرب في الشتاء ، وإلى حدوث ارتباك حتى في القيادة العليا للجيش البري . كما جرى نقاش بشأن الطريقة المثلى لإقناع هتلر وحمله على (تبديل قراره) . وتم الاتفاق على أن يقوم غودريان بمرافقة رئيس هيئة الأركان العليا - الجنرال هالدر - لمقابلة الفوهرر . ووافق غودريان على الاضطلاع بالمهمة . واستقل الطائرة في عصر ذلك اليوم ، ووصل مساء إلى مطار (لوتزن) في بروسيا الشرقية . وما كاد يهبط

من الطائرة ، حتى قابل القائد العام للقوات البرية - المارشال فون براوختش - الذي وجه إلى غودريان الكلمات التالية :

« أمنعك من مقابلة الفوهرر وعرض قضية موسكو عليه .
لقد صدرت الأوامر لتنظيم العملية باتجاه الجنوب ؛ ولم يبق سوى
تحديد مجراها ؛ وكل محاولة في هذا السبيل هي محاولة فاشلة » .
فطلب غودريان عندها السماح له بالعودة إلى مجموعته ؛ البانزر ؛
فرفض براوختش ؛ وأمره بالذهاب إلى هتلر وإطلاعه على موقف
مجموعته ؛ وألا يتعرض لذكر موسكو .



جودل، وهتلر، وبروشيتش

وهكذا توجه غودريان لمقابلة هتلر ؛ الذي أحاطت به مجموعة
من كبار القادة (كيتل وجودل وشمندت وسواهم) ، فعرض عليه

موقف قوات البانزر وما وصلته إليه من استنزاف ؛ وأوضح خصائص تضاريس الأرض التي تعمل عليها . وبعد انتهاء غودريان من الادلاء بمعلوماته ؛ سأله هتلر :

- « هل تعتقد أن باستطاعة قواتك بذل جهد أكبر ؛ بعدما قامت به هذه القوات من الأعمال ؟ »

وأجاب غودريان : « نعم ؛ إذا حددت للقوات أهداف رئيسة يستطيع كل جندي إدراك أهميتها » .

فقال هتلر : « بالطبع ، إنك تفكر بموسكو ! »

وأجاب غودريان : « نعم ؛ ولأنك تطرقت لهذا الموضوع ، إسمح لي بأن أبدي الأسباب الموجبة » .

وانطلق غودريان في حديثه ؛ فشرح لهتلر بأسهاب تلك الأسباب الداعية إلى متابعة العمليات على اتجاه موسكو ؛ والأسباب الداعية إلى إيقاف الهجوم على كييف . وبين - من وجهة النظر العسكرية - كيف ينبغي تحطيم القوات المقاتلة المعادية في تلك الفترة ؛ بعدما لقيته من مشاق وآلام في الاشتباكات الأخيرة ، ووصف أهمية الاستيلاء على العاصمة السوفيتية من الناحية الجغرافية ؛ وموقعها المختلف عن أهمية موقع باريس ؛ فهي مركز شبكة المواصلات والاتصالات ؛ وهي القلب السياسي للاتحاد السوفيتي . وهي أيضاً المنطقة الصناعية الهامة ؛ ولهذا فسيكون لسقوطها تأثير عظيم على الشعب الروسي وعلى سائر شعوب العالم .

وتحدث غودريان عن القوة المعنوية للوحدات والتي لم تعد

تريد إلا التوجه نحو موسكو ، وقد استعدت للقيام به بحماسة نادرة .

وحاول غودريان تقديم البراهين على أن الانتصار العسكري في الاتجاه الحاسم وعلى كتلة القوات الرئيسة للعدو ، سيسهل مهمة القوات المهاجمة في المناطق الاقتصادية من أوكرانيا ، وسيعيق عملية انتقال القوات السوفييتية من الشمال إلى الجنوب بعد الاستيلاء على موسكو ؛ عقدة المواصلات .

وأكد غودريان أن قوات مجموعة جيوش الوسط قد باتت على استعداد للمسير إلى موسكو ، في حين يسبب التحرك على اتجاه كييف ؛ وبالتالي باتجاه ألمانيا ، ضياعاً كبيراً للوقت ؛ مما يجعل هذا التحرك عديم الجدوى . وذكر أن المسير عندما يبدأ من اتجاه موسكو نحو الاتجاه المعاكس ؛ فإنه يتطلب قطع المسافات ذاتها (روسلاف - لوكفيتسا) ، أي ما يعادل ٤٥٠ كيلومتراً ؛ وهذا يعني استهلاك كبير للقوى والأعتدة . ووصف حالة الطرق في قطاع الهجوم ؛ معتمداً على التجربة التي عاناها وقواته المدرعة في (أونتشا) ، وعلى صعوبات الإمداد والتموين التي ستتزايد يوماً بعد يوم في حال التوجه نحو أوكرانيا .

كما أبرز غودريان ما سيؤدي إليه تأخير العمليات من نتائج وخيمة إذا ما سارت هذه العمليات في طقس رديء ؛ وعندها سيكون قد فات الأوان لتوجيه ضربة حاسمة في هذه السنة إلى موسكو على نحو ما هو مخطط لها . وختم حديثه بقوله : وحتى إذا كانت كل الاعتبارات الأخرى صحيحة ؛ فينبغي إرجاؤها حيال

الضرورة الملحة ؛ وتنفيذ القرار العسكري الحازم .

ترك هتلر لغودريان الفرصة الكاملة للتحديث بذلك كله ؛ دون أن يقاطعه ؛ ثم تكلم ، فشرح شرحاً مفصلاً ووافياً الأسباب الداعية إلى اتخاذ قرار آخر ؛ فقال : إن المواد الأولية وقواعد تموين أوكرانيا هي أمور حيوية لا بد منها لمتابعة الحرب .

وانطلاقاً من هذه الفكرة . فإنه أبرز مرة أخرى شبه جزيرة القرم التي هي بمثابة حاملة طائرات سوفيتية للحرب من أجل البترول الروماني الذي ينبغي الحيلولة بينه وبين السوفيت . وسمع غودريان من هتلر وللمرة الأولى قوله : « متى يفهم قادتي - جنرالاتي - معنى الاقتصاد الحربي ؟ » .

أدت أحاديث هتلر إلى اتخاذ القرار الحازم للبدء بالهجوم على كييف فوراً ؛ وبدون تمهل ؛ وتحديد الهدف الاستراتيجي الأول بهذا الهجوم على (كييف) . وقد ذهل غودريان ، إذ رأى موافقة جميع الحضور على كل كلمة نطق بها هتلر ؛ ولم يخالفه أحد . وشعر غودريان بالأسف لوقوفه وحيداً في مواجهة التيار ؛ وكم تمنى لو كان معه فون براوختش أو هالدر أو سواهما من قادة الجيش البري والذين كانوا يشاطرونه رأيه .

وأدرك غودريان أن القيادة العليا للجيش الألماني تشكل جبهة موحدة الرأي في هذا الأمر الخطير . ولهذا فقد اتخذ قراره بسرعة بتجنب الصدام مع القائد الأعلى للرايخ ؛ بحضور معاونيه ، والالتزام بما قرره هذه القيادة . ولكن ؛ وحتى يضمن غودريان لنفسه فرص النجاح لتنفيذ المهمة الجديدة ؛ فقد استأذن هتلر بالمحافظة على قوة مجموعة البانزر ؛ وعدم توزيعها أو سحب أية قوة

منها ، مما يساعد على جسم الصراع بسرعة وقبل حلول فصل الخريف ؛ لأن الأمطار ستحول المنطقة إلى مستنقعات ؛ وتشل حركة الوحدات الآلية ؛ فوعده هتلر بذلك .

لم يكن غودريان عندما قابل هتلر يوم ٢٣ آب - أغسطس - قد علم بالأمر الذي أصدره هتلر في اليوم الذي سبق المقابلة (وهو يوم ٢٢ آب - أغسطس -) والذي أصبح أساساً للعمليات . وقد تضمن هذا الأمر ما يلي - :

« إن المخطط الذي وضعته القيادة العليا للقوات البرية في يوم ١٨ / ٨ / ١٩٤١ والخاص بمتابعة العمليات المقبلة ؛ هو مخطط لا يتفق وتعليماتي ؛ لذلك أمر بما يلي :

أولاً : ليس الهدف الأساسي الذي يجب تحقيقه ؛ قبل حلول فصل الشتاء ؛ هو الاستيلاء على موسكو ؛ بل احتلال شبه جزيرة القرم ؛ والمنطقة الصناعية المنتجة للفحم في حوض (دونيتز) وإعاقة تموين البترول القادم من القفقاس إلى الوحدات السوفيتية ، ويجب العمل في الشمال لعزل منطقة لينينغراد ، وتحقيق الاتصال بفنلندا .

ثانياً : لقد أتاح لنا احتلال خط (غوفل - بوتسيب) تكوين موقف استراتيجي مناسب ؛ يجب استخدامه على الفور للقيام بعملية التفاف تنفيذها الأجنحة الداخلية من مجموعتي جيوش الوسط والجنوب . وليس ذلك بهدف طرد الجيش السوفيتي الخامس إلى ما وراء نهر الدنيبر بهجوم يشنه الجيش السادس فحسب ؛ وإنما بهدف تدمير العدو قبل أن يتحصن وراء خط دسنا - كونوتوب - قطاع سولا . ومن أجل ذلك تقوم مجموعة جيوش الجنوب بالتمركز إلى

الشرق من نهر الدنيبر الأوسط ؛ وبمتابعة العمليات على اتجاه روستوف - خاركوف ، بقواتها الرئيسة وجناحها الأيسر .

ثالثاً : تقوم مجموعة جيوش الجنوب ؛ وبدون الأخذ بأي اعتبار للعمليات المقبلة ؛ بزج قوات كافية لبلوغ هدفها وهو تدمير الجيش السوفييتي الخامس مع المحافظة على استعدادها لصد الهجمات المعادية في مواضع تسمح لها بالاقتصاد في القوى .

رابعاً : إن لاحتلال شبه جزيرة القرم أهمية كبيرة في تموين وحداتنا بالبتروول الروماني » .

وإستناداً لهذا الأمر ؛ أصدرت القيادة العليا للجيش البري يوم ٢٣ آب - أغسطس - (أي عندما كان غودريان يقابل هتلر) أمراً إلى مجموعة جيوش الوسط تضمن : « القيام بتحطيم القوات الرئيسة من الجيش السوفييتي الخامس ؛ والعمل بأقصى سرعة لفتح ممر على نهر الدنيبر ؛ تعبره مجموعة جيوش الجنوب . وتكون لهذه الغاية مجموعة تعبوية - تكتيكية - بقيادة الجنرال غودريان ؛ على أن يندفع الجناح الأيمن إلى تشرنيغوف ؛ ويتجاوزها » .

وهكذا ؛ فعندما قابل غودريان هتلر ؛ كان على جهل تام بالتطورات المتسارعة التي اتخذتها القيادة ، وذهب إلى النوم بعد مقابلته ؛ وهو خاضع لها جس العمليات القادمة .

وفي اليوم التالي (١٣ آب - أغسطس) ، استقل الطائرة عائداً إلى مقر قيادته بعد أن أجرى عدداً من المقابلات غير السارة مع القيادة العليا للجيش البري ؛ ورجع إلى قاعدة عملياته وقد حمل

معه الأمر القاضي ببدء العمليات على اتجاه أوكرانيا اعتباراً من يوم ٢٥ آب - أغسطس - ١٩٤١ .

٨ - معركة كييف

إتخذ غودريان الاجراءات الضرورية للهجوم على اتجاه (كييف)^(١) ، وأعاد تنظيم قواته ، وتوجه في الساعات الأولى من صباح يوم ٢٥ آب - أغسطس - ١٩٤١ إلى فيلق البانزر السابع عشر ؛ والذي كان عليه العمل على محور الجهد الرئيسي . ورافق غودريان هذا الفيلق إلى ما بعد نهر (سودوست) ورافده (نهر روغ) الجاري نحو الجنوب . ولما كان غودريان مضطراً للسير على طرق رملية ؛ فقد اضطر لتبديل عدد من المركبات ؛ إلى أن عمل بعد الظهر إلى طلب عربات مدرعة للقيادة حتى يتمكن من متابعة التحرك في قيادة المقدمة . وهكذا مضى اليوم الأول للتحرك الذي لم يرافقه ، أو لم يحدث خلاله ؛ الا اشتباكات محدودة .

وفي اليوم التالي (٢٦ آب - أغسطس) توجه غودريان مبكراً إلى المرصد المتقدم لمدفعية الفيلق حتى يشاهد عملية التمهيد بالمدفعية والطيران ، ثم لیتابع عملية عبور قواته لنهر (روغ) . ولقد جوبه تقدم قوات غودريان بمقاومة ضارية (نظمتها الفرقتان السوفيتيتان ٢٦٩ و ٢٨٢) غير أن قوات غودريان نجحت في التقدم بصورة بطيئة مما حمل غودريان على زج قواته كلها للتحرك على أرتال

(١) كييف : (KIEVE) مدينة في الاتحاد السوفيتي ؛ وهي عاصمة أوكرانيا UKRAINE تقع على القسم الأعلى من نهر الدنيبر DENIEPER . وهي مركز صناعي وتجاري هام .

متوازية بهدف إنجاز الواجب بالسرعة المطلوبة .

ولقد شعر غودريان بضرورة الحاجة لدعم قواته ؛ ولتأمين احتياط كاف من أجل مجابهة الهجمات السوفيتية المتصاعدة على جبهة قواته وعلى جناحيها ؛ خلال الأيام المتتالية ؛ فطلب إلى القيادة دعمه ؛ لكن القيادة تجاهلت طلبه ، كما تجاهلت إلحاحه المتكرر للحصول على قوات دعم إضافية ؛ ولم تقدم له إلا لواء المشاة (غروس دوتشلاند) يوم ٣٠ آب - أغسطس - ثم فرقة الدبابات الأولى (يوم ١ أيلول - سبتمبر) وبعض الوحدات الخاصة (داس راوخ) يوم ٢ أيلول - سبتمبر .

واضطر غودريان أمام قلة قوات الدعم التي وصلته إلى إرسال برقية لاسلكية إلى قيادة مجموعة الجيوش في اليوم الأول من أيلول - سبتمبر - طلب فيها توجيه الفيلق المدرع ٤٦ بكامله ، بالإضافة إلى توجيه فرقتي البانزر ٧ و ١١ وفرقة المشاة الآلية ١٤ وذلك لإنهاء حملة كيف بسرعة . ولكن قيادة الجيش البري استمرت في عرقلة مخططات غودريان ؛ وأدى ذلك إلى عقد مؤتمر في مقر قيادة هتلر ، انتهى باتخاذ إجراءات قاسية ضد غودريان ، ولكنه لم يتأثر بهذه الإجراءات ؛ وتابع عمله في قيادة قواته ؛ وتنسيق التعاون فيما بينها ، ودفعها باستمرار للتقدم نحو هدفها . وكان أقصى ما واجهه هو اضطراره لتوجيه معظم قواته في كل مرة لدعم التشكيل المقاتل الذي يجابه مأزقاً صعباً (على نحو ما حدث لفرقة المشاة الآلية العاشرة التي جابهت خلال أيام متتالية لواء الدبابات السوفيتي العاشر والفرق ٢٩٣ و ٢٤ و ١٤٣ و ٤٢) . كما اضطر غودريان في مرات كثيرة ؛ إلى تحويل المحور الرئيسي للجهد بين فرقته وفيالقه

المتقدمة ، تبعاً لما كانت تفرضه طبيعة المقاومات السوفيتية ؛ وتبعاً لطبيعة مسرح العمليات .

كان على قوات غودريان أن تعبر مجموعة متتالية من الأنهار (سودوست) و (دسنا) و (سيم) ، كما كان عليها اجتياح عدد من المدن الهامة والتي نظمت فيها مقاومات ضارية مثل (أفديجفكا) و (سوسيتنا) و (بورزنا) و (كونوتوب) و (كوروليوتس) و (كوروب) و (كراسنوبولج) و (رومني) . وأثناء ذلك ؛ كانت القيادة السوفيتية تتابع زج قواتها على نحو ما فعلت يوم ٩ أيلول - سبتمبر - عندما زجت الجيش الأربعين بين الجيشين ١٣ و ٢١ .

وكانت قوات غودريان تتناقص باستمرار . وكان الإجهاد قد أخذ في النيل من قدراتها وإمكاناتها ؛ بالإضافة إلى ما كانت تعانيه من صعوبات في الإمداد بالوقود . ولكن ما أذاعته القيادة العليا يوم ٨ أيلول - سبتمبر - عن اتخاذ قرار بالعمل من جديد على اتجاه موسكو اعتباراً من بداية تشرين الأول - أكتوبر - وعن تحديد يوم ٩ أيلول - سبتمبر - موعداً للهجوم على التحصينات الخارجية لمدينة لينينغراد ؛ قد أثار الحماسة لدى وحدات غودريان لإنجاز واجباتها بسرعة حتى تتمكن من العودة إلى قطاع عملها الرئيسي على جبهة موسكو .

هطلت أمطار غزيرة مساء يوم (٩ - ١٠ أيلول - سبتمبر) فأغرقت الطرقات ؛ وبدأت الصعوبات في التحرك تجابه كافة أنواع المركبات ؛ ولقد بذلت قوات غودريان جهوداً مضنية لزيادة سرعة

تحركها ، غير أن الطين وسوء حالة الطرق قد جعلاً من المحال على الوحدات أن تصل إلى أهدافها في الأوقات المحددة لها .

استطاعت قوات غودريان رغم كافة العقبات أن تلتقي بقوات مجموعة جيوش الجنوب عند (رومني) (*) - اعتباراً من يوم ١٦ أيلول - سبتمبر - وأخذت في تطويق القوات السوفييتية . ودارت على أثر ذلك معارك ضارية ؛ استطاعت خلالها قوات غودريان تضيق دائرة الحصار يوماً بعد يوم ؛ ولكن الموقف تدهور بشكل خطير في (رومني) يوم ١٨ أيلول - سبتمبر - . فقد ترددت أصداء الاشتباكات بقوة وعنف منذ الفجر ؛ على الجناح الشرقي وتزايدت حدة القتال وضجيج المعركة في فترة بعد الظهر ، لأن القيادة السوفييتية زجت قوات جديدة تكونت من فرقة الفرسان التاسعة ؛ وفرقة أخرى مدعمة بالدبابات ؛ تقدمت على شكل ثلاث أرتال ؛ ووصلت حتى مسافة ثمانمائة متر من تخوم المدينة . وكان باستطاعة غودريان متابعة هجوم الأرتال السوفييتية بوضوح تام من مركز مراقبته في أعلى أحد أبراج مراقبة السجن داخل محيط المدينة (رومني) .

وعلى هذا ؛ أصدر غودريان أمره إلى الفيلق المدرع ٢٤ بالتصدي للهجوم ومواجهته ؛ وقد دعمت قوات هذا الفيلق بكتيبتين من فرقة المشاة الآلية العاشرة ؛ وبعض سرايا المدفعية

(*) رومني : هي المدينة التي أقام فيها ملك السويد شارل الثاني عشر بضعة أيام قبل معركة بولتافا الشهيرة التي خاضها ضد الروس في شهر كانون الأول - ديسمبر - سنة ١٧٠٨ .

المضادة للطائرات . ولقد تزايدت خطورة الموقف عندما قامت الطائرات السوفيتية المتفوقة ؛ والتي حرمت الطيران الألماني من الاستطلاع ومن العمل ؛ بإغارة قوية وكثيفة على رومني . وبالرغم من ذلك كله ؛ نجحت قوات غودريان بالمحافظة على مواقعها ، والدفاع عن مراكز قيادتها ومراكز رصدها المتقدمة . ولوحظ خلال هذه الفترة أن قوافل القوات الروسية كانت تتجه على خط (خاركوف - سومي) متقدمة إلى الجبهة ، وأن هذه القوافل انزلت القوات في (سومي) و (شورافكا) . فأسرع غودريان بنقل الفيلق المدرع ٢٤ لمجابتها ؛ ودعم بوحدات من الفرقة الخاصة (داس راوخ) وفرقة بانزر الرابعة ، وذلك لحرمان القوات السوفيتية من فرصة تطويق القوات الألمانية ولقد أمكن تطوير المواقف بسرعة .

وأخيراً أمكن تحقيق النجاح بإحباط الهجمات السوفيتية ، ثم جاء تحقيق النصر الحاسم يوم ١٩ أيلول - سبتمبر - ١٩٤١ عندما أمكن الاستيلاء على كييف . وفي اليوم ذاته استولى الفيلق المدرع ٤٨ من مجموعة البانزر الأولى على غوروديستة وعلى بيلوسوفكا . ولكن الصراع لم يتوقف ، وتحققت انتصارات ألمانية بسيطة على جبهة الشرق في اليوم التالي ؛ بينما استمر الصراع المرير في الجيب الذي حوصرت فيه القوات السوفيتية . ووقعت في قبضة قوات غودريان في هذا اليوم مجموعة من الأسرى بلغ عدد أفرادها (١٣٠) ألفاً . وفي اليوم التالي (٢١ أيلول - سبتمبر) ارتفع العدد إلى (١٦٣) ألفاً . ولم يلبث عدد الأسرى في (كييف) أن ارتفع إلى (٢٩٠) ألفاً ثم ارتفع هذا العدد يوم انتهت معركة كييف

في ٢٦ أيلول - سبتمبر - حتى (٦٦٥) ألف جندي(*) وقتل قائد الجبهة الجنوبية الغربية العام مع ضباط هيئة أركانه في المعارك الأخيرة وهم يحاولون اختراق الجبهة ، كما وقع الجنرال قائد الجيش الخامس السوفييتي في قبضة قوات غودريان .

توجه (غودريان) يوم ٢٤ أيلول - سبتمبر - إلى مقر هيئة أركان مجموعة الجيوش الوسط في منطقة (سمولنسك) لحضور المؤتمر النهائي الذي ستقرر فيه خطة الهجوم الجديد . وحضر المؤتمر قائد القوات البرية العام ورئيس هيئة الأركان العامة . وتم الاتفاق خلال هذا المؤتمر على أن تبدأ مجموعة البانزر الثانية (مجموعة

(*) بدأ الغزو الألماني لأقاليم الاتحاد السوفييتي يوم ٢٢ حزيران - يونيو - ١٩٤١ وانتهت معركة كييف يوم ٢٦ أيلول - سبتمبر - وخلال هذه الفترة أسر الألمان مليون ونصف المليون من مقاتلي الاتحاد السوفييتي . والتحق بهم مليون آخر حتى نهاية العام ١٩٤١ . وقد كتب القائد العام للجيش البولوني الحر - الجنرال اندرز ، في كتابه الذي صدر سنة ١٩٥٣ تحت عنوان (هزيمة هتلر في روسيا) ما يلي : « كان هناك عدد كبير من الجنود السوفييت يرون في الحرب فرصة لتغيير النظام في روسيا ؛ وكانوا يرغبون في انتصار ألمانيا ، ولهذا كانوا يستسلمون بأعداد كبيرة . وفر عدد كبير من الضباط السوفييت الكبار ؛ وانضموا إلى الألمان ؛ وعرضوا أن يقاتلوا ضد السوفييت » . فلو أن الألمان حملوا معهم إلى روسيا شيئاً مشابهاً للنقاط الأربع عشرة لعام ١٩١٨ والتي وضعها ويلسون ؛ لتجزأت روسيا كما تجزأت ألمانيا في ذلك الوقت . . . ولو فعل ذلك لما احتاج أبداً إلى نقل جيوشه من موسكو ليضمن أوكرانيا ؛ لأن الأوكرانيين في هذه الحالة سيقدّمون له هذه الضمانة . غير أن هتلر أعلن أن سكان الإتحاد السوفييتي هم بشر أقل قيمة من الأجناس . وقرر القيام بحرب الإبادة . « إدارة الحرب - ج . ف . س . فولر - ترجمة أكرم ديري - دار اليقظة العربية - ١٩٧١ - ص ٤١٤ - ٤١٨ » .

غودريان) هجومها في أقصى حدود الجناح الأيمن اعتباراً من يوم ٣٠ أيلول - سبتمبر .-

وقد حدد غودريان هذا الموعد ؛ بعد أن وضع باعتباره سوء حالة الطرق - المعدومة عملياً - وضرورة الإفادة من فترة تحسن الأحوال الجوية المتوقعة - قبل حلول فصل الطين - والوصول إلى طريق (أورل) الجيد وتأمين الاتصال العرضاني بين (أورل) و (برينسك) مما يساعد على ضمان تأمين الإمداد والتموين بشكل جيد . كل ذلك علاوة على إمكانات الحصول على دعم جوي هائل قبل بدء هجوم سائر جيوش المجموعة الوسطى بمدة يومين .

وكان على (غودريان) وقواته الإفادة من الأيام التالية لإنهاء القتال في (جيب كييف) ، وإعادة تجميع وتنظيم قوات الفيالق استعداداً للهجوم الجديد ؛ وحتى تتاح للقوات فترة من الراحة بعد المعارك الضارية والحركة المستمرة التي عاشتها القوات خلال أشهر متتالية ، وحتى تتمكن من إصلاح وسائلها القتالية ؛ وصيانتها .

كان التقدم على اتجاه (أورل - برينسك) هو المرحلة الابتدائية والضرورية للهجوم على موسكو - ، ومن أجل ذلك أصدر (غودريان) أمره بتغيير تشكيل الوحدات وتنظيمها . وقرر القيام بالهجوم على اتجاه (أورل) وأن يجعل مركز ثقل الهجوم (محور الجهد الرئيسي) باتجاه غلوخوف ؛ بعد زج الفيلق المدرع ٢٤ ، وأن يزج على يمينه الفيلق المدرع ٤٨ باتجاه بوتيفل ؛ وعلى يساره الفيلق المدرع ٤٧ باتجاه سوستكا ، فيما يقوم الفيلق ٣٤ بتغطية وحماية الجناح الأيمن ؛ بينما يقوم الفيلق ٣٥ ومعه فرقة الفرسان الأولى

بتغطية الجناح الأيسر . وقد أصدر غودريان أمره إلى الفيلق المدرع ٤٨ باحتلال قاعدة انطلاقه للهجوم في موضع قريب من (بوتيفل) وأن يهاجم القوات السوفيتية المتجمعة في (سومي) و (ندرىغالوف) .

وبهذه الطريقة كان (غودريان) يأمل في تغطية جناحه الأيمن منذ بداية الهجوم . ولكن (غودريان) أهمل قضية هامة ؛ وهي أنه لم يضع في اعتباره المقاومة الضارية والمحتملة للقوات السوفيتية ؛ اعتماداً منه على تجربة المقاومة داخل (جيب كييف) . ولقد نصحه بعض قادته بأن يجري تحركه خلف الجبهة ، وأن يدفع امامه فيلق المشاة ٣٤ . ولكن مثل هذا التحرك كان سيؤخر تحركه لمدة خمسة أيام . ولهذا لم يأخذ (غودريان) بهذه النصيحة التي ستظهر قيمتها عند الانطلاق للعمليات . وقد وصلت إلى غودريان مائة دبابة جديدة لإكمال فرقه المدرعة ؛ وللتعويض عن خسائرها . إلا أن خمسين دبابة منها ضاعت في ضواحي أورشا ووصلت إليه متأخرة . كما أن كميات الوقود التي كان يحتاجها لم تصله إلا في وقت متأخر .

٩ - العمل على اتجاه موسكو

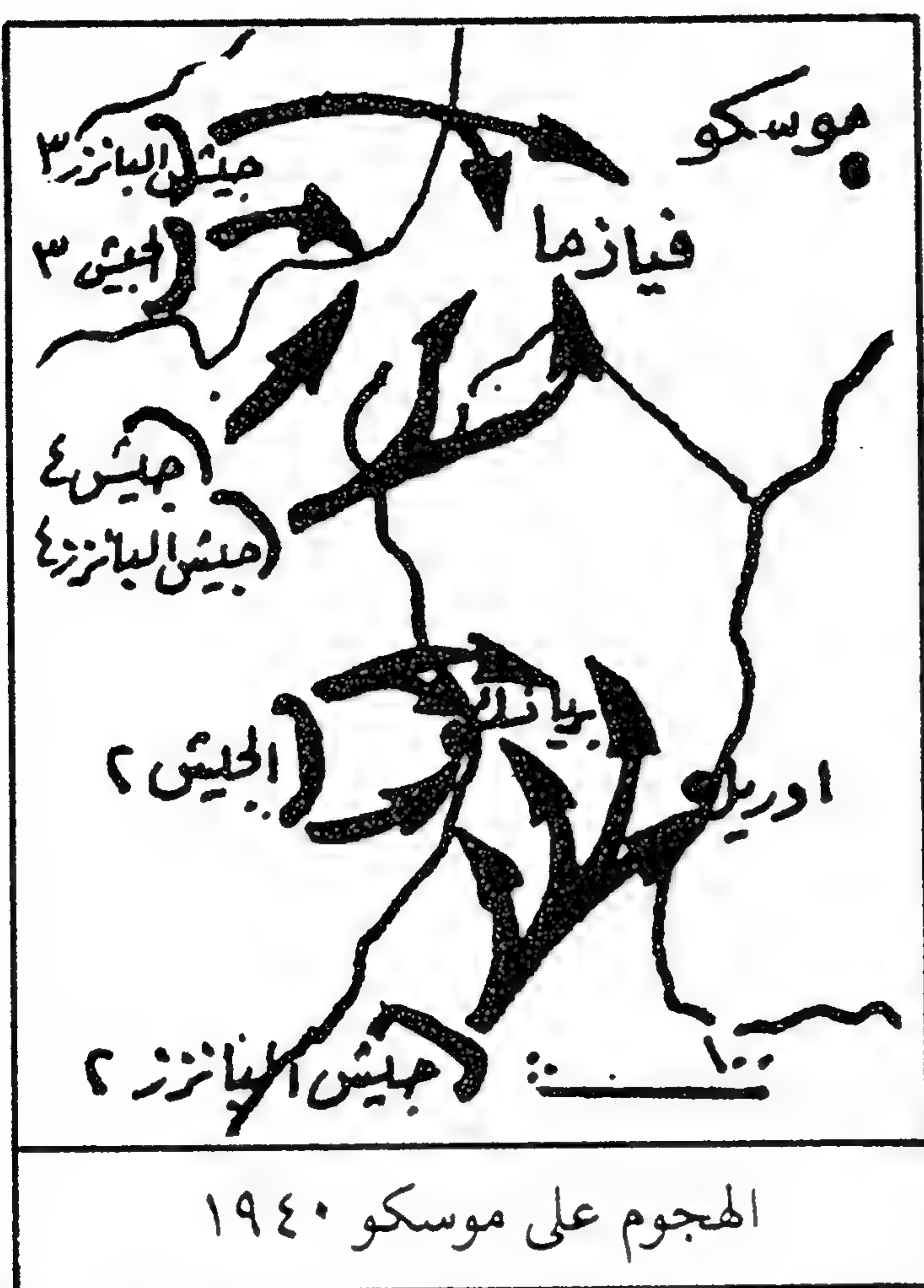
حشد (غودريان) معظم قواته في منطقة (روسلاف) . وقام الفيلق المدرع ٤٨ بمحاولة للاندفاع المباشر نحو (بوتيفل) خلال يومي ٢٨ و ٢٩ أيلول - سبتمبر - ، ولكن سرعان ما تبين فشل هذه المحاولة بسبب المقاومة الضارية للقوات السوفيتية مما أرغم وحدات هذا الفيلق للعودة إلى قاعدة إنطلاقه . غير أن وحدات أخرى حققت نجاحاً عندما قامت بمناورة خداعية ؛ ساعدت لواء

المشاة ١١٩ بالوصول إلى (ستيفوكا) .

وقامت قوات (غودريان) بهجومها الشامل يوم ٣٠ أيلول - سبتمبر - . وانتقل غودريان منذ الصباح المبكر إلى مقر قيادته الجديد في (غلوخوف) . وسرعان ما علم أن قوات سوفيتية قد باغتت كتيبتين من لواء المشاة ١١٩ في منطقة (ستيفوكا) واستولت على عرباتهما . وكانت خسارة محزنة ؛ اضطرت غودريان إلى دفع وحدات من فرقة البانزر التاسعة للعودة إلى الخلف من أجل السيطرة على الموقف . كذلك كان لغياب طيران الهجوم (شوكا) بسبب سوء الأحوال الجوية في الإقليم دوره في إعاقة التقدم . وجوبت قوات أخرى بمقاومات ضارية ؛ وظهر منذ البداية أن الهجوم سيتعثر بعقبات صعبة .

استطاعت قوات (غودريان) - الفيلق المدرع ٢٤ - الاستيلاء على (سيفسك) في اليوم الأول من شهر تشرين الأول - أكتوبر - ، فأمكن بذلك اختراق الجبهة السوفيتية . وتابعت القوات تقدمها بتصميم وعناد ؛ إلى أن تم استهلاك كل ما كانت تحتويه خزانات الوقود . فأمكن للفيلق المدرع ٢٤ في هذا اليوم التقدم لمسافة (١٣٠) كيلومتراً . وتابعت القوات تقدمها بعنف وقوة في اليوم التالي (٢ تشرين الأول - أكتوبر) ، فتم إنهاء الاختراق ، ودحر الجيش السوفيتي ١٣ ، ودفعه نحو الشمال الشرقي . وكانت خسائر القوات المتقدمة طفيفة نسبياً .

واستولت فرقة البانزر المدرعة الرابعة في هذا اليوم على (كرومي) ، ووصلت إلى الطريق المعبد المتجه إلى (أورل) ، وفي اليوم التالي (٣ تشرين الأول - أكتوبر) استولت على أورل .



النازيون من أورل على نهر اوكا

وهكذا تم الوصول إلى طريق جيد . وأمكن السيطرة على
عقدة مواصلات حديدية وأرضية هامة ، تستطيع تأمين متطلبات
العمليات المقبلة .

ويظهر أن القوات السوفيتية قد بوغت تماماً بوصول الدبابات
إلى (أورل) حتى أن القاطرات الحديدية كانت تسير في المدينة
عندما ظهرت دبابات البانزر . وتبين بوضوح أن القوات السوفيتية
قد بذلت كل جهد مستطاع لاخلاء المصانع ؛ إلا أنها
فشلت في ذلك ؛ فقد تكدست بين المحطة والمصانع الآلات
وصناديق الأدوات والمواد الأولية ، وقد توزعت على جميع
الطرق ؛ وانتشرت في كل مكان .

استولت الوحدات المتقدمة من الفيلق المدرع ٢٤ على موين
(على طريق تولا) يوم ٤ تشرين الأول - أكتوبر . وتقدمت فرقنا
البانزر الثالثة والثامنة عشرة باتجاه كراتشيف في حين قامت فرقة
البانزر ١٧ ، باحتلال رأس جسر على نهر (نيروزا) ، وبذلك
توافرت إمكانات متابعة التقدم على اتجاه الشمال .

لقد ظهر من جديد نقص خطير في الإمداد بالوقود ، وبات
هذا النقص يتهدد مستقبل مسيرة العمليات ؛ وكانت كميات الوقود
التي استولت عليها القوات المتقدمة محدودة وقليلة . ولهذا قرر
(غودريان) الإفادة من مطار (أورل) الذي تم الاستيلاء عليه ،
فطلب إلى قائد الأسطول الجوي الثاني نقل الكميات الضرورية من
البتروول - جواً - (وكانت هذه الكميات تعادل ٥٠٠ متر مكعب) .

وقد أظهر الطيران السوفيتي نشاطاً أثار قلق (غودريان)

فطلب الدعم . وتم إرسال ٢٠ طائرة مقاتلة إلى مطار (سيفزك) . ولم يلبث الطيران السوفييتي حتى قام بإغارة على المطار وعلى مقر قيادة غودريان ؛ ولكن الخسائر المادية كانت زهيدة ؛ واقتصرت على تكسير الزجاج . فقرر الأسطول الجوي الثاني يوم ٦ تشرين الأول - أكتوبر - إرسال طائرات مطاردة ، وفي هذا اليوم ذاته صدر أمر عن القيادة العليا بإطلاق اسم (الجيش المدرع الثاني) على مجموعة البانزر الثانية (مجموعة غودريان) .

ولقد تعرضت فرقة البانزر الرابعة لمأزق صعب في هذا اليوم أيضاً (٦ تشرين الأول - أكتوبر) إذ قامت قوة من الدبابات السوفيتية بهجوم عنيف ، وأظهرت الدبابة (ت - ٣٤) تفوقها الساحق على الدبابات الألمانية التي عانت من الخسائر الفادحة .

وتدخل (غودريان) لمعالجة الموقف ؛ فأصدر أمره بإيقاف التقدم السريع على (تولا) بصورة مؤقتة . وأثناء ذلك ؛ حققت فرقة البانزر ١٧ نجاحاً مشيراً عندما تمكنت من الاستيلاء على (برينسك) وجسورها القائمة على نهر (دسنا) ، فتحقق بذلك الاتصال مع الجيش الثاني الذي كان يتقدم من الغرب نحو دسنا ؛ مما ضمن استثمار شبكة الطرق البرية والحديدية بين أورل وبرينسك وذلك لتأمين الإمداد والتموين ؛ وأمكن بالتالي تطويق القوات السوفيتية التي كانت تقاتل في المنطقة الواقعة بين نهر دسنا والسودست ، كما تم الاستيلاء على رأس جسر على نهر نافلينا إلى الشمال من بورستسيف .

تساقطت الثلوج للمرة الأولى من فصل هذا الشتاء في ليل

٦ - ٧ تشرين الأول - أكتوبر - وعلى الرغم من قصر مدة هطولها ؛ فقد غمرت الطرقات بالسرعة المعروفة ؛ وحولتها إلى قنوات من الطين الذي يعيق تحرك العربات ، وكانت القوات تفتقر إلى الأحذية والقمصان والجوارب وسواها من الألبسة الشتوية . فأرسل (غودريان) طلباً جديداً تعجّل فيه تأمين الطلبات السابقة . فأجابته القيادة ، بأن المواد المطلوبة ستصل في الوقت المناسب . وطلبت إليه الكف عن مثل هذه الطلبات المتكررة . ولكن غودريان تابع محاولاته لإمداده بالألبسة الشتوية التي لم تصله طوال فصل الشتاء من هذا العام (١٩٤١) .

استمر الصراع المرير خلال الأيام التالية ؛ التي أمضاها (غودريان) في تفقد جبهات القتال ؛ وسد الثغرات ؛ وتأمين حماية المجنّبات ، وإحكام طوق الحصار في (جنوب برينسك) وجنوب شرقي (دسنا) مع متابعة تحسين الموقف ؛ حيث تم الاستيلاء على (بلخوف) يوم ٩ تشرين الأول - أكتوبر - .

لقد كانت الواجبات كثيرة ؛ غير ان الظروف الجوية السيئة كانت تعترض باستمرار سبيل تحقيق هذه الواجبات .

تلقى (غودريان) تعليمات جديدة من قيادة مجموعة جيوش الوسط يوم ١٠ تشرين الأول - أكتوبر - نصت على : « الاستيلاء على كورسك ؛ وتدمير جيب تروبتشفسك ؛ وإغلاق الجيب الواقع إلى الشمال الشرقي من برينسك ؛ والتقدم باتجاه تولا - على أن يتم ذلك كله بدون إبطاء » . وكان على (غودريان) وجيشه المدرع العمل تحت رحمة الطين الذي كان يعيق تحرك العربات ذات العجلات ؛ والاعتماد على العربات المجنزرة - ذات السلاسل -

وقد أصيبت محركات هذه العربات بالعطب والتلف نتيجة الضغط الكبير في العمل ؛ ونتيجة الافراط في زيادة حمولات هذه العربات .

ونتيجة للنقص في القضبان الحديدية (المخل) والسلاسل الخاصة بالقطر والجر ؛ فقد تم استخدام الطائرات لإسقاط الحبال والسلاسل على العربات . وأمكن بعد بضعة أسابيع الحصول على مئات العربات المفروزة مع سدنتها (طواقمها) بواسطة الطائرات . وبالإضافة إلى ذلك ؛ فقد ظهرت سيئة لعدم الاستعداد المسبق للعمل في الشتاء . وعلى سبيل المثال ؛ فإن السائل المانع للتجمد لمبردات المحركات لم يصل طوال ثمانية أسابيع ، كما لم تصل التجهيزات الشتوية للوحدات . لذلك فقد تزايدت آلام الجنود ومعاناتهم مع تزايد الصعوبات الكبيرة ؛ ومع الاستمرار في هذه الأوضاع تطورت الهجمات السوفيتية ؛ وزادت عنفاً ؛ سواء داخل الجيوب المحاصرة ؛ أو على الجبهات الخارجية . وتعاضمت الخسائر في القوات المدرعة الألمانية بنسبة مذهلة ؛ نتيجة عجز الأسلحة الألمانية عن التعامل مع الدبابات السوفيتية (ت ٣٤) مما حمل غودريان إلى رفع تقرير لقيادة مجموعة الجيوش ، وصف فيه نقاط تفوق الدبابة (ت - ٣٤) على الدبابة الألمانية (نموذج ٤) . واستخلص الدروس المستقاة من التجارب القتالية ؛ والتي يمكن لها تقييد الصناعة الألمانية في الانتاج القادم للدبابات .

وطلب (غودريان) في نهاية تقريره الإسراع بإيفاد لجنة من ممثلي القيادة العليا ووزارة التسليح والمهندسين واضعي المخططات في مصانع الدبابات ، لزيارة جبهة القتال ، حيث تستطيع هذه اللجنة دراسة الموقف على الطبيعة ؛ ومشاهدة الدبابات المدمرة في ساحة

المعركة ؛ ومناقشة المتطلبات والشروط التي يجب توافرها في النماذج الجديدة .

كما طلب غودريان صنع مدفع مضاد للدبابات ثقيل وذو قدرة كافية للاختراق من أجل التفوق على تصفيح الدبابة (ت ٣٤) ، وقد وصلت هذه اللجنة يوم ٢٠ تشرين الثاني - نوفمبر - وقامت بعملها على خير وجه .

كان للعواصف الثلجية دورها في إرغام القوات الألمانية على الانتقال للدفاع في قطاعات كثيرة من جبهات القتال . وتساقطت الثلوج بغزارة منذ يوم ١٢ تشرين الأول - أكتوبر - . وعمل غودريان على نقل مقر قيادته إلى (أورل) يوم ١٤ تشرين الأول - أكتوبر - . واستمر الصراع بقسوة حتى أمكن القضاء على المقاومة في جيب شمالي (برينسك) يوم ١٧ تشرين الأول - أكتوبر - وتم أسر (٥٠) ألف مقاتل سوفيتي والاستيلاء على ٤٠٠ مدفعاً ، وأمكن تدمير الكتلة الرئيسة من الجيش السوفيتي ٥٠ - .

اعتبرت معركة (برينسك) منتهية يوم ٢٥ تشرين الأول - أكتوبر - وأصبح باستطاعة الجيش المدرع الثاني (جيش غودريان) متابعة هجومه على اتجاه (تولا) . وظهر بسرعة أن طريق أورل - تولا هو طريق لا يساعد كثيراً على تلبية متطلبات قوافل العربات الثقيلة والدبابات .

وأظهرت القوات السوفيتية كفاءة عالية في أعمال التدمير ، وتخریب الجسور ، وإقامة حقول الألغام الواسعة في الأمكنة الملائمة - على جانبي الطريق - . وكان لزاماً على قوات غودريان

المتقدمة استخدام جذوع الأشجار لدعم الطرقات ولمسافة عدد من الكيلومترات حتى يتم نقل الإمدادات القليلة وبعض المواد التموينية للقطعات المتقدمة .

وكانت قدرة الوحدات على التقدم مرتبطة بإمكانات التموين بالوقود أكثر من ارتباطها بحجم وقوة هذه الوحدات . ومن أجل ذلك تم في الفيلق المدرع ٢٤ جمع كل الدبابات الصالحة ، ودفعت مع لواء المشاة غروس دوتشلاندر للعمل مقدمة على اتجاه تولا .

وتحركت قوات (غودريان) خلف هذه المقدمة وكانت مضطرة لمجابهة الهجمات المضادة والمتتالية للقوات السوفيتية ؛ ولمعالجة صعوبات التحرك . وأمكن في يوم ٢٨ تشرين الأول - أكتوبر - الوصول حتى (بيزاريغو) على بعد ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب من تولا .

وفي اليوم التالي (٢٩ تشرين الأول - أكتوبر) حاولت قوات غودريان - وقد وصلت حتى مسافة ٤ كم من تولا - القيام بهجوم سريع ومباغت للاستيلاء على تولا ، لكن القوات السوفيتية تصدت بحزم للهجوم الألماني ؛ وأحبطته ؛ وأنزلت بالقوات الألمانية خسائر فادحة في الدبابات والضباط ، فنظم غودريان حركة استدارة للوصول إلى شرق المدينة ونجحت المناورة ؛ بعد مسيرة شاقة ومضنية ؛ وبوغت القوات السوفيتية ، غير أنها قاومت قوات الهجوم ببطولة . واستمر الصراع طوال عشرة أيام (٣ - ١٣ تشرين الثاني - نوفمبر) أصيب خلاله عدد كبير من الجنود الألمان بالتجمد ، وعانوا صعوبات لا توصف .

قام (غودريان) بجولة في الجبهة يوم ٦ تشرين الثاني - نوفمبر - على متن طائرته ، وأوضح شعوره بعد عودته بالرسالة الآتية : « تعيش الوحدات في حالة مؤلمة . وتسوء قضيتنا لأن العدو يكسب الوقت ليتقدم أكثر فأكثر في فصل الشتاء . لقد انتابني حزن شديد ؛ فأقوى الإرادات تتحطم أمام هذه العوائق ؛ وتتلاشى المناسبات الملائمة للقيام بضربة قوية يوماً بعد يوم ؛ ولا أعرف ما إذا كانت ستتاح لنا مناسبات مماثلة ؛ إن الله وحده يعرف ما قد يحصل . ينبغي ألا نفقد الأمل ؛ وألا ندع الشجاعة تتحطم ؛ لكن التجربة الحالية صعبة جداً . . . أتمنى أن أتخذ عما قريب لهجة أكثر تفاؤلاً وأكثر مرحاً . ليس اليأس من صفاتي ؛ وإنما من الصعب التظاهر بالسرور » .

انخفضت درجة البرودة يوم ١٢ تشرين الثاني - نوفمبر - حتى (- ١٥) درجة ووصلت في اليوم التالي حتى (- ٢٢) درجة . واستمرت في التدني حتى وصلت في يوم ٥ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١ حتى (- ٥٠) درجة . ويمكن تصور معاناة الجنود في هذا المناخ الصعب ؛ وهم يرتدون (الثياب الصيفية) .

عقد مؤتمر لقادة الجيوش في أورشا يوم ١٣ تشرين الثاني - نوفمبر - حضره قادة مجموعة الجيوش الوسطى ورئيس هيئة الأركان العامة للقوات البرية ، وفيه تم الإعلان عن (أمر الهجوم الخاص المزمع شنه في الربيع لعام ١٩٤٢) وحددت مدينة (غوركي) هدفاً رئيساً لجيش غودريان (الجيش المدرع الثاني) .

وكانت هذه المدينة تبعد ٦٠٠ كيلو متراً عن أورل وكانت تسمى (نجني - نوفغورود) ، فما كان من غودريان ، إلا أن رفع

تقريراً إلى قائد مجموعة الجيوش أعلمه فيه بأن الجيش المدرع ليس في وضع يتيح له الاضطلاع بتنفيذ هذا الأمر . ومضى لتفقد قواته ؛ فوجد أن تعداد سرايا المشاة قد انخفض حتى أصبح تعداد المقاتلين في كل سرية لا يزيد على خمسين رجلاً ، وأن عدد الدبابات في أحد الألوية (لواء ايرباخ) لا يتجاوز ستين دبابة ، بينما يجب أن يكون عدد الدبابات ٦٠٠ دبابة (على أساس ما تضمنه الفرق الثلاث التي جمعت دباباتها في لواء ايرباخ) .

وخلال ذلك ؛ كانت القيادة السوفيتية تزج باستمرار قوات كثيرة ؛ مجهزة بكل ما تحتاجه من الأعتدة والوسائل القتالية للعمل في ظروف الشتاء القاسية ، حتى إذا ما كان يوم ١٧ تشرين الثاني - نوفمبر - دخلت إلى الجبهة (القوات السبيرية) في منطقة (أوزلوفايا) . وتعرضت القوات الألمانية لخسائر فادحة ؛ واستطاعت رغم ذلك السيطرة على الموقف .

وكتب غودريان رسالة في هذا اليوم (١٧ تشرين الثاني - نوفمبر - (١٩٤١) جاء فيها : « اقربنا من هدفنا النهائي ؛ خطوة خطوة ؛ وفي البرد القارس ، وها أنذا في مركز من مراكز استراحة الجنود التعساء . لا تزال الصعوبات التموينية بواسطة الخط الحديدي تتزايد يوماً بعد يوم ؛ وهي السبب الرئيسي فيما نزل بنا من القصور . إن العربات لا تستطيع السير بدون الوقود ؛ ولو لم تعترضنا هذه الصعوبات لأمكن لنا تحقيق هدفنا . فالوحدات تتحلى بالشجاعة ، وتتزع النصر تلو النصر ، وتقاتل بصبر عجيب ، وتتغلب على جميع الصعوبات . لنقدر جنودنا لأنهم جنود أقوياء » .

وكان غودريان قد وضع مع هيئة أركانه مخطط الهجوم على
أورشليم منذ يوم ١٣ تشرين الثاني - نوفمبر - وحدد يوم ١٨ تشرين
الثاني - نوفمبر - موعداً لانطلاق قوات جيشه (الجيش المدرع
الثاني) لتنفيذ هذا الهجوم . وقام بتحديد الواجبات والأهداف
لفياله الثلاثة (٤٧ و ٥٣ و ٢٤) . وانطلقت القوات إلى أهدافها في
الموعد المحدد ؛ ولم يكن نصيبها من النجاح واحداً ؛ تبعاً
للمقاومات السوفيتية التي كانت تصطدم بها ؛ وتبعاً لطبيعة
الأرض وصلاحياتها للتقدم . وأمكن الاستيلاء على (يبيغان)
و (ديلوفو) و (بولوخوفو) و (اوزلوفويا) وكان الثمن الذي دفعته
القوات غالياً .

وكتب غودريان رسالة (يوم ٢١ تشرين الثاني
- نوفمبر - ١٩٤١) جاء فيها : « إن البرد القارس ؛ والثكنات
القديمة ؛ والنقص في الألبسة ؛ والخسائر المرتفعة بالرجال والعتاد ؛
والتموين السيء بالوقود ؛ كل ذلك مما يقلق القيادة ، ويعيق إدارة
الحرب . وأرى نفسي طوال هذه المدة وأنا مثقل بالمسؤوليات ، ولم
يفكر أحد بحمل هذه الأعباء معي ولا شيء غير الأحاديث الطبية
التي توجه إلي . لقد قضيت الأيام الثلاثة الماضية في الجبهة لتكوين
فكرة موضوعية عن ظروف الحياة فيها . وسأذهب في يوم الأحد
القادم إلى قيادة مجموعة الجيوش - إذا ما أتاح الوضع القتالي هذه
الفرصة - لأعرض ما أتوقعه من تحولات في المستقبل القريب الذي
لم تصلنا عنه أية تعليمات . فما هي أفكار القيادة بشأن هذا
المستقبل ؟ لا أعرف شيئاً عن ذلك ؛ ولا أدري إن كان باستطاعتنا
إعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي عند حلول الربيع ؟ » . . .

توجه (غودريان) لمقابلة قائد مجموعة جيوش الوسط بعد ظهر يوم ٢٣ تشرين الثاني - نوفمبر - وطلب تبديل مهمته التي بات من المحال تنفيذها . فأعلمه قائد مجموعة الجيوش (فون رونشتد) أنه رفع كافة التقارير التي أرسلها (غودريان) إلى القيادة العليا ، وأن هذه القيادة على اطلاع تام بالموقف من كل جوانبه (موقف القوات الصديقة والقوات المعادية والصعوبات المختلفة) .

وعاد غودريان من مقابلته وهو يشعر بالإحباط لفشل مسعاه . فتابع عمله في معالجة المواقف ؛ وإدارة الحرب ؛ وتنسيق التعاون بين القوات لإحباط الهجمات السوفيتية ؛ وأمكن تحقيق بعض الانتصارات الصغرى .

وكان الموقف العام لجيش غودريان مشابهاً لما كان عليه موقف الجيوش الأخرى ، مما أغضب القيادة العليا التي صبت جام غضبها على قيادات الجبهات والجيوش ؛ فصدر الأمر بعزل قائد مجموعة جيوش الوسط (فون رونشتد) واستبداله بالمارشال (فون ريشنو) يوم ٣٠ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤١ .

وكانت القوات الألمانية التي قدر عددها بثلاثة ملايين ونصف المليون مقاتل ، قد خسرت على الجبهة الشرقية ٧٤٣ ألف رجل ؛ أي ما يعادل ٢٣ بالمائة من قوتها الأساسية . وقد ظهر بوضوح صعوبة التعويض عن هذه الخسائر ، في حين كانت القوات السوفيتية تتمتع باحتياط ضخم من القوى والوسائل القتالية ؛ وترج في كل يوم بقوات جديدة .

وأصبح جيش غودريان معرضاً باستمرار للتهديد على مجنباته

ومؤخراته . ووجد (غودريان) أن العلاج الأمثل للموقف هو في الانسحاب إلى الخط الدفاعي المحصن (بين زوسا - وأوكا) ، والذي تم دعمه وتنظيمه منذ شهر تشرين الأول - أكتوبر . ولكن القيادة العليا لم توافق على اقتراح غودريان .

وكتب غودريان رسالة يوم ٨ كانون الأول - ديسمبر - جاء فيها « نواجه الآن موقفاً خطيراً ؛ لقد طلبت القيادة تنفيذ واجبات تتطلب الكثير من الرجال ؛ ولم تصدق أن القدرة القتالية للقوات قد انخفضت كثيراً ؛ فاستمرت بطلب التضحيات بدون أن تهتم بصعوبات الشتاء . ولقد فوجئت الوحدات الآن بحلول البرد الروسي الشديد الذي أدى إلى انخفاض درجة الحرارة إلى ما دون ٣٥ درجة تحت الصفر . ولم تعد قوة التشكيلات كافية لإحراز النصر في الهجوم على موسكو . لذلك فقد اضطررت في يوم ٥ كانون الأول - ديسمبر - والحزن يملأ قلبي ؛ لإيقاف قتال لا جدوى منه ؛ والانسحاب إلى خط ضيق وقع عليه اختياري ؛ وإني آمل التمسك به بما تبقى لدي من القوات . فالقوات السوفيتية تطاردنا باستمرار ؛ وعلينا توقع مواجهة الأنواع المختلفة من الصعوبات . كانت الخسائر فادحة ؛ لا سيما ما سببته الأمراض وتجلد الأصابع ؛ ولدينا أمل بإمكان اختيار بعض العناصر من الوحدات بعد حصولها على قسط من الراحة ، إلا أنه لا سبيل إلى الإفادة منها حالياً . كانت الأضرار التي سببها البرد في العربات والمدافع كبيرة جداً ، ونستخدم الزلاقات الآن ؛ وهي أفضل حل لمشاكلنا الحالية ؛ لكنها لا تقدم خدمات كبيرة . ولقد استطعنا حسن الحظ الاحتفاظ بدباباتنا وهي تسير سيراً حسناً ؛ ولكن هل يمكننا استخدامها في

هذا البرد الشديد ؟ لا يعرف ذلك إلا الله . لقد بدأت تعاستنا في روستوف ، وكان ذلك تحذيراً من القدر ، وما زلنا نتابع هجومنا . ولم يؤد انتقالنا بالطائرة إلى مجموعة الجيوش بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني - نوفمبر - إلى نتيجة ، فتابعنا الهجوم بدون اتجاه محدد ، عندئذ انهار الجار الشمالي ؛ وفقد الجار الجنوبي قدرته القتالية . وهكذا لم يبق أمامي سوى حل واحد . ولم يكن باستطاعتي التغلب بمفردي على الخصم في الجبهة الشرقية . . . لقد استقبلت مارشال القوات الجوية - ريشتوفن - وجرى بيننا حديث طويل ؛ فلاحظنا تشابهاً في أفكارنا وآرائنا . وبعد ذلك تحدثت إلى قائد الجيش الذي يعمل على يميني - الجنرال شميدت - فشاركني أيضاً في تفكيري . وكثيرون هم الذين اقتنعوا برأبي وشاركوني إياه ؛ ولكن ما قيمة ذلك إن لم يكن هناك من يسألنا رأينا ؟ . إنني لم أكن أتصور - أو أتخيل - أبداً أنه بالمستطاع تخريب موقف جيد كهذا التخريب خلال شهرين فقط . فلو اتخذت القيادة قرارها بفك الاشتباك مع العدو في الوقت المناسب ؛ واحتلال خط يصلح للدفاع أثناء فصل الشتاء ؛ لما نشأ هذا الوضع الخطير ؛ ولما خيم الغموض على كل شيء طوال أشهر عديدة . لست قلقاً على وضعي الشخصي ، إنما أنا قلق لشيء ثمين : وطني ألمانيا ؛ مبعث شعوري بالمخاوف .

تمكنت القوات السوفيتية من إحداث خرق في جبهة جيش غودريان يوم ٩ كانون الأول - ديسمبر - (في قطاع لفني) ، وأمكن معالجة الموقف بجهد كبير وتضحيات ضخمة . فرفع (غودريان) في اليوم التالي تقريراً إلى معاون الأول لهتلر (شمندت) وإلى رئيس فرع الأفراد في القيادة العليا ؛ شرح فيه الموقف . وكتب في اليوم

ذاته (يوم ١٠ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١) رسالة إلى عائلته
جاء فيها :

« بعثت برسالتين إلى - شمندت وكتيل - وأرجو أن تصلهما
في الوقت المناسب ، فلا زالت هناك فرصة لإنقاذ أشياء كثيرة ؛
وللتخلص من المأزق ؛ إذا ما تم الاعتماد على الرأي السديد
والإرادة الصلبة . إننا لم نقدر العدو حق قدره ؛ ولم نعرفه على
حقيقته ؛ كما أننا لم نضع في تقديرنا اتساع الأقاليم وأخطار إقليمها
ومناخها . وبدأت الحقائق الآن في فرض وجودها ؛ والشار
لتجاهلها . ولقد استطعت لحسن الحظ فك الاشتباك مع العدو
يوم ٥ كانون الأول - ديسمبر - بدون الحصول على موافقة مسبقة ؛
ولولا ذلك لقلت بنا مصيبة لا يمكن تفاديها »

أمضى (غودريان) اثني وعشرين ساعة من يوم ١٤ كانون
الأول - ديسمبر - وسط العواصف الثلجية وذلك للوصول إلى
(روسلاف) والاجتماع بقائد القوات البرية (المارشال فون
بروختش) وقائد مجموعة جيوش الوسط (المارشال فون كلاك) ،
حيث طلب (غودريان) الموافقة على سحب قواته حتى خط
(زوسا - أوكا) بعد أن عجزت قواته عن التمسك بخط (ستالينو -
غورسك - شات - أوبا) . وحصل غودريان على الموافقة ، ولما عاد
إلى مقر قيادته ؛ في تلك الليلة ؛ كتب ما يلي :

« أمضي الليل في غالب الأحيان وأنا متمدد على الفراش ؛
محروم من النوم ؛ ممعن التفكير في العثور على حل ينقذ جنودي
البؤساء الذين ينامون في العراء ، لا يحميهم شيء من الجو الشتوي
البارد . إنه أمر مخيف لا يمكن تصوره . لم يشاهد ضباط القيادة

العليا للجيش البري الجبهة ؛ ولهذا لم تتوافر لهم فرصة تكوين فكرة واضحة عن شروط الحياة فيها ، ولهذا أيضاً فقد استمروا في ارسال الأوامر التي لا يمكن تنفيذها ، وضربوا عرض الحائط بالطلبات التي رفعناها لهم .

تلقى (غودريان) نداء هاتفياً من هتلر في مساء يوم ١٦ كانون الأول - ديسمبر - طلب فيه هتلر من الوحدات التوقف عن الانسحاب ؛ والصمود ؛ ووعد بإرسال امدادات (٥٠٠ رجل) عن طريق الجو . ولكن الوحدات كانت قد قطعت شوطاً بعيداً على طريق الانسحاب ؛ وبات من العسير إيقافها .

وقام (غودريان) في اليوم التالي (١٧) كانون الأول - ديسمبر) بزيارة لقادة الفيالق ؛ ولقادة الجيوش المجاورة ، وأجرى نقاشاً مع القادة ، وقرر في النهاية - وبموافقة القادة جميعاً - التوجه بالطائرة إلى المقر العام للفوهرر لتقديم تقرير شخصي .

وأجرى (غودريان) اتصالاً مع القيادة العليا ، وحدد يوم ٢٠ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١ موعداً للمقابلة . وقال القادة لغودريان وقد عرفوا تصميمه على مقابلة الفوهرر : « أيها الكاهن ! أيها الكاهن الصغير ! إنك تسير في طريق وعر » .

وكان غودريان يشعر بأنه ليس من السهل استمالة هتلر إلى وجهة نظره . ولكن كانت ثقته بالقيادة العليا ثقة كبيرة ، فكان يعتقد بأن هتلر سيرحب بالطلبات المنطقية التي حملها إليه قائد عاش طويلاً في الجبهة .

وهكذا ؛ وصل غودريان بطائرته إلى مطار (استنبورغ) في

الساعة ١٥,٣٠ ، واستقبله هتلر في الساعة ١٨,٠٠ بحضور عدد من كبار القادة - من مستشاري هتلر - .

وبدأ غودريان المؤتمر بوصف حالة جيشه ؛ وانسحابه إلى خط (زوسا - أوكا) على مراحل .

وكان غودريان يعتقد بأن هتلر على اطلاع بمسيرة الأحداث ، فبوغت عندما قال له هتلر : « كلا ! لا أوافق على ذلك » . وعندها قال له غودريان بأن القوات قد شرعت في تحركها نحو الخط الجديد ؛ وهو خط مناسب أمام النهر ؛ وأنه ليست هناك طريقة أخرى للمحافظة على القوات ؛ وللتمركز خلال فصل الشتاء على مواضع قوية .

ورد هتلر : « يجب عليكم التمسك بالأرض والدفاع عن كل متر مربع فيها »

وأجاب غودريان : « من المحال التثبيت في كل مكان من الأرض . فعمق الجليد يصل إلى المتر وإلى المتر والنصف ؛ وليست هناك أعتدة ميدانية تمكن من الحفر » .

فقال هتلر : « افتحوا مواقع على شكل حفر باستخدام مدافع الميدان الثقيلة . هكذا كنا نفعل في مقاطعة - فلاندر - خلال الحرب العالمية الأولى » .

وأجاب غودريان : « احتلت فرقنا في الحرب العالمية الأولى قطاعاتها في فلاندر بعرض ٤ - ٦ كم ، وكانت تدافع عنها مجموعات أو ثلاث مجموعات من المدفعية الثقيلة ؛ وكانت الذخائر متوافرة بكميات كافية . أما فرق جيشي فهي تدافع عن جبهات تمتد من

عشرين إلى أربعين كيلومتراً ، ولا تملك الفرقة الواحدة أكثر من ٤ مدافع ثقيلة مع خمسين قذيفة لكل مدفع ، فإذا استخدمتها للحفر ؛ فإن كل مدفع سيحفر خمسين حفرة مسطحة وغير عميقة مع بقعة سوداء حولها ، ولا يمكن تسمية موقع كهذا بالموقع الدفاعي ، ولم يبلغ البرد في الفلاندر ما نتحمله الآن . كما أنني أحتاج من ناحية أخرى للذخائر من أجل مجابهة هجمات القوات السوفييتية ؛ وإننا لا نستطيع الآن أيضاً غرس الأعمدة المدببة في الأرض لتمديد خطوطنا الهاتفية عليها . وعلينا حفر الحفر بالمتفجرات وليس لدينا متفجرات لبناء موضع كهذا » .

لكن هتلر أصر على تنفيذ أمره : « التثبت بالأرض حيث نحن » .

فقال غودريان عندئذ : « هذا يعني إذن الانتقال إلى حرب المواضع في أرض غير ملائمة ؛ على نحو ما حدث في الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الأولى ؛ وعندها نعود إلى معارك العتاد ، ونتعرض للخسائر التي حملنا أعباءها بدون تحقيق النصر . وسنضحي في هذا الشتاء إذا ما أخذنا بهذا التكتيك بنخبة من ضباطنا وصف ضباطنا وبالاحتياط المخصص لوحداثنا . ولا جدوى من هذه التضحية . كما لا نستطيع من جهة ثانية تعويضها » .

وسأل هتلر : « هل تعتقد أن رماة فريدريك الكبير قد ماتوا طوعاً ؟ هم أيضاً أرادوا الحياة لكن الملك كان على حق عندما طلب منهم التضحية بحياتهم . وأعتبر نفسي على حق أيضاً عندما أطلب من كل جندي ألماني التضحية بحياته » .

فقال غودريان : « يعرف كل جندي ألماني أن عليه وضع حياته تحت تصرف وطنه في زمن الحرب . وقد برهن جنودنا حتى الآن أنهم مستعدون حقاً للقيام بهذه التضحية ، ولكن علينا ألا نطلب ذلك منهم ؛ إلا إذا كان الهدف ثميناً . إن الدروس التي استخلصتها تدل أننا سائرون على طريق الخسائر بدون أية نسبة معقولة بينها وبين النتائج التي تم بلوغها . وأعتقد أن القطعات لا تجد المواقع المحصنة التي أنشأناها في معارك الخريف إلا على خط (زوسا - أوكا) حيث تتوافر لها الحماية الكافية من البرد . واني أطلب التفكير بالقضية الأساسية وهي أن البرد القارس قد قتل ضعفي ما قتله نيران العدو وإن من شاهد المستشفيات المكتظة بالجنود المتجلدين - المتجمدين - يعرف معنى ما أقول . فليس العدو هو الذي سبب لنا الخسائر الفادحة ؛ وإنما هو البرد »

وهنا قال هتلر : « انني أعلم أنك عملت بجهد ونشاط ؛ وأنت رافقت الوحدات . اعترف بذلك ؛ لكنك قريب من الحوادث ؛ وتتأثر بآلام الجندي ؛ وإنك تشفق عليه . فعليك أن تبعد قليلاً عن الوحدات . صدقي ؛ ستري الأشياء من بعيد بوضوح أكثر » .

وأجاب غودريان : « يدعوني واجبي للتخفيف من آلام جنودي قدر المستطاع ؛ وهذا بدهي . لكن الأمر صعب بالنسبة للرجال وهم لا يملكون الألبسة الشتوية ، وتسير المشاة بكاملها وهي بألبسة العمل ؛ أما الأحذية والألبسة الداخلية والقفازات والقبعات الشتوية فهي مفقودة ، وما هو متوافر منها قديم وتالف - بال » .

قال هتلر بغضب : « هذا ليس صحيحاً . لقد أعلمني رئيس

الشعبة الرابعة أنه أرسل التجهيزات الشتوية .»

فأجابه غودريان : « لقد أرسل التجهيزات بكل تأكيد ؛ لكنها لم تصلنا . وأنا أتابع طريقها إلينا متابعة دقيقة . وهي الآن في محطة فارصوفيا منذ أسابيع ؛ وما تزال هناك لنقص القاطرات وازدحام الخطوط الحديدية . وقد رفضت طلباتنا فجأة في شهر أيلول وتشرين الأول - سبتمبر وأكتوبر - وقد فات الأوان الآن .»

تم استدعاء رئيس الشعبة الرابعة ، فأكد صحة سرد غودريان للحوادث ؛ لأن حملة الألبسة التي قام بها غوبلز في عيد الميلاد لسنة ١٩٤١ كانت نتيجة لهذا الجدل ؛ ولكن الألبسة لم تصل إلى الجنود في شتاء ١٩٤١ - ١٩٤٢ .

وجرى الحديث بعد ذلك عن مسألة ملاكات الوحدات المقاتلة والإدارات ؛ إذ أن وحدات نقل التموين لم تعد كافية لا في الجبهة ولا في المؤخرات بسبب تعطل عدد ضخم من مركبات النقل في فصل الطين ؛ ولهذا لم يتم التعويض عن العتاد المفقود . وكان على الوحدات التغلب على العقبات بإمكاناتها المحدودة وبالوسائل المتوافرة لها ؛ وهي عربات الفلاحين والزلاقات ذات الحمولات المحدودة . وكان عليها استخدام عدد هائل من هذه الوسائل للتعويض عن مركبات النقل ؛ مع ما تتطلبه هذه الوسائل من عدد كبير من الرجال لاستخدامها . وقد طلب هتلر بإلحاح التخفيف من الذيل الإرادي لدعم الوحدات المقاتلة في الجبهة بالأفراد . وأخذ أكبر عدد من عناصر التموين والإمداد لزيادة عدد البواريد في الجبهة . ولم يكن قادة التشكيلات والوحدات بحاجة لمثل هذه (المواعظ والنصائح) ، فقد عملوا على تنفيذها بمبادأتهم ؛ ودون أن

يعرضوا التموين للخطر .

لقد كان هتلر وجهاز قيادته ومستشاروه يجهلون الكثير عن أوضاع الجبهة ؛ وعن المقاتل في الجبهة ؛ ولم تكن هذه هي كل المشكلة ؛ بل إن المشكلة الحقيقية هي في إصرار هتلر وجهاز قيادته على تجاهل الحقائق المتناقضة مع رغباتهم ومخططاتهم وأهدافهم .

ولقد حاول (غودريان) إزاحة الغشاوة عن عيون القيادة ؛ فاقترح إرسال القادة في هيئات الأركان العامة إلى الجبهة ؛ واستبداهم بقادة ممن خدموا بالجبهة . وهنا كان غودريان كمن وضع نفسه في مواجهة خلية للنحل .

وانتهت المقابلة ؛ وكل طرف متمسك بقناعاته وأفكاره . ولم يبق على غودريان إلا تنفيذ رغبات القيادة العليا وأوامرها .

وهكذا عاد غودريان إلى (أورل) يوم ٢١ كانون الأول - ديسمبر - وشرع على الفور بإصدار الأوامر إلى الوحدات بالبقاء في مواقعها ؛ والدفاع عن الأماكن التي وصلت إليها . وكانت هذه بدقة هي الفرصة التي تريدها القيادة السوفيتية التي زجت قوات ضخمة ضد قوات غودريان المتقدمة .

واقتربت ليلة عيد الميلاد ، ومضى غودريان لزيارة قادة فيالقه وفرقه ليشرح لهم أوامر القيادة ؛ في محاولة لتنظيم خطوط دفاعية جديدة ؛ ولمواجهة القوات السوفيتية المتفوقة ، ولسد الثغرات الواسعة ؛ وتنظيم الهجمات المضادة .

وأما غودريان ليل عيد الميلاد مع جنوده المرضى في المستشفيات والمصحات . وأثناء ذلك (في ليل ٢٤ - ٢٥ كانون

الأول - ديسمبر) قامت القوات السوفييتية بهجوم عنيف فتمكنت من الاستيلاء على (تسرن) وإحداث ثغرة كبيرة في قطاع الجبهة وتطويق القوات (من فرقة المشاة الآلية العاشرة) ، فما كان من قيادة مجموعة الجيوش وقد أعلمها غودريان عن الموقف ؛ إلا أن وجهت إلى غودريان توبيخاً عنيفاً ؛ وكأنه هو المسؤول عن الفشل ؛ وعن التمسك بمدينة (تسرن) ، فما كان من غودريان إلا أن أعلم القيادة بأن تمسكه بمدينة (تسرن) لم يكن إلا تنفيذاً لأوامر هتلر الشخصية .

وحدث في اليوم التالي (٢٥ كانون الأول - ديسمبر) نقاش حاد بين غودريان وبين قائد مجموعة جيوش الوسط (فون كلاك) الذي اتهم غودريان بإرسال تقارير خاطئة عن الموقف ؛ وهدده برفع تقرير إلى الفوهرر . وهنا طفح الكيل بغودريان ؛ وطلب إلى القيادة إعفائه من قيادته . وسرعان ما جاءت موافقة هتلر .

لقد تنكرت القيادة لجهود غودريان ؛ وتجاهلت كفاءته لمعالجة مواقف الجبهة . ولم يكن وحده على كل حال ممن كان لازماً تحميله تبعات الفشل . فقد تم إعفاء عدد من كبار القادة في موجة من موجات الغضب التي كانت - أو أخذت - تتتاب هتلر . ولم يبق على غودريان إلا مغادرة مقر قيادته (يوم ٢٦ كانون الأول - ديسمبر) وودع قواته بكلمات قليلة ومؤثرة(*) ، ومضى إلى برلين . فوصلها في اليوم الأول من العام الجديد ١٩٤٢ .

لقد ابتعد غودريان عن الجبهة ، لكن الجبهة لا زالت تعيش في وجوده .

(*) انظر قراءات ٣ - في آخر الكتاب .

« لا يمكن إحراز النصر إلا بحشد القوى المدرعة كلها
في المكان الملائم ؛ وعلى الأرض المناسبة ؛
وتحقيق المباغتة المزدوجة بالعدد والعتاد » .

غودريان

الفصل الثالث

في مواجهة البلاء

- ١٠ - السيف في غمده .
- ١١ - من (القلعة) إلى (جبهة الغرب) .
- ١٢ - المؤامرة .
- ١٣ - رئاسة هيئة الأركان .
- ١٤ - الأيام الأخيرة .

١٠ - السيف في غمده

« لقد عومل هذا الرجل معاملة غير عادلة . إن جيشه يقف إلى جانبه ويرتبط به ارتباطاً شديداً ، وعلينا السعي إلى طريقة تعيد الأمور إلى نصابها » .

هذا ما قاله مندوب القيادة العليا الذي كلف باستيضاح الأمور عن غودريان ، ولكن هتلر لم يكن على استعداد لإنصاف القادة الذين شملتهم إجراءاته التعسفية : ولم يستجب لطلب غودريان الذي رغب - فور عودته إلى برلين - بإحالة إلى مجلس حربي ؛ لمناقشته في أعماله القيادية .

وهكذا ؛ وضع غودريان في منزله ؛ واحتسبت عليه جميع خطواته وأحاديثه وحركاته ؛ وكان يعرف ذلك ، فانزوى خلال الأشهر الأولى من العام ١٩٤٢ لا يغادر منزله إلا في مناسبات نادرة .

وأدت صعوبات الأشهر الماضية وما رافقها من ازعاجات ومضايقات إلى إصابته بنوبة قلبية حادة ؛ فقرر بناء على نصيحة طبيبه الحصول على استراحة لمدة أربعة أسابيع يقضيها في (مدينة بادن - ويلر) .

وهكذا انتقل في نهاية شهر آذار - مارس - ١٩٤٢ إلى منتجع توافرت فيه أسباب الراحة ؛ وحمامات المياه الساخنة ؛ والمناظر

الجميلة ، مما أعاد لغودريان بعضاً من الصفاء لذهنه وبعضاً من الشفاء لقلبه ، فعاد إلى برلين . ولكن القلق ما لبث أن عاوده بسبب مرض زوجته مرضاً ألزمها الفراش طوال أشهر متتالية (التسمم في الدم) . وفي الوقت ذاته ؛ عادت الزيارات المزعجة والمفروضة ؛ وعادت الأنظار الفضولية لترصد حركات غودريان وسكناته ، وأصبحت الحياة في عاصمة الرايخ أثقل من أن تحملها نفس غودريان المتعبة ؛ فقرر الهرب من العاصمة واللجوء إلى إرث صغير يسمح له بشراء منزل بسيط على شواطئ بحيرة كونستانس . ولكن القيادة لم تسمح له بتحقيق رغبته .

وعاوده المرض مع إطلالة فصل الخريف ؛ وتدهورت حالته الصحية بسرعة حتى أصابه الإنهيار التام في نهاية شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٢ . فكان يمضي أياماً وهو في حالة فقد للوعي وبدون طعام . وأشرف كبار الاختصاصيين على علاجه ؛ حتى تم إنقاذه ، فبدأ رويداً رويداً بالتماثل للشفاء .

لم يكن المرض ؛ ولا الظروف القاسية ؛ لتمنع غودريان عن متابعة تطورات الأعمال القتالية على كافة الجبهات . كما لم تكن الانتصارات المذهلة التي حققتها القوات الألمانية على الجبهة الشرقية (وصلت بالقوات الألمانية إلى القفقاس ونهر الفولغا) ، أو تلك التي كان يحرزها رومل في شمال أفريقيا ، لتحجب عن أنظار غودريان الاحتمالات الخطرة للتطورات القادمة . وكان يرى في كل عمل ناجح نتائج سلبية . ولقد رأى على سبيل المثال في إغارة المغاوير البريطانيين - الكوماندو - على (ديب)^(١) تجربة إنزال عبر المانش

(١) ديب : (DIEPPE) مدينة فرنسية في مقاطعة السين الأسفل - على بحر =

لقوات أكبر عدداً؛ وأشد بأساً .

لقد استخلص من تجربته السابقة بأن المشكلة تكمن أولاً في النهج الخاطئ لإدارة الحرب والذي يعتمد على هتلر وجهاز قيادته .
وثانياً في ضعف القوى والوسائل القتالية بالمقارنة مع ما يمتلكه أعداء ألمانيا على كافة الجبهات . ولهذا لم يكن غريباً ألا يشعر غودريان بالتفاؤل لما أحرزته القوات الألمانية على مسارح العمليات من انتصارات ؛ طالما أن الأسس الاستراتيجية للصراع بقيت ثابتة ولم تتغير .

لم ينقطع غودريان - وهو على ما هو عليه من مرض ومن عزلة - عن متابعة تطور السلاح المدرع ؛ بعد أن فرضت الدبابة السوفيتية (ت ٣٤) تحد ثقيل على السلاح المدرع الألماني . فوضع المهندسون والاختصاصيون مخطط صناعة الدبابة (النمر - تايجر -) لتكون بوزن ستين طناً ؛ وللدبابة (الفهد - البانثر -) لتكون أخف وزناً (بين ٣٥ - ٤٠ طناً) . وكان المعدل الوسطي للإنتاج هو ١٢٥ دبابة شهرياً (في منتصف العام ١٩٤٠) فطلب هتلر رفع الإنتاج إلى ٦٠٠ دبابة شهرياً .

وفي الوقت ذاته عقد هتلر مؤتمراً في ٢٣ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٢ لبحث ادخال القنبلة ذات الحشوة الجوفاء في ذخيرة المدفعية ، كما أدخل محرك الديزل المبرد بالهواء إلى الدبابة ؛ بالإضافة إلى زيادة القدرة النارية للدبابات باستخدام مدفعية ثقيلة (عيار ٧٥ و ١٠٠ مم) .

= المانش . قامت قوة بريطانية بالإغارة عليها في ١٩ آب - أغسطس - ١٩٤٢ ، وكانت من الأعمال الرائعة لوحدة المغاوير .

أخذت توقعات (غودريان) بالظهور تباعاً ؛ فقد بدأ الموقف بالتدهور سراعاً مع اقتراب سنة ١٩٤٢ من نهايتها . فعلى الجبهة الشرقية ؛ سقطت ستالينغراد في قبضة القوات السوفيتية ؛ وتم أسر الجيش الألماني السادس بكامله تقريباً . وعلى الجبهة الأفريقية ، قام الحلفاء بإنزال قواتهم في المغرب والجزائر (عملية مشعل) في ٧ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٢ . وأعقب ذلك التقاء الرئيسين الأمريكي والبريطاني (روزفلت وتششرشل) في الدار البيضاء - كازابلانكا - من ١٤ إلى ٢٣ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٣ حيث صدر الإعلان عن مطالبة ألمانيا بالاستسلام (دون قيد ولا شرط) . وظهر واضحاً أن التيار قد بدأ في التحول ضد ألمانيا . فهل سيبقى السيف في غمده ؟ وهل سيبقى (غودريان) في عزلته ؟

لقد كان الموقف خطيراً وكبيراً ؛ لقد اهتزت الروح المعنوية بعنف وقوة على مستوى الشعب الألماني وقواته المسلحة ؛ وهيمنت الظلمة على أفق المستقبل الألماني - وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر - . وتلفت القادة نحو ذلك السلاح الذي حقق لهم الانتصارات الرائعة في بداية الحرب - السلاح المدرع - فوجدوه وقد تثلم ؛ وبدأ البحث عن الرجل المناسب الذي يستطيع انقاذ الموقف في اللحظة المناسبة . ووضع أعضاء القيادة من حاشية هتلر - أو بعضهم على الأقل - على طاولة هتلر ، ما كان قد كتبه غودريان من مؤلفات - قبل الحرب - عن السلاح المدرع ؛ وحصلوا منه على وعد بقراءة هذه المؤلفات . ثم عرضوا عليه استدعاء غودريان - وإخراجه من غمده - ومنحه فرصة الدفاع عن نفسه ولو مرة واحدة .

وهكذا ؛ وبينما كان غودريان يبحث عن قطعة أرض ليقم عليها مشروعاً زراعياً صغيراً ؛ تلقى هاتفياً يوم ١٧ شباط - فبراير - ١٩٤٣ باستدعائه إلى القيادة ؛ وكانت مباغته مذهلة . ترى ماذا يريدون منه ؟ إنه يعرف أن ألمانيا قد وقفت على شفا جرف حاد يهددها بكارثة مرعبة . فماذا يستطيع أن يفعله ؟ .

مضى غودريان للمقابلة يوم ١٨ شباط - فبراير - ١٩٤٣ ، وهو رازح تحت الهواجس المختلفة ، فماذا يريدون منه ؟ لقد رافقه الملازم بك في القطار إلى (هاستنبورغ) في بروسيا الغربية ، والتقى في القطار بزميله القديم - الجنرال كمبف - الذي حدثه كثيراً عن مسيرة الأعمال القتالية خلال السنة الماضية . وعندما وصل إلى (هاستنبورغ) استقل الطائرة إلى (راستنبوغ) حيث استقبله في مطارها معاون كيتل (الرائد ويس) الذي لم يتمكن أن يذكر له بالتفصيل عن الهدف من استدعائه . ثم انتقل على الفور بالطائرة إلى (فينترا) فوصلها بعد ظهر يوم ١٩ شباط - فبراير - وانتقل إلى الفندق العسكري (تل الصيادين) .

استقبل غودريان في صبيحة اليوم التالي (٢٠ شباط - فبراير) مساعد هتلر الأول (الجنرال شميدت) الذي حدثه بأسهاب عن نوايا هتلر ؛ وعن إمكانيات تنفيذها . ومما قاله له : بأن تفوق القوات المدرعة السوفيتية المتزايد قد وضع القوات المدرعة الألمانية أمام مأزق صعب ؛ فبات لازماً تجديدها بسرعة . ونظراً للاختلاف الكبير بين نوايا هيئة الأركان العامة من جهة ؛ وبين نوايا وزارة التسليح والذخائر من جهة ثانية . ونظراً أيضاً لضياع ثقة القوات المدرعة بقيادتها ومطالبتها باسناد القيادة إلى رجال تتوافر لهم الكفاءة

والخبرة والحزم ؛ فقد قرر هتلر تسليمك قيادة في السلاح المدرع ،
وهو يسألك عما تقترحه للنهوض بالسلاح المدرع من كبوته .

وأجاب غودريان : « إنني مستعد لتلبية نداء هتلر ؛ من أجل
مجاهدة الموقف السيء لشعبي وسلاحه المدرع ! » .

لقد أعطى غودريان إجابته ؛ وكان لا يزال في طور النقاهة
من مرضه . فكان من المحال عليه بذل الجهد الذي كان يبذله في
أعماله السابقة . وكان عليه تجنب الثغرات التي أدت إلى إحباط
جهوده خلال قيادته الماضية ؛ فطلب ألا يكون مرتبطاً برئيس هيئة
الأركان العامة للقوات البرية ؛ وألا يكون مرتبطاً بقيادة رئيس
احتياط الجيش البري ؛ بل أن يكون مرتبطاً بشخص هتلر ارتباطاً
مباشراً .

هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية فقد طلب غودريان إلى القيادة
أن تمنحه السلطة الكاملة والحرية التامة لتطوير العتاد المدرع وللعمل
مع فرع الأفراد وإدارة التسليح ؛ لأن تحقيق هذه الشروط هو
الأساس لإعادة قوة الصدمة للسلاح المدرع .

كما طلب غودريان أيضاً الحصول على موافقة هتلر للإطلاع
على تنظيم الوحدات المدرعة التابعة للطيران ؛ والوحدات الخاصة ؛
وتشكيلها ، وأن تخضع لقيادته أيضاً الوحدات المدرعة التابعة
للجيش البري ، والمنشآت التعليمية .

وطلب (غودريان) إلى (الجنرال شمندت) عرض هذا

البرنامج على الفوهرر ، وعدم استدعائه لمقابلته إلا في حال موافقته عليه ، وإلا فإنه من الأفضل إعادته إلى برلين وإعفائه من تبعات المنصب الجديد - وقد دامت المحادثة زهاء ساعتين - .

ما كاد (شمندت) يصل إلى المقر العام ويقابل هتلر ؛ حتى عاود الاتصال بغودريان - هاتفياً - وطلب إليه إعداد تقرير لتقديمه إلى هتلر في الساعة ١٥ ، ١٥ .

وفي هذا الموعد استقبل هتلر غودريان ؛ ولما كان غودريان قد انقطع عن رؤية هتلر منذ ٢٠ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤١ ، فقد دهش لرؤية هتلر وقد بدت عليه ملامح الشيخوخة خلال هذه الفترة القصيرة . إنه لم يعد يمتلك اللهجة الحازمة التي كانت له من قبل ؛ بل كان يتكلم بتردد ؛ ويده اليسرى ترتجف ؛ وبدأ هتلر الحديث بقوله :

« لقد افترقت طرقتنا منذ العام ١٩٤١ ؛ وحدث في هذه الفترة كثير من سوء التفاهم ؛ يؤسفني وقوعه . وإنني أحتاج إليك ! »

وأجاب غودريان : « انني مستعد ؛ وسأحاول القيام بعمل فعال إذا تمت الموافقة على شروطي » .

فرد هتلر : « اني أعتزم تعيينك مفتشاً عاماً للوحدات المدرعة . وقد أطلعني شمندت على رأيك في هذه القضية . وإنني موافق عليه ، وأطلب إليك وضع أمر إداري على هذا الأساس ؛ وتقديمه إلي . لقد قرأت مؤلفاتك المكتوبة قبل الحرب - عن السلاح المدرع - . ولقد صدقت توقعاتك وعليك الآن تقديم البرهان

عملياً على صحة أفكارك ! » .

مضى (غودريان) بعد مقابلته التي استمرت ٤٥ دقيقة ؛
فقابل زملاءه القدامى في هيئة الأركان العامة ؛ واستوضح منهم عن
كثير من النقاط والتطورات التي كان يجهلها بسبب غيابه عن مسرح
الأحداث . ثم عكف على وضع تقريره بالتعاون مع القيادات
المختلفة ؛ وحدد (التوجيهات الادارية) التي تحدد واجباته
ومسؤولياته وسلطاته في منصبه الجديد (المفتش العام للوحدات
المدرعة) .

وأصدر هتلر هذا التوجيه يوم ٢٨ شباط - فبراير - ١٩٤٣ (*) .
وأصبح باستطاعة غودريان ممارسة واجباته وأعماله . لقد خرج
السيف من غمده ؛ وهو أكثر مضاء ؛ وأكثر ألقاً . ولكن ماذا
يستطيعه وقد تكاثرت السيوف المعادية ، وانهاالت من كل مكان
وهي متعطشة للدماء والثأر ؟ . . .

كان على (غودريان) العمل لتحسين علاقاته مع كبار
القادة ؛ ومع المقربين إلى هتلر ؛ حتى يضمن لنفسه فرصة النجاح
في تحقيق أهدافه ؛ فقام بمجموعة من الزيارات والاتصالات شرح
خلالها مخططاته للعمل ؛ وأهدافه من خلال تطوير السلاح المدرع .
وأمكن له الحصول على وعود بالدعم والتأييد . ولم يلبث أن توجه
يوم ٩ آذار - مارس - بالطائرة إلى (فينيتزا) حيث قدم تقريره إلى
هتلر بحضور كبار القادة من كافة الأسلحة . وألقى غودريان
محاضرته التي تضمنت - فيما تضمنته - :

(*) انظر نص هذا الأمر في نهاية الكتاب - قراءات ٤ - .

« يتلخص الهدف المحدد لسنة ١٩٤٣ باستخدام عدد معين من الفرق المدرعة التي تتمتع بقدرة قتالية كاملة للقيام بهجمات محدودة . أما في العام ١٩٤٤ فعلى أن نكون قادرين على شن هجوم واسع . ولا تستطيع الفرقة المدرعة امتلاك القدرة القتالية الكاملة إلا إذا تناسب عدد دباباتها مع عدد سائر الأسلحة والعربات (المدافع ذاتية الحركة والمضادة للدبابات ، والمدافع المضادة للطائرات ؛ وعربات نقل الجند المدرعة) . وتنقسم الفرق المدرعة الألمانية من وجهة النظر هذه إلى أربع مجموعات تضم كل مجموعة منها ٤٠٠ دبابة . وإذا انخفض عدد الدبابات إلى أقل من ٤٠٠ دبابة فإن تجهيزها - بعدد الرجال والعربات - لا يعتبر متناسباً مع متطلباتها للقيام بهجوم قوي ، وهذا هو سبب عدم تمتع الفرقة في الظروف القتالية السابقة بقدرة قتالية كاملة . ويتوقف النصر في المعركة ؛ لهذه السنة ، وكما كان في السنة الماضية ؛ على تشكيل الفرقة . وإذا استطعنا حل هذه المسألة ، فسنتصر في الحرب بالتعاون مع سلاح الجو ومع سلاح البحرية ، أما إذا لم نتمكن من حل هذه المسألة فستكون المعركة البرية طويلة الأمد وستؤدي إلى خسائر فادحة . وعلىنا في الوقت الحاضر ؛ إذن ؛ تشكيل فرق مدرعة تتمتع بقدرة قتالية كاملة ؛ وعلىنا أن نتخلى عن جميع المصالح الشخصية ؛ ويجب أن نكتفي بامتلاك عدد قليل من الفرق بشرط أن تكون قوية بدلاً من أن نمتلك فرقاً عديدة سيئة التجهيز تحتاج إلى عربات ذات عجلات وإلى محروقات ورجال لا يتناسب حجمها وعددها مع فعاليتها ونفعها لذلك ؛ فهي تربك القيادة ومصلحة التموين وتعرقل السير على الطرقات .

وركز غودريان في محاضراته على ضرورة الاستمرار في

التدريب ؛ وتخصيص الوقت المطلوب والكافي له ؛ وتجنب نقل الوحدات الجديدة خلال فترة التدريب ، وعدم إبعادها عن منطقة تركيزها ، والامتناع عن ارسال الدبابات الجديدة إلى مسارح العمليات الثانوية ، والاكتفاء بتجهيز هذه المسارح بما تم الاستيلاء عليه من دبابات العدو . وجمع كل الوحدات المجهزة بالدبابات - بما فيها دبابات تايجر وبانثر ومارك ٤ - والمدافع المحمولة الخفيفة وتنظيمها في فرق وفيالق يتم اسناد قيادتها إلى قادة أكفاء ، ووضع العتاد الجديد في الاحتياط (التايغر والبانثر والمدافع المحمولة الثقيلة) إلى أن يضمن العدد الكافي من هذه الأسلحة نجاح المباغثة التامة مما يضمن بالتالي تحقيق النصر .

واقترح غودريان في محاضراته إسناد مهمة الدفاع ضد الدبابات إلى مدافع الاقتحام لأن فعالية بقية الأسلحة المضادة للدبابات ضئيلة أمام عتاد العدو الجديد ، وضم مدافع الاقتحام إلى مجموعات قنصات الدبابات ، ووضع هذه المدافع بكاملها تحت تصرف المدرعات . وكذلك تخصيص العربات المدرعة الخفيفة (٣ طن) للمشاة المحمولة ولوحدات المهندسين والوحدات المعاونة ولوحدات سلاح الإشارة » .

لقد تضمنت محاضرة غودريان مقترحات كثيرة - تنظيمية وإدارية وتسليحية - تمت الموافقة على معظمها ، إلا أن جدلاً عنيفاً دار بشأن تخصيص مدفعية الاقتحام للعمل مع المدرعات . وتمسكت المدفعية والمشاة بمواقفهما . ولم يكن باستطاعة غودريان مجابهة هذا التيار المضاد وحده . وما كان من هتلر إلا أن قال لغودريان : « انظر - الجميع ضدك » وأهمل اقتراح غودريان هذا ؛

وكان لذلك نتائجه الخطيرة التي لم يشعر بها هتلر والقيادة إلا بعد عام . ولقد استمر النقاش أربع ساعات ؛ بذل غودريان خلالها كل ما يخترنه من القدرة ، بحيث أصيب بعد انتهاء المحاضرة بالإغماء وفقد الوعي - ولكن لفترة قصيرة - .

١١ - من (القلعة) إلى (جبهة الغرب)

يحتاج العمل لكل ساعة من ساعات الضابط ؛ فكيف لمن كان مثل غودريان ؛ وفي ظروف مثل ظروفه ؛ حيث تتعلق حياة الأمة ومستقبلها بما يحققه لها جنودها من انتصارات .

وعلى هذا الأمل ؛ انطلق غودريان للعمل بكل ما يمتلكه من الثقة والحماسة . فقد رجع بعد محاضراته إلى برلين - بالطائرة - يوم ١٠ آذار - مارس - ١٩٤٣ . وبدأ بتفتيش مدرسة المدرعات في (ونسدورف) . ثم انتقل لزيارة معامل (هنتشل) في (كاسل) والتي كانت تنتج دبابة (تايجر) والأجزاء الرئيسة للدبابة (بانثر) والمدفع المضاد للدبابات ٤٣ (من عيار ٨٨ مم) . وانتقل بعد ذلك لزيارة المجموعة المدرعة ٣٠٠ في مدينة (أيسنباخ) التي كانت تقوم بتجربة الدبابة بدون سائق ؛ ومن ثم قام بزيارة مدرسة صف الضباط الموجودة في هذه البلدة ، وانتقل إلى (روغنوالد) لإعداد تقرير عن المدفع المحمول (غوستاف) والمحمول على سكة حديدية . واتجه غودريان بعد ذلك بالطائرة إلى (سابوروج) يوم ٢٩ آذار - مارس - لزيارة المارشال (فون مانشتاين) قائد مجموعة جيوش الجنوب ، والذي حققت مجموعته انتصاراً كبيراً باستعادتها لمدينة (خاركوف) بفضل استخداماتها للوحدات المدرعة استخداماً صحيحاً .

وكانت التجارب التي حصلت عليها مجموعة الجيوش ؛ لا سيما في مجال زج دبابات تايجر التابعة لفرقة (غروس دوتشيلاند) والوحدات الخاصة (أدولف هتلر) هي موضوع البحث بين غودريان ومانشتاين . ثم انتقل غودريان بالطائرة إلى (بولتافا) لتفتيش قوة من (جيش كمبف) وفرقة (غروس دوتشيلاند) والوحدات الخاصة (أدولف هتلر) ثم فيلق الجنرال (كنوبلدورف) .

وحاول في هذه الزيارات كلها استخلاص أحدث الدروس الفنية والتكتيكية عن قتال الدبابة (تايجر) ، وذلك لتكون هذه الدروس أساساً في التنظيم القادم لوحدات الدبابات . وأنهى غودريان جولته التفقدية - التفتيشية - في اليوم الأول من نيسان - أبريل - بزيارة وداعية للماريشال - فون مانشتاين - . وكم شعر غودريان بالأسف لابقاء هذا القائد الرائع - مانشتاين - بعيداً عن دائرة هتلر وعن القيادة العليا ؛ وهو الذي توافرت له قدرات قيادية وكفاءة عليا ، لم تتوافر لسواه من القادة .

عاد (غودريان) من جولته لحضور مؤتمر في مقر هتلر (البرغوف) في مدينة برشتغادن وكانت هي المرة الأولى التي يدخل فيها مقر هتلر (منزله) يوم ١١ نيسان - أبريل - ١٩٤٣ .

ولاحظ غودريان وجود عدد كبير من الغرف المستقلة بعضها عن بعض لاستقبال الزائرين . أما القاعة الكبرى للمؤتمرات ؛ فكانت لها نافذة عريضة تطل على المناظر الطبيعية الخلابة . وكانت القاعة مزينة ببعض السجاد واللوحات الفنية الرائعة والشمينة . وخصص أمام المدفأة مكان مرتفع يقضي فيه هتلر الليل بين حاشيته

ومعاونيه الحزبيين والعسكريين والسيدات بعد أن يعرض عليه ما كان يسمى (بموقف المساء) ، ولم يكن غودريان أبداً في هذه المجموعة .

ظهرت لغودريان فائدة جولته بين القوات ؛ فخلال المؤتمر التقى بوزير التسليح والذخائر - سبير - وطلب إليه زيادة انتاج الدبابة تايجر والدبابة بانثر . ثم قام غودريان في اليوم ذاته (١١ - نيسان - أبريل) بزيارة (لهملر)^(١) وذلك بهدف تنسيق التعاون معه لإعادة تنظيم التشكيلات المدرعة في الوحدات الخاصة .

ومنيت جهود غودريان بالفشل ؛ إذ رفض هملر التوقف عن تشكيل وحدات جديدة ؛ على الرغم من إلحاح غودريان . ولقد اعترف هتلر - يوم ٩ آذار - مارس - بمساوئ تشكيل وحدات مدرعة جديدة ؛ ولكنه كان متفقاً مع هملر - خفية عن العسكريين - على تشكيل جيش خاص بهما يكون مستقلاً عن الجيش النظامي الذي لم يثقا بقيادته أبداً . وكانا يريدان الحصول على ولاء أكيد من هذا الجيش الخاص ؛ الذي سيكون مستعداً باستمرار لتنفيذ أي عمل يسند إليه ؛ كما سيكون أكثر تمسكاً بالتقاليد البروسية - الألمانية - القديمة ؛ في حال رفض الجيش النظامي الانصياع لأوامرهما .

(١) هملر : (HIMMLER , HEINRICH) من مواليد ميونيخ (١٩٠٠ - ١٩٤٥) من كبار مساعدي هتلر ؛ ومن قادة الحزب الوطني الاشتراكي (النازي) عمل قائداً للوحدات الخاصة - الغستابو - ورئيساً للشرطة السرية للرايخ ، ثم وزيراً للداخلية .

وقد أدى ذلك إلى وضع الوحدات الخاصة في وضع حرج بعد انتهاء الحرب ؛ إذ تم تحميلها أوزار وسيئات الأعمال التي ارتكبتها وحدات المغاوير وسواها . كما أن منح الوحدات الخاصة امتيازات في التجهيز والتموين والتسليح والإمداد وسوى ذلك ؛ قد أثار غضب بقية قوات الجيش التي لم تحصل على مثل هذا الإمداد ؛ أو تلك العناية والرعاية . وبالرغم من ذلك فقد تغلب الشعور بالصدقة والواجب في الجبهة على سائر المشاعر ؛ مما برهن على عدم اكتراث الجندي الألماني بكافة الأشياء التي قد تؤثر على مفهومه (للواجب المقدس) .

أمضى غودريان ما بقي من شهر نيسان - أبريل في زيارات للقوى الجوية ؛ والقوى البحرية ؛ وحاول الافادة من العناصر التي دمرت آلياتها في معارك شمالي أفريقيا ؛ ولكنه فشل في محاولته أمام إصرار القيادة على إرسال وحدات مدرعة جديدة - بأعداد قليلة - فكانت هذه الوحدات تذوب كما يذوب الملح في الماء . كما أن بعضها لم يتمكن من مغادرة مسينا . وانتقل بعد ذلك إلى فرنسا ؛ للتعاون مع قائد جبهة الغرب - الماريشال فون رونشتد - .

وقام (غودريان) بزيارة بعض الوحدات المدرعة ، ولكنه لم يكد يبدأ جولته حتى تلقى أمراً من (هتلر) بالعودة إلى (ميونيخ) لحضور المؤتمر الذي عقد يومي ٣ و٤ أيار - مايو - من أجل مناقشة خطة (القلعة) . ووصل (غودريان) في الوقت المحدد . وكان موضوع البحث في المؤتمر هو : « هل يجب على مجموعتي جيوش

الجنوب والوسط في الجبهة الشرقية الهجوم مع بداية فصل الصيف لعام ١٩٤٣ ، بهدف تدمير أكبر تجمع للفرق السوفيتية بحركة التفاف مزدوج - كماشة - تقوم بها القوات الألمانية على البروز المشكل في الغرب ؛ من قبل القوات السوفيتية في كورسك ؟» .

لقد كانت القيادة العليا تأمل أن تتمكن من إعادة السيطرة على الجبهة الشرقية ، بواسطة هذه العملية ؛ وذلك بعد الكارثة التي نزلت بالقوات الألمانية في أعقاب الهزيمة في ستالينغراد . وقد افتتح هتلر المؤتمر بخطاب لمدة ٤٥ دقيقة ؛ عرض فيه الموقف على الجبهة الشرقية عرضاً موضوعياً ؛ ثم جرت مناقشة (مشروع القلعة) (*) . وأيد جميع القادة فكرة المشروع ؛ باستثناء غودريان الذي وقف معارضاً وقال :

« ليس هناك جدوى من العملية ؛ ذلك أننا لم نكمل بعد

(*) القلعة هو الاسم الرمزي الذي أعطته القيادة الألمانية لعملية الهجوم ضد تجمع القوات السوفيتية في (كورسك KOURSK) . وقد جرت هذه المعركة على مرحلتين : المرحلة الأولى هي مرحلة الهجوم الألماني ٥ - ٢٤ تموز - يوليو - ١٩٤٣ . والمرحلة الثانية هي مرحلة الهجوم المضاد السوفيتي ١١ - ٢٠ آب - أغسطس - ١٩٤٣ . وقد اعتبرت معركة كورسك من أكبر معارك الدبابات - في الحرب العالمية الثانية - فقد حشدت فيها القيادة السوفيتية (في جبهة فارونيج VORONEGE) ٦٢٥,٥٠٠ مقاتل و ٩٤٨٠ مدفعاً وأكثر من ١٧٠٠ دبابة مقابل ٢٨٠ ألف جندي ألماني ٢٥٠٠ مدفعاً و ١٥٠٠ دبابة . وقد مارس التفوق بالقوى والوسائل دوره في حسم الصراع لمصلحة القوات السوفيتية التي دمرت ٥٢١ دبابة ألمانية واستولت على ١٣٢ دبابة أخرى . ودمرت ٦٧٠ مدفعاً وغنمت ٤٨٥ مدفعاً ودمرت أيضاً ٢٣٢٧ عربة وأسقطت ١٤٠ طائرة وقتلت ٣٥ ألف جندي وضابط ألماني .

ملاك قواتنا في الشرق ؛ وسيؤدي مشروع هيئة الأركان إلى تعرض الدبابات لخسائر ضخمة - بسبب قوة الدفاع المنظم للجيش السوفييتية - مما سيؤدي بالتالي إلى إضعاف قواتنا . كما أننا غير قادرين على إكمال ملاك الوحدات - تنظيمها - في الجبهة الشرقية مرة أخرى خلال العام ١٩٤٣ ؛ إذ أننا ملزمون من الآن فصاعداً لدعم الجبهة الغربية بالدبابات الحديثة ؛ حتى يمكن مواجهة إنزال قوات الحلفاء الغربيين الذي سينفذ حتماً سنة ١٩٤٤ . وبالإضافة إلى ذلك كله ؛ فإن زج الدبابة الفهد - بانثر - على نحو ما يراه رئيس هيئة الأركان - زتزلر - لن يكون مفيداً ؛ لأن هذه الدبابة لا زالت قيد التجربة . . . » .

لقد كان من الصعب على هتلر اتخاذ قرار بشأن مشروع القلعة بعد الحجج القوية التي أدلى بها غودريان .

ولم يقف (غودريان) عند هذا الحد ؛ ففي أعقاب المؤتمر الذي عقد في برلين يوم ١٠ أيار - مايو - ١٩٤٣ ؛ لمناقشة انتاج الدبابات ؛ استوقف غودريان هتلر - بإمساكه من يده - وطلب إليه أن يسمح له بالتحدث بصراحة ؛ فرضي بذلك ؛ فطلب إليه بإلحاح العدو عن الهجوم في الجبهة الشرقية ، بسبب وفرة الصعوبات على كافة الجبهات وكان مما قاله له : « إن هذه العملية لن تكسبنا شيئاً ، وإن التحضيرات التي نقوم بها في الغرب ستتأثر منها بلا شك » . وسأله في النهاية : « لماذا تصر على الهجوم في الجبهة الشرقية هذا العام ؟ » وعندها تدخل كيتل في الحديث وقال : « علينا الهجوم لأسباب سياسية ! » . فرد عليه غودريان : « هل تعتقد أن هناك رجلاً في العالم يعرف أين تقع كورسك ؟ إن

العالم لا يهتم إذا انتصرنا في كورسك أو لم نتصر . وأعيد سؤالي :
لأي سبب تنوي الهجوم هذا العام في الجبهة الشرقية ، مهما كان
الثمن ؟ ... » .

فقال هتلر : « أنت على حق ؛ إن هذه الفكرة تؤلني كلما
ذكرتها » فأجاب غودريان : « في هذه الحالة ؛ يكون شعورك
بالموقف صحيحاً . وباستطاعتك التخلي عن المشروع » . فأكد هتلر
لغودريان أنه لا زال غير مرتبط بأي وعد لتنفيذ المشروع . وانتهى
الحديث مرة أخرى دون اتخاذ قرار حاسم .

إنصرف (غودريان) بعد ذلك لمتابعة تطور السلاح المدرع ؛
وتنظيم الفرق الجديدة ؛ محاولاً تجاوز العقبات المتتالية . غير أن تيار
الأحداث بدأ في التحرك سريعاً ضد ألمانيا . فقد انتهت المعارك على
مسرح أفريقيا الشمالية ؛ وذلك عندما سقطت تونس في قبضة
الحلفاء يوم ١٢ أيار - مايو - ١٩٤٣ . وشعر غودريان بالألم يعتصره
لفقد عناصر كثيرة من الوحدات المدرعة ؛ كان باستطاعته الإفادة
منها ؛ ومن خبراتها ؛ لتشكيل الفرق الجديدة - لو أن القيادة
العليا استجابت لطلباته المتكررة - . وتبع ذلك إنزال قوات الحلفاء
في صقليا (في ١٠ تموز - يوليو) . وفي ٢٥ منه ، تم إسقاط
موسوليني مما زاد من أعباء القوات الألمانية على هذا المسرح البعيد
من مسارح العمليات .

وبينما كانت هذه التطورات تأخذ خط مسارها ؛ أمر هتلر
بتنفيذ مخطط عمليات (القلعة) . وأسرع (غودريان) لزيارة جبهة
القتال (من ١٠ - ١٥ تموز - يوليو) ، وتأكد من صحة توقعاته ،
فقد استهلكت (معركة كورسك) قدرة الجيوش الألمانية على الجبهة

الشرقية . وكان من الصعب على (غودريان) إعادة تنظيم القوات المدرعة على هذه الجبهة ، فانتقل إلى فرنسا بعد ١٥ تموز - يوليو - وبعد جولة قصيرة ؛ أرغمه المرض على التوقف عن متابعة نشاطه ؛ وأصيب خلال ذلك بنكبة إذ دمرت الطائرات المعادية منزله في برلين ، ولكن القيادة منحته سلفة لشراء منزل آخر (اشتراه في ديين مقاطعة هوهنسالزا) .

ما إن رجع (غودريان) من إجازة النقاهة التي منحت له ؛ حتى أثار من جديد مسألة العربات المدرعة المخصصة للدفاع الجوي . ووافق هتلر على انتاج المدافع المزدوجة - الثنائية - من عيار ٣٧ مم .

وفي ٢٠ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٣ - حضر هتلر إلى معسكر (أريس) لمشاهدة العرض الذي نظمه غودريان ؛ وعرض فيه نموذج دبابة (تايجر ٢) وهو طراز جديد وناجح جداً ، أطلق عليه الحلفاء بعدئذ اسم (تايجر رويال) ، وقانص الدبابات (فوماغ) ودبابة تايجر للمطاردة (جاغد تايجر - مزودة بمدفع ١٢٨ مم) ، وقذاف قصير جداً عيار ٣٨٠ مم مضاد للدبابات ومركب على هيكل دبابة تايجر ، وبعض الأسلحة المدرعة الأخرى .

عملت القوات السوفيتية على تطوير هجماتها بعد انتصارها في (كورسك) وتعرضت القوات الألمانية لخسائر فادحة بسبب تدخل الدبابات السوفيتية بأعداد ضخمة ؛ وبصورة متزايدة باستمرار .

وعقد هتلر مؤتمراً في مساء يوم من أيام شهر كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤٣ ، وأظهر هتلر غضبه أثناء عرض الموقف . وبدأ

بحديث عنيف من جراء عدم تجهيز القوات بالأسلحة المضادة للدبابات والتي تستطيع تأمين نوع من الوقاية ضد شر السلاح المدرع .

وبينما كان هتلر مستمراً بلهجته المزمجرة وقع بصره على غودريان - وكان يجلس في مواجهته - وقرأ على وجهه أمارات التهكم ؛ فصمت برهة . ثم تابع حديثه بهدوء أكثر وهو يوجه حديثه إلى غودريان :

« كنت على حق عندما قلت لي منذ تسعة أشهر إنك تريد تجهيز الدبابات بوحدات من الأسلحة المضادة للدبابات ، ولم أوافق على رأيك مع الأسف . وأستطيع أخيراً تنفيذ رغباتي ولو بعد فوات الأوان . زود ثلث سرايا قنصات الدبابات فقط بالعتاد الجديد ؛ قبل بداية الهجوم السوفيتي في شتاء العام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ . »

عمل غودريان - بعد كارثة ستالينغراد - على إعداد وتنظيم مجموعة من الفرق المدرعة - لم يتذكرها أحد هناك - واستخدم في هذه الوحدات بعض العناصر التي افلتت من الأسر بسبب إصاباتها بجراح أو بسبب المرض أو لأسباب أخرى . كما قام غودريان بعمل مماثل بعد ضياع أفريقية ، فجمع الوحدات التي أمكن إنقاذها ، وشكل الفرقة ٢١ في فرنسا من وحدات الاحتلال التي جهزت بأسلحة الغنائم . وشكل أيضاً فرقة البانزر ٢٥ في النرويج بالطريقة ذاتها . واقترح غودريان على هتلر جمع كل الوحدات التي تم تدريبها في المدارس لتشكيل فرقة تدريبية مدرعة يتم تدريبها في فرنسا وذلك بهدف دعم جبهة الغرب . ووافق هتلر بقوله :

« تشكل هذه الفرقة قوة دعم غير متوقع ». وتلقت هذه الفرقة عتاداً جديداً ، ونقل إليها ضباط أكفاء .

لقد أصيبت القيادة العليا للجيش البري بالذهول نتيجة معارك الشتاء القاسية والدامية على جبهات الشرق ، ولهذا لم تحاول هذه القيادة بذل أي جهد لإعداد القوات للحرب على جبهة الغرب ؛ أو لاتخاذ الاجراءات الوقائية ضد الإنزال المحتمل وقوعه في ربيع سنة ١٩٤٤ ، لذلك رأى غودريان أن من واجبه العمل باستمرار لسحب الفرق المدرعة في الوقت المناسب من الجبهات ؛ وإعادة تنظيمها وتجهيزها وتدريبها . وكان ينبغي على القيادة العليا للجيش البري أن توجه اهتماماً بالغاً إلى مسرح العمليات الحربية في الغرب ؛ والذي سيصبح بعد برهة من أهم مسارح القتال . ولكن غودريان لم يحصل من هذه القيادة على أية مساعدة ، مما حمله على اللجوء إلى هتلر ؛ الأمر الذي أثار غضب بعض أعضاء هيئة القيادة ؛ ولكن غودريان لم يكن مستعداً للتهاون في قضية الاستعداد إرضاء لبعض أعضاء هيئة القيادة . واستمر في عمله بحيث استطاع دعم الجبهة الغربية بعشر فرق مدرعة بالإضافة إلى ثلاث فرق احتياطية تم تشكيلها بواسطة سحب عناصرها من المستودعات والمدارس ، وأرسلت إلى فرنسا .

كان الموقف خلال ذلك يتدهور من سيء إلى أسوأ ؛ على جبهات الشرق . وقد تابعت القيادة زج قوات متفرقة كانت المعارك تلتهمها بسرعة . ولم تنتفع القيادة بتوجيهات غودريان وتحذيراته واقتراحاته . ولقد طالب مرات بسحب القوات حتى خط دفاعي محصن على حدود ألمانيا للقيام بأعمال هجومية على جبهة الغرب

عندما يحين الوقت المناسب ؛ واختزان قدرة كامنة تكفي للدفاع على جبهة (الشرق) وتستطيع الهجوم على جبهة (الغرب) .

١٢ - المؤامرة

ما كاد (غودريان) يعود لعمله بعد تعيينه مفتشاً للمدرعات ؛ حتى زاره صديق قديم هو (الجنرال فون رابنو) يصحبه (الدكتور غوردلر) الذي تحدث إلى غودريان بحديث غريب إذ قال له : « إن هتلر لا يليق بمنصبه رئيساً للرايخ وقائداً أعلى للقوات المسلحة الألمانية ، لذلك فإنه من الضروري تقليص صلاحياته وتحديداتها » ووصف له بالتفصيل برنامجا متعلقاً بتحسينات المفروض إدخالها في الدولة والحكومة ؛ وحمل هذا البرنامج طابع الكمال . وقد أخذ بعين الاعتبار الطرق التي ينبغي اتباعها في حل المسائل الاجتماعية التي كان ينتظرها الجميع . وإن كانت طريقة عمل الدكتور غوردلر قد اربكت الحل ؛ إذا لم يتمكن من إعطاء غودريان البرهان الكافي عن مساندة الدول الأجنبية الأخرى له في حال نجاح مشاريعه . ولقد أظهرت الدول الأجنبية في الحقيقة فتوراً واضحاً عندما حاول الاتصال بها منذ زمن بعيد . كما أنها لم تتخل عن مبدأ (الاستسلام دون قيد ولا شرط) ، والذي أعلنت فرضه على ألمانيا حتى في حال نجاح غوردلر في مشاريعه . وسأله غودريان عن الطريقة التي يتصور بها تحديد صلاحيات هتلر . فأجابه بأنه من المحتمل أن تصبح سلطته القيادية للرايخ رمزية أو شكلية ومن الممكن اعتقاله في مصح (أوبر سالزبورغ) أو في أي مكان أمين آخر . وعاد غودريان فسأله

عن إمكان إزالة قادة الحزب الوطني الاشتراكي - النازي - وضمان الظروف للنجاح في حال الإقدام على تنفيذ مشاريعه . فأجاب غوردلر بأن ذلك يتعلق بالقوات الألمانية . وذكر (غوردلر) لغودريان أنه لم يتمكن من أن يضم إليه أي قائد من قادة الوحدات العاملة - المقاتلة - وطلب من (غودريان) الإفادة من زيارته للجبهة لإقناع القادة العاملين بالانضمام إليه ؛ وإعلامه عن أسماء هؤلاء القادة الذين يقبلون بآرائه ويوافقون على العمل معه . وسأله غودريان عن قائد المشروع ، فذكر له (غوردلر) بأن جنرال الجيش (بيك) هو قائد المشروع . وذهل غودريان ؛ ذلك أنه يعرف (بيك) معرفة شخصية ويعرف فيه الاتزان في التفكير ، والتردد ، والبعد كثيراً عن إدارة مشروع خطير - مثل مشروع الانقلاب هذا - . لا سيما وأنه رغم كفاءته فإنه قائد تجهله القوات ولا تعرف الكثير عنه ؛ وهو إلى ذلك كله أقرب للفيلسوف منه إلى الثوري .

كان غودريان يعرف الكثير من أخطاء الحزب الوطني الاشتراكي - النازي - وسيئاته ؛ ويعرف الكثير أيضاً من أخطاء هتلر الواضحة ؛ إلا أن وضع الرايخ في تلك الفترة من سنة ١٩٤٣ لم يكن هناك ثمة مجال للتفكير في إجراء تغيير حاسم للقضاء على هذه الأخطاء وإزالتها - عن طريق الانقلاب - ، لا سيما بعد كارثة ستالينغراد ، وبعد أن أعلن الحلفاء صراحة عن تمسكهم بشرط استسلام ألمانيا بلا قيد ولا شرط ، وكان من الصعب على الكثير من القادة الألمان - ومن بينهم غودريان - الاستسلام للقوات السوفيتية - خاصة - بلا قيد ولا شرط . ولهذا فإن تفكير غودريان قد اتجه نحو اختيار طريق ينقذ ألمانيا والرايخ من الانهيار من

العواقب الوخيمة التي تنتظرهما .

لم يكن من الغريب إذن أن يستخلص غودريان ضرورة إحباط مشروع الدكتور غوردلر ؛ وأن يستشعر الخطر على المصلحة العليا لألمانيا من مثل هذا المشروع الذي يصعب تنفيذه ؛ وبالإضافة إلى ذلك ؛ فقد كان غودريان ؛ شأنه شأن كل جندي ألماني ؛ ملتزم بقسمه لهتلر ، ولهذا فقد طلب إلى (غوردلر) التخلي عن مشروعه . ولكن (غوردلر) لم يكثرث لاعتراضات غودريان ؛ وعاد فطلب إليه موافاته بالمعلومات التي كان يرغب في الحصول عليها ، فوعده غودريان بذلك ؛ حتى يبرهن له بصورة حاسمة على أن سائر القادة - الجنرالات - يفكرون بمثل ما كان يفكر به ؛ وفي نيته تحويل (غوردلر) عن الطريق البغيض الذي لم تدفعه إليه إلا أهداف نبيلة هيمنت على تفكيره .

وعندما التقى مرة ثانية (بغوردلر) أقنعه بأنه ما من قائد قبل الانضمام إليه ، وأن جميع القادة والشخصيات ممن استشارهم قد أظهروا التزامهم بالقسم الذي أقسموه لهتلر ؛ وأنهم جميعاً قد اتخذوا مواقفهم على أساس خطورة الموقف على جبهات القتال .

وعاد غودريان فطلب إلى غوردلر التخلي عن مشروعه . وهنا طلب غوردلر إلى غودريان - برجاء - ألا يبوح بهذا السر إلى أحد . ووفي (غودريان) بوعده . حتى إذا ما كان عام ١٩٤٧ ؛ بوغت غودريان - وهو في السجن - بما تضمنه كتاب (الضباط ضد هتلر) والذي أصدره المحامي (فايان فون شلابرندورف) بما حمله هذا الكتاب من افتراء ضده ؛ ومن اتهام

بأنه أفشى السر إلى هتلر ؛ وهو اتهام لا أساس له من الصحة(*) .

بينما كان غودريان يستعد للقيام بجولة في فرنسا لتفتيش الوحدات المدرعة فيها ؛ في بداية شهر تموز - يوليو - قام بزيارته رئيس عمليات الماريشال فون كلاك (الجنرال فون تريشكوف) وأعلمه برغبة الماريشال فون كلاك بالتعاون معه للعمل ضد هتلر من أجل تحديد صلاحياته وسلطاته . وكان (غودريان) يعرف فون كلاك ؛ ويعرف فيه تردده ؛ بقدر ما يعرف فيه عدم قدرته للاضطلاع بمثل هذا المشروع ؛ بالإضافة إلى شعوره العدائي ضده . ولهذا أعلم (فون تريشكوف) رفضه لمشروعه ؛ وعدم استعداده للتعاون معه .

أصدر غودريان أمره يوم ١١ تموز - يوليو - بنقل الوحدات المدرعة القادرة على القتال من (ونسدورف) و (كرمبنتز) القريبتين من برلين إلى قطاع حصن (لوتزن) في بروسيا الشرقية وذلك في محاولة لمجابهة الخطر السوفييتي المتعاظم الذي بات يتهدد بروسيا الشرقية والتي كانت شبه محرومة من القوات الاحتياطية .

(*) تضمن كتاب (الضباط ضد هتلر) ص ١١٥ - والذي ترجم إلى الفرنسية وصدر بالعنوان ذاته ما يلي : « لم يقبل غودريان الانضمام إلى المؤامرة إلا إذا كان النجاح مضموناً . فخشي أطراف المؤامرة أن يفصح غودريان مخططاتهم ؛ فأرسلوا إليه - فون رابنو - الذي قال له : عليك أن تنضم إلينا ؛ ولا تنسَ أن أول من يعلن عن انتشار الحريق في الرايخ الثالث ؛ سيعاقب كما لو كان هو الذي أشعله . وهكذا فعندما فشل الانقلاب ليل ٢٠ تموز - يوليو - وصدر أمر هتلر بتعيين غودريان رئيساً لهيئة الأركان العامة للقوات البرية ؛ أدرك المتآمرون جيداً ما قام به غودريان للوصول إلى هذا المنصب ؟ » .

وبوغت غودريان بعد ظهر يوم ١٨ تموز - يوليو - عندما وصل لزيارته جنرال كان يعرفه من القوات الجوية ، وأبلغه أن (المارشال فون كلاك) القائد العام للجبهة الغربية ؛ ينوي توقيع هدنة مع الدول الغربية خفية عن هتلر ؛ وسيجري مفاوضات مع الحلفاء لتحقيق هذه الغاية .

ووقع النبأ على رأس غودريان وقوع الصاعقة ، فقد ارتسمت فوراً أمام ناظره النتائج المتوقعة لعملية (فون كلاك) وتأثيرها على الجبهة الشرقية المنهارة تقريباً ؛ وعلى ألمانيا كلها ؛ مما سيؤدي بالتالي إلى انهيار الدفاع في الغرب وفي الشرق ؛ والسماح للقوات السوفيتية لاجتياح ألمانيا دون مقاومة .

ولم يكن يخطر في مخيلة غودريان ؛ أو تفكيره ؛ أن قائداً ألمانياً يقدم على عمل كهذا ، ضارباً بهيبة الرايخ العليا عرض الحائط . ولم يكن باستطاعته تصديق هذا النبأ ؛ فطلب من محدثه إعلامه عن مصدر معلوماته فرفض ، كما لم يذكر له السبب الذي دفعه لإعلام (غودريان) بهذا النبأ المدهش ؛ ولا ما ينتظره منه . وعندما سأله غودريان ما إذا كانت تلك المحادثات ستجري في مستقبل قريب ؛ أجابه محدثه - ضابط القوى الجوية - بالنفي . وشعر (غودريان) ببعض الراحة ، فقد كان لديه متسع من الوقت للتفكير بهدوء عما يجب عليه عمله تجاه هذا النبأ الغريب .

ولما كانت الزيارات والمحاضرات المستمرة تمنعه - وهو في المقر العام - من التفكير بهدوء ؛ فقد قرر يوم ١٩ تموز - يوليو - لتفتيش الوحدات في (اللنستين) و (ثورن) و (هوهنسالزا) ، وقد وضع

في اعتباره ضرورة اتخاذ قرار واضح وهو في طريقه للقيام بهذا التفتيش .

لقد كان غودريان يعرف عن يقين أنه إذا ما أباح إلى هتلر بما علمه ؛ ولم يخبره بمصدر النبأ ؛ فانه يعرض (فون كلاك) إلى شك خطير ؛ وخاطيء ؛ بسبب نبأ قد يكون كاذباً أيضاً ، وستقع نتائجه على المارشال (فون كلاك) . كما أن تكتمه على هذا النبأ إذا ما تبينت صحته ، إنما يعني مشاركته للنتائج السيئة التي لا بد من وقوعها ؛ وهكذا كان من الصعب على (غودريان) اتخاذ الموقف السليم لمجابهة هذا المأزق .

بينما كان (غودريان) يقوم بتفتيش وحداته (قانصات الدبابات في اللنستين) صباح يوم ١٩ تموز - يوليو - ، دعي إلى استقبال مخابرة هاتفية ، حيث تحدث إليه رئيس هيئة أركانه (الجنرال تومال) وطلب إليه تأجيل تنفيذ الأمر الذي سبق له أن أصدره بنقل الوحدات المدرعة من برلين إلى (بروسيا) لمدة ثلاث أيام فقط . وذكر (الجنرال تومال) أن قائد قطاع برلين (الجنرال أولبريخت) هو الذي طلب إليه ذلك من أجل الاشتراك بمناورة أطلق عليها اسم (والكيري) وتقرر تنفيذها يوم ٢٠ تموز - يوليو - في ضواحي برلين ؛ وأنه لا يمكن إجراء المناورة بدون اشتراك وحدات التدريب المدرعة .

وكان غودريان يعرف أن اصطلاح (والكيري) إنما يعني التمارين الدفاعية لمواجهة إنزالات معادية محمولة جواً ، ولمواجهة الاضطرابات الداخلية . وعندما طمأنه (الجنرال تومال) عن استقرار الموقف في جبهة بروسيا الشرقية ؛ وأن تأجيل التنفيذ لمدة

ثلاثة أيام لن يلحق ضرراً بالموقف ؛ فقد وافق على تأجيل تنفيذ عملية النقل ، وذلك على الرغم من المقاومة النفسية الداخلية التي كانت تدفعه لرفض التأجيل .

بينما كان (غودريان) بعد ظهر يوم ٢٠ تموز - يوليو - ١٩٤٣ يسير متنزهاً في الحقول محاولاً الترويح عن نفسه من عناء الجهد الذي بذله طوال الأيام الماضية ، وإذا براكب دراجة نارية يلحق به (حوالي الساعة ١٩,٠٠) ليعلمه عن تلقيه مكالمة هاتفية من المقر العام للفوهرر .

وأسرع غودريان بالعودة إلى منزله ، حيث علم من أقاربه خلاصة ما أذاعه المذيع - الراديو - عن محاولة اغتيال الفوهرر . واستطاع غودريان الاتصال برئيس هيئة أركانه (الجنرال تومال) في منتصف الليل تقريباً ؛ فنقل إليه (تومال) أمر هتلر بالتقدم في اليوم التالي إلى مقر الفوهرر ؛ وأن الطائرة التي ستنقله إلى بروسيا الغربية ستقلع في الساعة ٨,٠٠ من صباح يوم ٢١ تموز - يوليو - ١٩٤٣ ، لتنقله إلى مطار (هوهنسالزا) . وأن الفوهرر يرغب في تعيينه رئيساً لهيئة الأركان العامة (بدلاً من زتلر) . ولقد نشرت مقولات كثيرة بشأن هذا التعيين - كلها افتراء على غودريان - إذ اعتبر بأنه (غدر بأعضاء المؤامرة) (*) لقاء تعيينه في هذا المنصب . ولقد جرت الوقائع لتعيينه على النحو التالي :

(*) يمكن الإشارة إلى ما ذكره رئيس المخابرات الأمريكية (آلن - و - دالس) في كتابه (الحرب السرية الألمانية) والذي صدرت ترجمته الفرنسية عن دار النشر - التلال الثلاثة - تروا كولن - جنيف ١٩٤٧ ص ٢٤٨ . حيث ورد ما يلي : « وجه غوبلز =

كان هتلر قد اتخذ قراره بتعيين (الجنرال بوهل) خلفاً للجنرال (زتزلر) في منصب رئاسة هيئة الأركان ؛ غير أن (بوهل) أصيب بجراح بالغة خلال المؤامرة ؛ وكان من الصعب تقدير المدة الضرورية لشفائه .

ولما كان هتلر خلال تلك الفترة أحوج ما يكون لقائد برهنت مسيرة الأحداث على كفاءته وصحة توقعاته ؛ فقد اتخذ قراره بتعيين (غودريان) الذي كان يجهل كل شيء عن المؤامرة - سوى ما سبقت الإشارة إليه من معلومات عامة - . ولقد سئل (غودريان) مرات كثيرة وفي مناسبات مختلفة عن سبب قبوله لهذا المنصب وفي تلك الظروف ؛ فكانت إجابته واحدة دائماً : « القضية ببساطة هي أنني تلقيت أمراً بذلك . وكانت مسيرة الأحداث تبرهن أن الجبهة الشرقية هي على حافة هاوية . وكان علينا إنقاذ الملايين من السكان المدنيين والجنود الألمان . وكنت سأعتبر نفسي جباناً وقذراً لو لم

= نداء في نهاية ٢٠ تموز - يوليو - ١٩٤٣ - إلى غودريان ، حتى يعمل على إيقاف جميع الوحدات المتجهة إلى برلين . كان غودريان يعرف بالمؤامرة وقد أيدّها سرّاً . وأقنع نداء غوبلز إلى غودريان بأن المؤامرة قد أخفقت وهو يعرف أن كثيرين من أصدقاء غودريان قد اشتركوا فيها . وكان باستطاعة غودريان انقاذ الموقف بتوجيه الوحدات المدرعة ومقاتلة الوحدات الخاصة (س . س) غير أنه عوضاً عن ذلك ، اتجه إلى الطرقات المؤدية إلى برلين ، وأمر الوحدات المتقدمة بالعودة إلى حيث أتت . والتقى في ساحة - فهنربلينر - بكتيبة دبابات الرائد وولف الذي كان يستعد لقصف مقر قيادة الوحدات الخاصة ؛ فصرخ قائلاً : « أيها الرائد : هل جنت ؟ ما زال الفوهرر حياً ! عد من حيث أتيت والزم ثكنتك . انت معرض للقتل » . ونفذ الرائد أمر غودريان ؛ وأعاد دباباته إلى ثكناتها في (كرامبنتر) وبذلك قضى غودريان على الانقلاب .

أبذل أية محاولة لحماية الجيش الشرقي ؛ ووطني الصغير - ألمانيا الشرقية . ؛ وإني سأشعر بالبؤس والتعاسة حتى موتي إذ أنني لم أتمكن من انقاذهما . وما من رجل يشعر بالألم الذي نزل بي لمصير شرقنا الألماني ؛ ومصير سكانه المخلصين والأمناء والشجعان . إني لست إلا مواطناً بروسياً مخلصاً لوطني ! » .

وصل (غودريان) إلى مقر القيادة العليا صباح يوم ٢١ تموز - يوليو - ، فعرف من رئيس هيئة أركانه (الجنرال تومال) ومن المارشال كيتل والجنرال جودل ، والجنرال برغدورف تفاصيل ما جرى . وعرف من أصيب من كبار القادة وأسماء من قتل ؛ ثم توجه بعد الظهر لمقابلة الفوهرر ، فشاهده وقد علق ذراعه على صدره ، وظهر له أن هتلر قد أصيب إصابة بالغة ، وتمزق غشاء السمع في أذنيه ؛ إلا أنه ظهر هادئاً ، فتحدث إلى غودريان عن مهام منصبه الجديد ، وتقدم غودريان باقتراحاته لإجراء تعديل في عناصر جهاز القيادة . وإجراء تعديل في صلاحيات وسلطات القادة العاملين في رئاسة شعب هيئة الأركان ؛ ووافق هتلر على طلبات غودريان واقتراحاته .

لقد أصبح (غودريان) من حاشية هتلر ؛ فانصرف للتعرف على بناء المقر العام للفوهرر . ثم انتقل إلى المقر العام للقيادة ؛ وبدأ عمله على الفور بإصدار الأوامر لإعادة تنظيم القيادة ؛ وتعيين قادة جدد ممن عرفتهم جبهات القتال وعرفوها .

لم يكن تعيين (غودريان) في منصب رئيس هيئة الأركان هو تشريف ؛ وإنما كان تكليفاً إلزامياً - ألزمه هتلر على قبوله عندما قال له : « ليس هناك من يستطيع قبول التكليف ؛ فقد استقال

(زتزلر) خمس مرات متتالية ، ورفضت استقالته ؛ ففي زمن الحرب ، لا يمكن للقادة ذوي الرتب العالية - الجنرالات - الحصول على امتيازات أكثر من الجنود في الجبهة . ولا يستطيع هؤلاء الجنرالات الاستقالة أو طلب الإحالة على المعاش عندما لا يروق لهم العمل .» وقد تسببت المؤامرة في إصابة هتلر بإصابات خفيفة لم يلبث أن تماثل منها للشفاء بسرعة . ولكن النتائج كانت سيئة جداً ، فقد تحطم التوازن النفسي - المعنوي - لهتلر ، وانطلقت من الداخل إلى الخارج جميع ميوله السيئة ونزعاته المدمرة ؛ ولم يعد يشعر بتبكيك الضمير ، وزاد شكه بقيادة الجيش وكرهه لهم ؛ ولهذا لم يستطع غودريان العمل في الظروف الجديدة .

١٣ - رئاسة هيئة الأركان

كان الموقف سيئاً للغاية على الجبهة الشرقية يوم أن تسلم غودريان عمله رئيساً لهيئة الأركان العامة في ٢١ تموز - يوليو - ١٩٤٣ . فقد كانت القوات السوفيتية تطور أعمالها القتالية باستمرار ، ولم يكن لدى القيادة العليا للجيش البري أية قوات احتياطية . وكانت القوات الوحيدة التي يمكن استخدامها هي المنتشرة في رومانيا ، غير أن نقل تلك القوات كان يتطلب وقتاً طويلاً .

ولما كانت القوات السوفيتية قد نجحت في إحداث ثغرة واسعة بين مجموعتي الجيوش الشمالية والوسطى ؛ واندفعت نحو فارصوفيا ؛ فقد تقدم غودريان إلى هتلر وطلب إليه سحب ما يمكن الاستغناء عنه من رومانيا لزوجها في القتال من أجل سد الثغرة ؛

وإعادة الاتصال بين مجموعتي الجيوش الشمالية والوسطى . ووافق هتلر ؛ وبذلك أمكن إيقاف الهجوم السوفيتي في منطقة (دوبلن - توكوم - مينافا) . ثم بدأ غودريان بوضع خطة للانسحاب (من أستونيا وليفونيا وسيؤولي) .

ولهذا فعندما قامت القوات السوفيتية بهجومها في شهر تشرين الأول - أكتوبر - ووصلت إلى بحر البلطيق بين مدينتي (ميمل وليتافا) ، نشأ صراع عنيف بين غودريان وهتلر ؛ زاد من حدته تطور الأحداث على الجبهة البولونية ؛ فقد عملت القوات الألمانية خلال قمعها للثورة (والتي اندلعت منذ اليوم الأول من شهر آب - أغسطس - ١٩٤٣) على ممارسة أعمالها بوحشية مرعبة ؛ مما حمل غودريان على طلب سحب اللوامين الذين قاما بممارسة الأعمال الوحشية وإرسالهما من بولونيا إلى الجبهة الشرقية . ولم يوافق هتلر إلا بعد أن تأكد بأن أعمال هذه القوات قد أساءت إلى العلاقات البولونية - الألمانية إساءات لا توصف .

وأمكن إنهاء الثورة البولونية في ٢ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤٣ - بعد أن أكد غودريان للثوار البولونيين - وبموافقة من هتلر - على معاملتهم معاملة (أسرى الحرب - ووفقاً لقوانين جنيف) .

كان على (غودريان) التفكير بإجراء يضمن لألمانيا قدرة الدفاع عن حدودها . فقد تعرضت الجيوش على جبهة الشرق لخسائر فادحة ؛ وضاعت كثير من المناطق الشرقية ؛ واقتربت الجبهة من حدود الرايخ . فعرض غودريان على هتلر (في كانون الثاني - يناير - ١٩٤٤) إعادة بناء الحصون الألمانية القديمة في الشرق ،

ودعم الاتصالات الرئيسة بين هذه التحصينات ؛ ودعم مجاري الأنهر الكبيرة والموانع المائية . ثم عمل على إعداد مشروع للتحصينات ؛ ودعم مجاري الأنهر الكبيرة والموانع المائية . ثم عمل على إعداد مشروع للتحصينات الدفاعية ، وأمر بإعادة تنظيم (فرع التحصينات) . ووافق هتلر مكرهاً على الاجراءات الدفاعية . وبدأت أعمال التحصينات التي اضطلع المتطوعون من النساء والشيوخ والأطفال بتنفيذ معظم أعمالها الهندسية ؛ لأن ألمانيا لم تكن تملك سوى هذه الأيدي العاملة . وقدر (غودريان) ما تحتاجه هذه التحصينات في حالة الدفاع من القوات والأسلحة والمؤن المختلفة . لذلك أصدر أمره بتشكيل وحدات تحصينات تضم الشباب المدعوين للخدمة الإلزامية ؛ ومن غير القادرين على الخدمة في الميدان .

وأمكن تشكيل مائة كتيبة من المشاة للتحصينات ، ومائة سرية مدفعية ؛ ووضع مخطط لتشكيل وحدات أخرى بعد أن تتوافر لها الأسلحة الضرورية (الرشاشات وقانصات الدبابات والمعدات الهندسية وأجهزة الإشارة) . ولكن وقبل أن تنهي هذه الوحدات تدريبها القتالي ، تم ارسال ثمانين بالمائة من قوتها لدعم الجبهة الغربية بدلاً من إرسالها إلى الجبهة الشرقية . وعندما علم غودريان بذلك بعد التنفيذ ، واحتج على الإجراء ؛ لم يكن لاحتجازه أي صدى . ولقد زجت هذه الوحدات غير الجاهزة في ظروف مضطربة ، فتعرضت للتدمير دون أن تتاح لها فرصة الإفادة منها .

جابهت (غودريان) في قضية التسلح مشكلة أكثر خطورة من مشكلة الأفراد . فعندما عرض على هتلر اقتراحه الأول بوضع جميع المدافع التي تم جمعها من غنائم الحرب لتكون تحت تصرفه ،

جابهه (كيتل وجودل) بسخرية ؛ وقالوا : «إنه لا توجد في ألمانيا مدافع غير مستخدمة ». ولكن رئيس هيئة الإمداد في القيادة العليا - الجنرال بوهل - أعلمه أن هناك آلاف المدافع والأسلحة الثقيلة الأخرى والتي مضى على تخزينها في المستودعات سنوات متتالية ؛ ولم يستخدمها أحد . فأصدر غودريان أمره بتسليمها ، ونقلها إلى التحصينات الشرقية ؛ وتدريب السدنة على استخدامها . لكن (جودل) أسرع فأصدر أوامره بإرسال جميع المدافع من عيار ٥٠ مم فأكثر ومعها ما يزيد على خمسين قذيفة لكل مدفع إلى الجبهة الغربية ولم يبق إلا المدافع الرشاشة والمدافع من عيار ٥٠ مم فأقل ، وهي أسلحة عاجزة عن التعامل مع الدبابات السوفيتية (ت - ٣٤) . وهكذا لم تتحقق الفائدة من هذه الأسلحة لأن ما هو صالح للجبهة الشرقية قد وصل إلى الجبهة الغربية بعد فوات الأوان ، وما وصل إلى الجبهة الشرقية لم يكن قادراً على تلبية متطلبات القتال على هذه الجبهة .

استطاع (غودريان) رغم هذه الإحباطات المتتالية ؛ تنظيم الدفاع عن التحصينات ؛ وامتداد هذه التحصينات بامتدادات كافية لمدة ثلاثة أشهر ، وتأمين الوقود بكميات كافية في المستودعات ، وربط التحصينات بشبكة من الإتصالات . ثم وضع مخططاً لتشكيل (جيش شعبي) في الأقاليم الشرقية من ألمانيا وذلك بعد أن قضى على (كتائب التحصينات) .

ووافق هتلر على الفكرة ، لكنه أسند قيادتها إلى (بورمان) الذي تمهل في البداية رغم استعجال غودريان وإلحاحه المتكرر ؛ ثم أصدر (بورمان) أوامره بتعميم (الجيش الشعبي) فتشكل جيش

كبير ، لم تتوافر له الأسلحة ولا التدريب . فتم تدريبه على التحية
الهيترية بدلاً من تدريبه على السلاح . وزاد الأمر سوءاً باستخدام
أفراد هذا الجيش لرفع تقارير عن الجيش العامل ؛ مما أدى إلى
صدامات متتالية مع (غودريان) الذي كان يعتبر نفسه مسؤولاً عن
 حمايته والدفاع عنه ؛ وإتاحة الفرصة له للعمل بحرية في مواجهة
العدو .

أنزل الحلفاء الغربيون قواتهم في النورماندي يوم ٦ حزيران
- يونيو - ١٩٤٤ ، ووقع ما كان متوقعاً . وبات لزاماً على ألمانيا
مواجهة تطورات الحرب على جبهتين رئيسيتين ؛ بالإضافة للجبهات
الثانوية (إيطاليا والبلقان) . ولم تكن إمكانيات ألمانيا ووسائلها
المحدودة قادرة على تلبية متطلبات الجبهات كلها (بالقوى
والوسائل) .

وأخذت المواقف بالتدهور بصورة متسارعة . فقد انفصلت
بلغاريا التي توفي ملكها في ظروف غامضة يوم ٢٨ آب
- أغسطس - ١٩٤٤ ، وانسحبت من حلفها مع ألمانيا وانضمت إلى
الإتحاد السوفيتي يوم ٨ أيلول - سبتمبر - . وتحولت بلغاريا من
دولة صديقة إلى دولة معادية . وعقدت فنلندا هدنة مع إنكلترا
والإتحاد السوفيتي في ١٩ أيلول - سبتمبر - هذا فيما كانت القوات
السوفيتية تجتاح المجر ، بحيث أنها وصلت إلى بوخارست في نهاية
شهر آب - أغسطس - وأخذت في التقدم في إقليم ترانسلفانيا .
وعلى جبهة الغرب كانت قوات الحلفاء ، قد توغلت في فرنسا
ووصلت إلى باريس يوم ٢٥ آب - أغسطس - .

عقد هتلر مؤتمراً في مقر قيادته يوم ١٥ آب

- أغسطس - ١٩٤٤ ، وقام غودريان بتقديم عرضه عن الموقف ؛ إستناداً للتقارير الواردة من الجبهة الغربية ؛ وأظهر في العرض عجز الوحدات المدرعة عن مجابهة الموقف . وكان مما قاله : « لا تكفي شجاعة الوحدات المدرعة لتعويض نقص سلاحين من أسلحة الجيش الألماني ؛ وهما الطيران والبحرية » . عند ذلك غضب هتلر ؛ وطلب إلى غودريان اللحاق به إلى غرفة مجاورة وتتابع المناقشة بين الرجلين ، واحتدت ؛ وارتفعت الأصوات إلى أن اندفع أحد مساعدي هتلر - الرائد فون أمسبرغ - واقتحم الغرفة وقال : « أنتما تتحدثان بصوت مرتفع ، ويسمع من بالخارج كل كلمة تقولانها ؛ فهل تسمحان لي بإغلاق النافذة » .

كان على هتلر وجهاز قيادته العمل باستمرار ؛ والبحث عن الحلول المناسبة ؛ أو المقبولة ؛ لمجابهة آلاف المشكلات .

كان الجنود الألمان يقاتلون بعناد وضراوة بعد أن اقترب هيب الحرب من حدود بلادهم . وكان القادة الألمان يبحثون عن الوسائل الممكنة لإطالة أمد الدفاع قدر المستطاع . ولم يكن هناك مجال للتفكير في حل آخر سوى (الحرب) بعد أن اتفق الحلفاء على التمسك بشرط (استسلام ألمانيا بدون قيد ولا شرط) .

وكان بدهياً أن تختلف وجهات النظر في تقويم المواقف ؛ وتقدير درجة الخطر . وقد أدت مجموعة الظروف المحيطة بهتلر إلى دفعه نحو التمسك بمواقفه الخاطئة . وأصبح ينفر من كل نصيحة فكان يردد عندما يحاول غودريان وسواه من القادة اقناعه بوجهة نظر معينة : « لا حاجة لكم إلى إلقاء الدروس علي . لقد مضت خمس سنوات وأنا أقود الجيوش الألمانية في الحرب ، وجمعت في هذه

الفترة الخبرة العملية التي لم يحصل عليها ضباط هيئة الأركان العامة ، ودرست كلاوزفيتز ومولتكه ، وقرأت خطط شليفن المتعلقة بالانتشار ، وأرى الأمور والأحداث بوضوح أكبر من وضوح رؤيتكم لها .»

وهكذا ؛ وبينما كان غودريان يفكر باتخاذ المواقف الدفاعية على جبهة الغرب ، عند حدود (نهر الراين) ، كان هتلر يريد القيام بهجوم كبير على قوات الحلفاء لقذفهم بالبحر ؛ متجاهلاً حجم القوى والوسائل على مسرح العمليات الغربي . ولقد اقترح القادة تحديد هدف يتناسب مع حجم القوى الألمانية مثل احتلال ضفة نهر الموز الشرقية وتدمير قوات الحلفاء (بين اكس لاشابيل - ومدينة لياج) وهو الاقتراح الذي قدمه قائد الجبهة الغربية (فون رونشتد) وقائد مجموعة الجيوش - ب - (المارشال مودل) ، مما يتيح فرصة تجميد الجبهة الغربية لفترة تساعد على إيقاف التدهور الخطير على جبهة الشرق . ولكن هتلر رفض كافة الاقتراحات مما أدى إلى (كارثة الأردن)(*) التي استنزفت قدرة ما بقي من القدرة الألمانية .

(*) الأردن : (ARDENNES) سهل تغطيه الغابات والمستنقعات ؛ وهو إقليم صعب وتضاريسه قاسية ، يقع بين فرنسا وبلجيكا واللوكسمبورغ وألمانيا . كان مسرحاً لأعمال قتالية ضارية في الحرب العالمية الأولى ، وشهد في الحرب العالمية الثانية الهجوم الأخير للقوات الألمانية بقيادة فون رونشتد ؛ وهو الهجوم الذي بدأ يوم ١٦ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤٤ وسط الغيوم والضباب ؛ مما أعاق عمل طيران الحلفاء ، وساعد على تحقيق نجاح رائع خلال اليومين الأولين من الهجوم . ولكن أيزنهاور وقادة جيوشه استطاعوا السيطرة على الموقف بعد عشرة أيام من المعارك الضارية . وما لبث الحلفاء أن بدؤوا هجومهم المضاد اعتباراً من يوم =

ولقد تابع (غودريان) بحزن عميق تطور الهجوم على الجبهة الغربية ؛ حتى إذا ما كان يوم ٢٣ كانون الأول - ديسمبر - ١٩٤٢ ظهر له بشكل واضح عجز الهجوم عن تحقيق نصر كبير ؛ قرر التوجه إلى المقر العام للفوهرر ؛ وطلب إيقاف هذا الجهد الذي يهدر بدون جدوى ؛ وتحويله على الفور إلى الجبهة الشرقية ؛ والإفادة من القوات التي يمكن الاستغناء عنها .

فقد كان (غودريان) يتوقع أن تبدأ القوات السوفيتية هجومها الثاني عشر في كانون الثاني - يناير - ١٩٤٥ . وكان يعرف أن القوات السوفيتية تتفوق على القوات الألمانية في المشاة بمعدل ١١ إلى ١ ، وتتفوق في المدرعات بمعدل ٧ إلى ١ ، وتتفوق في المدفعية بمعدل ٢٠ إلى ١ . وأن التفوق السوفيتي بالقوات البرية يصل بصورة عامة حتى ١٥ ضعفاً وبالقوات الجوية بعشرين ضعفاً على الأقل .

لقد كان الدفاع عن شرق ألمانيا هو كل ما يشغل تفكير غودريان ؛ شأنه في ذلك شأن كل جندي ألماني . وقد ذكر ذلك بوضوح عندما قال : « كان الملايين من الجنود الألمان يفكرون بحماية القسم الشرقي من ألمانيا ضد الكارثة المرعبة التي باتت

= ٣ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٥ ، وأمكن حتى ١٦ منه إعادة الموقف لمثل ما كان عليه قبل الهجوم الألماني . وخسر الألمان في هذا الهجوم ١٢٠ ألف جندي و ٦٠٠ دبابة ومدفع و ١٦٠٠ طائرة و ٧ آلاف مركبة . ومقابل ذلك خسر الحلفاء ٤٠ ألف جندي و ٧٣٠ دبابة . ولم ينجح الهجوم الألماني إلا في إيقاف هجوم الحلفاء - وتأخيرهم - لمدة ست أسابيع . وكان باستطاعة الحلفاء التعويض عن خسائرهم ، في حين كانت ألمانيا عاجزة عن هذا التعويض .

تتهدده . ألا يدل تدفق الوحدات السوفيتية على أنها ستجتاح بروسيا الشرقية ؟ لقد أدرك الجنود ما أدركته أنا ؛ وعرفوا كما كنت أعرف هذه الحقيقة . إننا جميعاً من العرق الألماني ؛ وإن ما أنجزناه طوال قرون من العمل الألماني سوف ينهار . إن النهران يشمل سبعمائة عام من الحضارة الألمانية والمعارك الألمانية والانتصارات الألمانية أيضاً ؛ وأخيراً إنه صراع يشمل أرض الوطن . وأمام هذه العوامل التي تنتظرنا في المستقبل ؛ ارتكب الحلفاء عملاً وحشياً وجريمة بحق الإنسانية عندما طلبوا إلى ألمانيا (الاستسلام بدون قيد ولا شرط) . وكان ذلك بالنسبة للجنود الألمان عاراً لا سبيل إلى تحمله . فلا بد من تعبئة الإمكانات والطاقات وزجها في معركة أخيرة للحصول على السلام . ولا يمكن الحصول على سلام ممكن آخر إلا إذا توصلنا إلى إيقاف الهجوم السوفيتي بأيّة وسيلة ممكنة . ولهذا الغاية كان من الواجب نقل الوحدات المنتشرة على الجبهة الغربية إلى الجبهة الشرقية على الفور ؛ وتشكيل جيش احتياطي قوي في منطقة - لودز - إينوروكلاو (هوهنسلزا) وزجه في القتال من الحركة ليقابل جيوش الاختراق السوفيتية . ولقد تفوقت القيادة الألمانية وقواتها على العدو في أسلوب زج القوات ، على الرغم من سنوات الحرب الطويلة والمنهكة » .

ولكن هتلر ووزير داخلية هتلر ومعهم بعض حاشية هتلر ؛ كان لهم رأي مختلف . فعندما قدم غودريان تقريره عن الموقف يوم ٢٤/١٢/١٩٤٤ ، وذكر حجم القوات السوفيتية على جبهة الشرق ؛ انتفض هتلر غاضباً ؛ وقال : « هذه أكبر خدعة عرفها التاريخ منذ أيام جنكيز خان . من أين لكم هذه المعلومات

التافهة ؟ إن فرق المشاة السوفيتية لا تضم أكثر من سبعة آلاف رجل . وإن الفرق المدرعة السوفيتية لا تمتلك الدبابات ؟ » .

ومثله قال هملمر وهو يوجه حديثه لغودريان : « أيها الجنرال إنني لا أصدق أن هناك هجوماً سوفيتياً . وكل ما يقال هو مجرد خدعة ضخمة . إن أرقام فرعك عن جيوش الشرق الأجنبية هي أرقام مبالغ فيها ؛ ولذلك تسبب لك الهموم الواهية . إنني أعتقد كل الاعتقاد أنه سوف لا يجري أي شيء على جبهة الشرق » .

ولما حققت بعض القوات الألمانية انتصارات بسيطة في اليوم الأول من العام ١٩٤٥ ، أفاد غودريان من هذه المناسبة ليعود فيطالب بنقل قوات إلى جبهة الشرق ، فرد عليه جودل - : « لا نملك حتى التخلي عن المبادأة التي نمسك الآن بزمامها » . وأيده هتلر بقوله : « يمكننا في الشرق الاستغناء عن الأرض ، ولا يمكننا التخلي عن أية قطعة أرض في الغرب » .

لقد كان من شأن هذه العقبات أن تدخل اليأس إلى قلب أي إنسان ؛ ولكن غودريان استطاع التغلب على مشاعر اليأس ؛ ومضى إلى الجبهة ؛ وجمع الحقيقة على الطبيعة ، وعاد إلى تدقيق المعلومات التي جمعتها له هيئة أركانه . وتقدم إلى هتلر يوم ٩ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٥ ، وطرح أمامه نتيجة دراسته فغضب هتلر غضباً شديداً وقال له : « إنها معلومات سخيفة ، وعليك أن تضع الضابط الذي قدمها لك فوراً في مستشفى الأمراض العقلية » . واستشاط غودريان غضباً ، فأكد صحة المعلومات ، وبعد فترة من الصمت الثقيل ؛ حاول هتلر تهدئة غضب غودريان فقال له : « لم يسبق أن حصلت الجبهة الشرقية مطلقاً على قوات احتياطية بمثل

هذا الحجم . لقد منحتك إياها لأنك أهل لها . أشكر على جهودك .

وأجاب غودريان : « تشبه الجبهة الشرقية قلعة من الورق . فإذا اخترقها العدو في مكان ما فإنها تنهار بسرعة ؛ لأن الجبهة ممتدة جداً ، ولا تكفيها اثنتي عشرة فرقة ونصف لحمايتها » .

وكان كل ما خرج منه غودريان هو توجيه هتلر اللاذع : « ينبغي على الجبهة الشرقية أن تكتفي بما لديها ؛ وأن تدبر أمورها بنفسها » .

١٤ - الأيام الأخيرة

مضى (غودريان) لتابعة عمله وسط دوامة مرعبة من الأحداث المتسارعة . ولم يكن مباغتاً لغودريان أن تنطلق آلة الحرب السوفيتية بكل ثقلها لتسحق في طريقها كل مقاومة تتصدى لها ، وإن كان ذلك مباغتاً لهتلر وحاشيته . فقد حشدت القيادة السوفيتية قوات ضخمة على امتداد الجبهة ، وخصصت ٣٠٠ مدفعاً لكل كيلومتر من خط الجبهة ، وانطلقت يوم ١٢ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٥ بعد إعداد دقيق ومحكم .

وهكذا أمكن اختراق الجبهة الألمانية في عدد من النقاط (عند جسر برانوف ؛ ورؤوس الجسور على نهر الفستول ؛ وجبهة ناريف ؛ وجبهة أوستنسبورغ ؛ وشمال فارصوفيا ؛ وبروسيا الشرقية) . ونجح الخرق ؛ واقتحمت القوات السوفيتية حدود ألمانيا ، وبدأت في التوغل نحو العمق الاستراتيجي - قلب الراين - . وأمكن لهذه القوات بعد يومين من المعارك الضارية أن

تقذف بثقل هجومها نحو المنطقة الصناعية في (سيليزيا العليا) .
ولقد حدث ذلك كله ؛ ولا زال هتلر متمسكاً بموقفه : «على الجبهة
الشرقية أن تتدبر أمرها بنفسها» .

وأدرك هتلر بعد أربعة أيام (أي في يوم ١٦ كانون
الثاني - يناير - ١٩٤٥) خطورة الموقف فأمر بنقل القوات المتوافرة
من الجبهة الغربية إلى المجر ، وهدفه قذف القوات السوفيتية إلى ما
وراء نهر الدانوب ، وإعادة الاستيلاء على (بودابست) ، في حين
كان غودريان يريد استخدامها للدفاع عن بروسيا الشرقية .

وكان لا بد مرة أخرى من الصدام العنيف بين الرجلين .
وكان أعنف تلك الصدامات هو ما حدث يومي ١٧ و ١٨ كانون
الثاني - يناير - فبينما كان غودريان يقدم تقريره عن الموقف في
اجتماع يوم ١٧ / ١ / ١٩٤٥ وصلتته رسالة لاسلكية من قائد قلعة
فارصوفيا تقول بأن المدينة ما تزال في أيدي الألمان ؛ ولكن سيتم
الانسحاب منها ليلاً ، وغضب هتلر غضباً شديداً ؛ وأمر بالتمسك
بفارصوفيا .

وكان من المحال تنفيذ هذا الأمر إذ لم تكن الحامية المدافعة
عن فارصوفيا تزيد على قوة أربع كتائب من المشاة مع بعض
وحدات المدفعية والهندسة ؛ وكلها ذات قدرة قتالية متدنية . فكان
تنفيذ أمر هتلر يعني تركها لتقع في الأسر . ولهذا قرر قائد الحامية
الانسحاب مع قوته الضعيفة . وعندها بلغ غضب هتلر أوجه .

وفي اليوم التالي ؛ وبينما كان غودريان يقدم تقريره ؛ قاطعه
هتلر وأمره بأعلام ضباط هيئة الأركان المكلفين بكتابة التقارير

والأوامر المتعلقة بقطاع فارصوفيا أن يستعدوا للتحقيق والاستجواب .

فقال له غودريان : « انني أنا المسؤول الوحيد عن أحداث اليوم الفائت . وما عليك إلا استجوابي أنا ؛ ولا ضرورة لاستجواب الرؤوسين وإلقاء القبض عليهم » .

وأجاب هتلر على الفور : « كلا ! لا أود أن أنال منك ، بل أقصد هيئة الأركان . لا أستطيع تحمل رؤية مجموعة من المثقفين الذين يفرضون آراءهم على رؤسائهم . هذه طريقة هيئة الأركان التي أريد أن أحطمها .

وفي الليل ؛ تم اعتقال الضباط القادة في هيئة أركان غودريان . فلما علم غودريان بعد ذلك بساعات ، توجه في الصباح إلى مقر قيادة الفوهرر ؛ وأبلغه احتجاجه ، وطلب إحالته إلى هيئة التحقيق ، ووافق هتلر . وأمضى غودريان ساعات ثقيلة ومرهقة - كادت تفقده أعصابه - وأنتهى التحقيق باتخاذ قرار عقوبة ضباط هيئة أركان غودريان واستبدالهم بآخرين . هذا فيما كانت ألمانيا تجابه الكارثة الحقيقية ؛ وفيما كان جنود ألمانيا يبذلون كل جهد مستطاع للدفاع عن وطنهم .

كان الجيش الألماني الرابع المدافع عن سيليزيا العليا قد تعرض يوم ٢١ كانون الثاني - يناير - لخطر التطويق المزدوج . فقرر قائده - الجنرال هوسباخ - التصرف بمبادأته ؛ ودون إعلام القيادة ، وأمر وحدات جيشه بالقتال التراجعي للانسحاب نحو الخلف ؛ وشن هجوم نحو الغرب لفتح الطريق أمامه ؛ والوصول إلى نهر

الفتول وءءوء بروسفا الشرقة ، والاتصال بالأس الشاف الذف كان ففوءه الأسرفال وفس . ولم فعلم القفاة العلفا للأس البرف ولا هفلفر بما قررله هوسباآ ونفذه ؛ إلا بعء أن فم الفلفف ءوفا قفال عن ءصن لوفزن - وهو أفوى ءصن فف بروسفا الشرقة - فانفأسر غضب هفلفر (فوم ٢٤ كانون الفاف - فنافر) وقال : « إن هوسباآ ووفس قء اففقا مع العءو » ، وأمر بأءالفها إلى المأس العسكرف مع ضباط هفئة أركانها .

وءاول ءوءرفان فلهءة غضب هفلفر الذف فقء السفطرة على نفسه . وأكء له أن فصرف القافءفن قء ءاء نففءة ضفط العءو ؛ واستبعء اففام (الءفانة والاتصال بالعءو) . ولكن هفلفر أصر على اسفءالها بفقاء لم فكن لءفهم أفة ءبرة قتلفة ؛ أو أفة معرففة بفقاء القواف فف المفءان .

لقد ءاول ءوءرفان العفور على الءل لانقاذ بلاده من المأزق الذف كانت فءابهه ؛ وءرب الاسفانة بزملائه ورفاقه فف السلاح لإفءاء الءلول المناسبة ؛ وكانت له مواقفه الفف فصعب فءاءها فف فعاونله مع قفاة هفلفر أءفاناً وفف مءابهفه لها فف أءفان أخرى . وفمكن فف هءا المءال الإشارة إلى مءاولفه مع وزفر الءارءفة (روبفنفروب) للبعء عن المءرف .

ففى فوم ٢٥ كانون الفاف - فنافر - ١٩٤٥ فوفه ءوءرفان لمقابلة (روبفنفروب) فف شقفه الأنففة الفف ءصفت له فف مبنف الوزارة ؛ وأطلفه على الموقف بصورفه الواقفة وسأله فف النهاية ما إذا كان مسفءداً لمرافقفه للاءفماع بهفلفر واقفراح عقق هءنة مع الءلفاء

الغربيين ؛ من أجل تركيز الجهد على الجبهة الشرقية . وأجاب روبينتروب :

« لا أستطيع ذلك ؛ إنني من أنصار الفوهرر الأوفياء وهو لا يقبل مبدأ المباحثات الدبلوماسية بيننا وبين العدو ؛ وأنا على يقين مما أقول ، لذلك من المحال مفاثته بهذا الموضوع الذي تقترحه » .

عندئذ سأله غودريان : « ماذا تقول إذا وصل الروس في ثلاثة أسابيع أو أربعة إلى أبواب برلين ؟ » .

وأجاب روبينتروب وقد ظهرت على وجهه أمارات الخوف الشديد : « هل تعتقد ذلك ممكناً ؟ » .

وعندها أكد له غودريان بأنه ما دامت القيادة الحالية على ما هي عليه فإن الأمر ليس ممكناً بل إنه حتمي أيضاً . وفقد روبينتروب هدوءه لفترة من الوقت .

أعاد عليه غودريان السؤال ما إذا كان مستعداً لمرافقته ومقابلة هتلر ، فأجاب بالرفض . وقبل أن ينسحب غودريان قال له روبينتروب : « سيبقى هذا الحديث بيننا سراً ، أليس كذلك ؟ » . ووعده غودريان خيراً . وعاد من حيث أتى .

لاحظ غودريان عندما حضر في المساء لتقديم تقريره - كالمعتاد - أن هتلر متأثر جداً ؛ وكان يتحدث بصوت مرتفع ومضطرب ، وكان يطلب بإلحاح تنفيذ (أمره الأساسي رقم ١) والقاضي بمنع أي شخص كان من نقل المعلومات التي تصله بحكم علمه إلى أي شخص آخر ؛ إلا إذا كانت هذه المعلومات ضرورية لما يضطلعون به من أعمال وواجبات مشتركة . ثم تابع حديثه

ورفع صوته قليلاً : « عندما يذهب رئيس هيئة الأركان العامة إلى وزير الخارجية ليعلمه عن الموقف في الجبهة الشرقية ؛ وهو ينوي الوصول إلى هدنة مع الدول الغربية ؛ يكون قد ارتكب خيانة عظمى ». وعرف غودريان عندها أن روبينتروب لم يكتف السر . وقال في نفسه : حسناً على كل حال ؛ لقد عرف هتلر على الأقل الموقف الذي يجب عليه اتخاذه .

لم تتمكن كافة الجهود والتضحيات من إيقاف الكارثة . واستولت القوات السوفيتية على سيليزيا العليا . وجاء وزير التسليح والذخائر ، ليقدّم تقريره وقد استهله بعبارة (لقد خسّرنا الحرب) . وقدم هذا التقرير إلى غودريان ليقرأه ، فوافق غودريان على مضمونه ، وعندما قدمه إلى هتلر ، وقرأ هتلر العبارة الأولى ؛ أمر بوضعه في خزانته الحديدية .

وحضر وزير التسليح والذخائر في الليلة التالية ليقدّم تقريره ، فرفض هتلر استقباله ، وقال لغودريان : « انه سيقول لي مرة أخرى اننا خسّرنا الحرب وعلي انهاءها » . ولكن الوزير أصر على مقابلة هتلر - على انفراد - ليطلع على الموقف ؛ وأرسل له مذكرة مع مساعده . فأمر هتلر هذا المساعد بقوله : « ضع هذه الوثيقة في خزانتي الحديدية » واستدار نحو غودريان ليقول له : « هل عرفت الآن لماذا لا أستقبل أحداً وأنا بمفردي ؟ إن كل من يود التحدث إلي بلا شهود يريد التصريح بأشياء مزعجة . وهذا ما لا أستطيع تحمله » .

كان (غودريان) في عمل مستمر ؛ لإعادة تنظيم الخطوط

الدفاعية المتتالية ؛ وإعادة تنظيم القوات ؛ وتأمين متطلبات القتال ؛ ثم حضور المؤتمرات اليومية في مقر الفوهرر وهي المؤتمرات التي أظهرت عقمها وعدم جدواها - من وجهة نظر غودريان على الأقل - .

وفي هذه الظروف ، وبينما كانت قوات الحلفاء على الجبهتين تقترب من قلب ألمانيا ، بقي هتلر مصمماً على متابعة تنفيذ مخططاته ؛ ومنها الهجوم على المجر . ووجد غودريان نفسه مرغماً من جديد على مجابهة هتلر ، فأوضح له أنه لا فائدة ترجى من الهجوم في المجر ؛ وأنه بدلاً من ذلك ؛ يمكن شن هجوم آخر على القوات السوفييتية التي كانت تتقدم بين (فرانكفورت) و (كوسترين) والاندفاع على مجنبتها الضعيفتين ، مما يتيح الفرصة لدعم الدفاع عن عاصمة الرايخ وأراضيه ؛ ريثما تتسنى ظروف مناسبة لمفاوضات الحلفاء الغربيين على شروط الهدنة .

كان الشرط الأساسي لتنفيذ هذه العملية هو الجلاء عن البلقان وإيطاليا والنرويج وكورلاند بسرعة . فتقدم غودريان إلى هتلر بطلب الجلاء عن هذه الأراضي في بداية شهر شباط - فبراير - ١٩٤٥ لكن هتلر رفض الطلب . فعاد غودريان للإلحاح بطلبه وقال لهتلر : « لا تظن أن العناد هو الذي يدفعني لتقديم اقتراحاتي المتتالية بالجلاء عن منطقة كورلاند - خاصة - فأنا لا أرى حلاً آخر للحصول على قوات احتياطية . ولن نستطيع الدفاع عن عاصمة الرايخ إذا لم تتوافر هذه القوات الاحتياطية . إنني لا أعمل إلا لصالح ألمانيا » .

وهنا انتفض هتلر وصرخ غاضباً : « كيف تجرؤ على التفوه بهذه الكلمات ؟ هل تعتقد أنني لا أقاتل من أجل ألمانيا ؟ إن حياتي

كلها ما هي إلا قتال من أجل ألمانيا ! » ثم صب جام غضبه على غودريان ؛ واهتاج بشكل غير عادي ؛ مما حمل غورينغ على الامساك بغودريان من يده ومرافقته إلى غرفة مجاورة حيث شربا معاً القهوة لتهدئة أعصابهما المتوترة .

وعاد غودريان إلى قاعة المؤتمرات بعد أن طلب إليه هتلر العودة لمتابعة بحث الموقف . ورفع هتلر صوته عالياً من جديد ؛ وارتفع صوت غودريان وهو يطلب إجلاء القوات عن كورلاند . وتقدم هتلر في النهاية نحو غودريان وقد رفع قبضته ، وتدخل رئيس هيئة غودريان - الجنرال تومال - فسحب غودريان من سترته في محاولة لتجنب الصدام الذي أوشك على الوقوع .

وتكررت مثل هذه المشاهد ؛ ولكن بشكل أكثر عنفاً ؛ في اجتماع ١٤ شباط - فبراير - حتى خشي القادة من غضب هتلر على غودريان ؛ وحتى تملك الخوف أفراد حاشية هتلر تحسباً من إصابته بنوبة تودي بحياته خلال تلك الفترة الصعبة .

وحدثت بعد ذلك مصادمات مشابهة . وكان أصعب ما واجهه غودريان بعد ذلك هو التصدي لقرار هتلر : « بتدمير جميع المصانع وشبكات توزيع المياه ومراكز توليد الطاقة - الكهرباء - والخطوط الحديدية والجسور ؛ وكل ما يفيد العدو » . وتقدم غودريان بمذكرة مضادة لمنع القيام بكل عمل تخريبي يزيد من بؤس المواطنين الألمان وشقائهم بعد كل ما نزل بهم من الدمار . فرد هتلر معقباً : « إذا خسرنا الحرب سيفقد الشعب كل ما يملك ؛ ولا يمكن التملص من هذا المصير . ليس من الضروري أن نتيح له القواعد الضرورية حتى يعيش حياة بدائية ، بل على العكس ،

علينا أن ندمر نحن هذه المنشآت لأن هذا الشعب قد برهن على ضعفه أمام الشعب الشرقي القوي الذي سيتمتع وحده بالحياة في المستقبل . وعلى كل حال ؛ فلن يبق على قيد الحياة سوى الضعفاء ؛ لأن الأقوياء قد استشهدوا .

وقال غودريان : « سيبقى الشعب الألماني حياً ؛ وفقاً لقوانين الطبيعة الثابتة حتى لو تم تدمير المنشآت . ولكن هذا التدمير سيعرض الشعب لآلام لا يمكن تجنبها ولا يمكن وصفها » .

وأصدر هتلر تعليماته بتدمير كافة المنشآت يوم ١٩ آذار - مارس - وكلف الحزب وتنظيماته بالتنفيذ . ولكن الجيش قاوم أعمال التخريب . واستطاع غودريان بالتعاون مع وزير التسليح والذخائر ؛ وبالتعاون مع القادة ؛ منع وصول المتفجرات للحزب ، مما أحبط أمر هتلر التخريبي ؛ فلم تحدث أكثر من أعمال تدميرية محدودة .

أصبحت الحياة قاسية في عاصمة الرايخ إلى درجة لا تطاق ولا تحمل . ونزل الدمار في كل بناء ؛ فيما كان الجنود الألمان يتابعون صراخهم المرير في ظروف بالغة الصعوبة ؛ وأدرك الجميع أنه : « ضياع كل شيء » . وكأن كل ذلك لم يكن كافياً ؛ فزاد هتلر من معاناة قادته بتحميلهم أوزار ما هم منه براء من الفشل ؛ لقد كان يبحث باستمرار عن الضحايا للدفاع عن فشله . وكان لا بد من أن يطال غضب هتلر القادة من ضباط هيئة أركان (غودريان) والقادة العاملين معه . وكان لزاماً على غودريان بالتالي الدفاع عن مرؤوسيه ومعاونيه وقد عرف فيهم الإخلاص الذي لا حدود له ؛

لوطنهم وجيشهم ؛ وتابع ما بذلوه من جهد تجاوز حدود الاستطاعة .

ووصل الأمر إلى ذروته يوم ٢٨ آذار - مارس - ١٩٤٥ . لقد انهارت مقاومة القوات انهياراً كاملاً ، ولم تعد قادرة على تنفيذ الهجمات المضادة الكبرى التي كان يريد لها هتلر . وأراد هتلر انزال العقاب ببعض القادة ، وجابهه غودريان ، وغضب هتلر ؛ فأمر القادة بالخروج من قاعة الاجتماعات ؛ واستبقى هملر وغودريان ، ثم وجه حديثه إلى غودريان قائلاً : « تتطلب صحتك أيها الجنرال إجازة نقاهة مدتها ست أسابيع ؛ أرجو أن تهتم بصحتك . سيصبح الموقف حرجاً بعد هذه الأسابيع الستة . وسأكون بحاجة إليك » . وودعه هتلر وداعاً ودياً .

ومضى غودريان إلى منزله . فزف لزوجته نبأ عزله ؛ ومضى معها إلى مصح قرب ميونيخ حيث أمضى شهراً . وانتقل في بداية شهر أيار - مايو - إلى التيرول حتى أسره الأمريكيون يوم ١٠ أيار - مايو - ١٩٤٥ ، ومعه هيئة الأركان العامة لتفتيش المدرعات . وكان لديه متسع من الوقت - وهو في سجنه - للتأمل في قصة (مذكرات جندي) ولم يعمر بعد ذلك طويلاً . فتوفي يوم ١٤ أيار - مايو - ١٩٥٤ .

بذل غودريان كل ما يستطيعه من جهد للدفاع عن بلاده ؛ وللمحافظة على وحدة بلاده ، لكن جهده ذهب سدى مع (الانتصارات الضائعة) .

لقد عاش (غودريان) حياته للحرب ومن أجل الحرب . وأبدع فيها أيما إبداع ؛ وقد حفظ له تاريخ فن الحرب كل أعماله

ومنجزاته . وسيبقى تطور السلاح المدرع في القرن العشرين مرتبطاً باسم (غودريان) .

لكن ما حفظه التاريخ أكثر هو (قصة غودريان الإنسان) الذي رفض باستمرار حرمان الحرب من طابعها الإنساني ؛ وتجريدها من فضائلها ، وتحويلها إلى (مجزرة وحشية بربرية) .

لقد كانت أوامر هتلر الصريحة ؛ وتوجيهاته الواضحة ؛ تريد إبادة الشعوب السوفيتية ، وسواها من الشعوب . ولكن غودريان - النبيل البروسي - رفض تنفيذ هذه الأوامر ، وعمل على مقاومتها ؛ شأنه في ذلك كشأن عدد كبير من القادة الألمان (رونشتد ومانشتاين ورومل وسواهم) .

لقد كان مفهوم غودريان للحرب هو أنه صراع بين القوات المسلحة لتحقيق هدف معين هو تحقيق النصر على أرض المعركة . ومن هنا كان تقويمه للتوازن بين (هدف الحرب) و (غاية السلم) . فالسلم هو الهدف النهائي الذي تبحث عنه السياسة العليا . ولا يمكن تحقيق هذا السلم إلا بالتعاون مع الشعوب المغلوبة . ولهذا لم يكن غريباً أن يحاول غودريان مناشدة الحلفاء بإيقاف قصفهم الوحشي والمدمر للشعب الألماني . ولكن الحلفاء لم يستجيبوا لنداءاته ؛ بل أرادوا الانتقام من الشعب الألماني ومعاقبته على ما فعلته قيادته النازية - الهتلرية - التي كان غودريان على خلاف مستمر معها .

لقد دمر هتلر وجهاز قيادته عدداً كبيراً من القادة العسكريين والرجال السياسيين ، وأزال من الوجود مجموعات بشرية لا حصر

لها ، ولم يهتز له جفن ؛ حتى بات رمزاً للرعب ؛ وحتى لم يعد هناك ثمة من يجرؤ على معارضته أو مناقشته . فلماذا استبقى غودريان ؟ ولماذا لم يعمل على إزالته من الوجود ، أو إبعاده على الأقل والاستغناء عن خدماته ؟ .

لقد فرض غودريان وجوده بفضل كفاءته العليا وحافظ على وجوده بفضل صدقه وإخلاصه ورجولته . لم يحاول أبداً أن يطعن هتلر في الظهر رغم وفرة المتآمرين والطاعنين . ولم يكن صدقه وإخلاصه إلا التزاماً منه بكلمة (الشرف) ، ووفاء (للعهد) وهي قيم فقدت مضامينها في عصر (هيجان الحروب) فلا غرابة إن وجد هتلر في (غودريان) إنساناً فرداً لا منافس له في فضائله وفي كفاءته ، فرغب في الحفاظ على (انسان الفضائل والقيم) في عصر (ضياع الفضائل والقيم) .

وتبقى هناك أسئلة كثيرة ؛ لعل من أبرزها السؤال التالي :

- لقد اصطدم غودريان بهتلر مرات لا حصر لها ؛ من أجل تأمين الدفاع عن ألمانيا والمحافظة على قدرتها ووحدتها . فهل كان باستطاعته تحقيق ذلك لو استجاب له هتلر ؛ وأخذ بمخططاته ؟

يقيناً لا . فلقد وضع الحلفاء مخططاتهم وحددوا أهدافهم بالقضاء على ألمانيا وتمزيقها . وكان ميزان القوى والوسائل في غير صالح ألمانيا . ولهذا كان من المحال إيقاف الكارثة أو منع وقوعها ؛ وكان لا بد بالتالي من حدوث ما حدث .

لم يكن غودريان رجل السياسة ؛ وكانت اجتهاداته بعيدة عن

الواقع . إلا أنه كان رجل الحرب وقائدها الظافر حتى في أصعب الظروف . وهذا ما يفسر استمرار المقاومة الألمانية بضراوة وعناد حتى آخر يوم من أيام الحرب .

بسام العسلي

فرائد

قراءات ١

وداع الفيلق المدرع التاسع عشر

كان الفيلق المدرع التاسع عشر (فيلق غودريان) هو الكتلة الرئيسة في اجتياح الغرب (فرنسا) . وقد أنجز هذا الفيلق مهمته بنجاح رائع . ووجه غودريان كلمة إلى قوات فيلقه يوم ٢٦ أيار - مايو - ١٩٤٠ ؛ تضمنت ما يلي :

يا جنود الفيلق التاسع عشر .

لقد أمضينا سبعة عشر يوماً من المعارك في بلجيكا وفرنسا ؛ وابتعدنا مسافة ستمائة كيلومتراً عن حدود الرايخ ؛ ووصلنا إلى شواطئ المانش والمحيط الأطلسي . ولقد اخترقتم عبر هذه المسافة التحصينات البلجيكية ؛ وتجاوزتم نهر الموز ؛ واخترقتم خط ماجينو أثناء معركة سيدان الشهيرة . لقد استوليتم على مرتفعات ستون الاستراتيجية الهامة ؛ ثم قمتم بعمل حاسم وسريع باتجاه (سان كوانتان) و (بيرون) فاستوليتم على منطقة (السوم الأسفل) في (أميان) و (آبفيل) وتوجتم انتصاراتكم بالاستيلاء

على شواطئ المانش والتحصينات البحرية في (بولون)
و (كاليه) .

لقد طلبت منكم التخلي عن النوم لمدة ثمان وأربعين ساعة ؛
فتخليتم عنه لمدة سبعة عشر يوماً . لقد حملتكم على قبول التهديد
ضد مجنباتكم - أجنحتكم - ومؤخراتكم ؛ فلم يظهر منكم أي
ضعف على الإطلاق . إنكم تتمتعون بثقة مثالية في أنفسكم ؛ وأنتم
على قناعة تامة بأنكم قادرون على تنفيذ مهمتكم ؛ لقد نفذتم كل
أمر صدر إليكم ، بتفان وبنكران للذات ، وإن ألمانيا لفخورة بفرقها
المدرعة ؛ وأنا فخور بقيادتكم .

سنذكر باحترام رفاق السلاح الذين استشهدوا ؛ وهم على
ثقة بأن تضحياتهم لن تضيع هباء ؛ فلنستعد للقيام بمآثر جديدة من
أجل ألمانيا ؛ ومن أجل قائدنا : أدولف هتلر .

غودريان

قراءات ٢

كلمة تقدير وعرفان بالجميل

انتهت معركة فرنسا ؛ ووقعت الحكومة الفرنسية (حكومة بيتان) الهدنة مع ألمانيا يوم ٢٢ حزيران - يونيو - ١٩٤٠ . وأصدرت القيادة الألمانية العليا أمراً بحل مجموعة غودريان المدرعة ؛ تمهيداً لإعادة التنظيم الشامل للقوات الألمانية . وأصدر غودريان أمره اليومي بهذه المناسبة والذي تضمن ما يلي :

مجموعة غودريان بوزانسون ٣٠ حزيران - يونيو - ١٩٤٠

أمر إداري

يتبدل الآن تشكيل مجموعة البانزر غودريان ؛ وأغتتم هذه الفرصة لأعبر عن وداعي الودي لهيئة الأركان ؛ والتشكيلات المنقولة إلى وحدات أخرى .

سيدون التاريخ المسيرة الظافرة للقوات ما بين نهر الآين والحدود السويسرية ؛ وحتى جبال الفوج ؛ وستظل هذه المسيرة

نموذجاً بطولياً لعمليات الاختراق التي نفذتها هذه الوحدات
السريعة .

أشكركم لهذا العمل العظيم الذي كان تتويجاً جميلاً للقتال ،
وثمرة للجهود التي بذلتها منذ أكثر من عشر سنوات .

فإلى الأمام في سبيل تنفيذ واجبات جديدة ؛ ولتحقيق
انتصارات أخرى حتى الانتصار النهائي لألمانيا العظمى .

عاش الفوهرر
غودريان

قراءات

٣

وداع الفشل لا وداع النصر

توقفت وحدات الجيش المدرع الثاني بقيادة غودريان ؛ أمام أبواب موسكو ؛ وكان على هذه الوحدات مواجهة عدوين في آن واحد ، البرد وهجمات القوات السوفيتية . وكان من نتيجة ذلك ظهور اختلاف بين غودريان والقيادة الألمانية العليا في موضوع التعامل مع هذين العدوين ؛ فكان من طبيعة الأمور أن يتقرر نقل غودريان وابعاده عن قواته . وشعر غودريان بالألم يعتصره وهو يغادر هذه الوحدات والقوات التي عاشت معه حلاوة الانتصارات ومرارة الهزائم ؛ فأصدر إليها أمره اليومي .

الجنرال قائد الجيش المدرع الثاني

المقر العام لقيادة الجيش ٢٦ / ١٢ / ١٩٤١

أمر إداري

يا جنود الجيش المدرع الثاني .

إن الفوهرر القائد العام للقوات الألمانية قد فصلني عن

قيادتي .

وإني ؛ وفي اللحظة التي أفترق بها عنكم ؛ أذكر الأشهر الستة الماضية التي قضيناها في المعارك المشتركة التي خضناها من أجل شرف بلادنا ؛ وانتصار سلاحنا ، واذكر بخشوع أولئك الذين ضحوا بحياتهم ودمهم من أجل ألمانيا .

يا رفاق القتال ! أشكركم من أعماق قلبي لوفائكم ولنكرانكم للذات ولصداقتكم الحقيقية التي برهنتم عليها طوال هذه الفترة المديدة . لقد ارتبط مصيرنا في جميع الأحوال ، وكان سروري كبيراً عندما كنت أضحى في سبيلكم ؛ أو أساعدكم قدر استطاعتي . وداعاً .

إنني أعلم أنكم ستقاتلون بالشجاعة التي قاتلتم بها دائماً ، وستنتصرون على الرغم من شدة الشتاء وتعداد الخصم . سترافقكم أفكارى في طريقكم الشاق . وتذكروا أنكم تسيرون على هذا الطريق من أجل مجد ألمانيا . يحيا هتلر .

غودريان

قراءات ٤

أصدر هتلر أمراً بتعيين غودريان مفتشاً عاماً للوحدات المدرعة ، وحدد له مسؤولياته وواجباته بموجب هذا الأمر يوم ٢٨ شباط - فبراير - ١٩٤٣ .

توجيهات إدارية إلى المفتش العام للوحدات المدرعة

- ١ - إن المفتش العام للوحدات المدرعة مسؤول أمامي عن تطور السلاح المدرع في الاتجاه الملائم لدوره الحاسم في قيادة الحرب . والمفتش العام للوحدات المدرعة أصبح تابعاً لي مباشرة ، وهو يتمتع برتبة جنرال قائد جيش وصلاحياته ، وهو القائد الأعلى للوحدات المدرعة .
- ٢ - تقع مسؤولية تنظيم السلاح المدرع وتدريبه وتنظيم التشكيلات الكبرى السريعة في الجيش البري على المفتش العام للوحدات المدرعة ، بالإتفاق مع رئيس هيئة الأركان العامة للقوات البرية . وله الحق من جهة أخرى بإصدار التعليمات إلى

القوات الجوية والقوات البرية باسمي ؛ فيما يتعلق بتنظيم القوات المدرعة وتدريبها ؛ وتبقى القرارات المبدئية منوطة بي ؛ وسيعرض علي الطلبات المتعلقة بتطوير أسلحته فنياً ؛ وبمشاريع الصنع ، حتى أوافق عليها وذلك بالتعاون الوثيق مع وزارة الرايخ للتسليح والذخائر .

٣ - بصفته القائد المباشر للوحدات المدرعة ؛ فإن قيادته تشمل أيضاً الوحدات والقوات الاحتياطية لسلاحه ؛ ويقع على عاتقه العمل من أجل تبديل العناصر والعربات المدرعة التابعة للقوى البرية في الميدان ؛ سواء كانت عربات فردية أو ملاكات وحدات ينبغي استكمالها ؛ أو تشكيل وحدات جديدة . وهو مسؤول عن توزيع الدبابات والعربات المدرعة في الوحدات الميدانية ؛ ويتقيد بتعليماتي .

٤ - يحرص المفتش العام للوحدات المدرعة على تنفيذ الأوامر المتعلقة باستكمال الوحدات المدرعة والوحدات السريعة والتشكيلات الجديدة ؛ وفقاً للمخططات الموضوعية ؛ وفي الوقت المناسب . وهو يعمل بالاتفاق مع هيئة الأركان العامة للقوى البرية على استخدام الطواقم - السدنة - التي ليس لها دبابات في الجيوش الميدانية .

٥ - على مفتش الوحدات المدرعة الاستفادة من خبرات الحرب فيما يتعلق بالتكتيك والتسليح وتشكيل الوحدات المدرعة وتنظيمها . ولهذه الغاية ؛ يحق له زيارة جميع الوحدات المدرعة ؛ في القوات البرية ووحدات المشاة وتفتيشها . وتقدم الوحدات المدرعة للجيش الميداني تقريراً عن جميع الخبرات التي

تم اكتسابها إلى مفتش الوحدات المدرعة ؛ فيدوّن عليها المفتش ملاحظاته واستنتاجاته ، ويرفعها إلى السلطات المسؤولة ومنها وزير الرايخ للتسلح والذخائر . ويضع مفتش الوحدات المدرعة جميع أنظمة الوحدات المدرعة ، ويتأكد من موافقة رئيس هيئة الأركان العامة عليها قبل نشر النصوص المتعلقة بقيادة الوحدات الكبرى وتعاونها مع بقية الأسلحة .

٦ - تكون الوحدات والمؤسسات التالية بأمرة مفتش الوحدات المدرعة بوصفه القائد الأعلى في السلاح المدرع :

آ - الوحدات الاحتياطية ووحدات تدريب التشكيلات السريعة التي تجمع تحت قيادة خاصة (ما عدا الفرسان ووحدات الدراجات الاحتياطية) .

ب - مدارس الوحدات السريعة في الجيش الميداني واحتياطات الجيش البري مع وحدات التدريب التابعة لها (عدا منشآت الفرسان ووحدات الدراجات التدريبية) .

٧ - من صلاحيات مفتش الوحدات المدرعة في جميع المستويات ؛ وفي فروع القوى البرية ؛ إعطاء التعليمات التي لها قوة الأوامر . كما توضع على جميع المستويات والفروع تحت تصرف المفتش العام للوحدات المدرعة العناصر الاستعلامية التي يحتاج إليها .

مقر القيادة العام للفوهرر

٢٨ شباط - فبراير - ١٩٤٣

التوقيع

أدولف هتلر

المراجع الرئيسة للبحث

- ١ - مذكرات جندي - الجنرال هنز غودريان - ترجمة العميد الركن كاستون فاتول . دمشق - ١٩٧٤ .
- ٢ - تاريخ الجيش الألماني - تأليف بينوا - ميشان - ترجمة العميد الركن محمد سميح السيد دمشق ١٩٧٦ .
- ٣ - الانتصارات الضائعة - أريك فون مانشتاين - ترجمة أمين النفوري . هيئة التدريب - دمشق - ١٩٧٧ .
- ٤ - القادة الألمان في عهد هتلر وبعده - الإدارة السياسية - دمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- ٥ - تاريخ فن الحرب - الجنرال ستروكوف - ترجمة العميد الركن صباح الدين الأناسي - وزارة الدفاع - دمشق - ١٩٦٨ .
- ٦ - إدارة الحرب - الجنرال ف . س . فوللر - ترجمة أكرم ديري - دار اليقظة العربية - بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- ٧ - عهد الحرب الخاطفة - آري - آش ؛ أرنكتون . ترجمة رياض شاهر التقي - مركز الدراسات العسكرية - دمشق - ١٩٨١ .

٨ - المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية - بيتر يانغ - ترجمة
المقدم المتقاعد بسام العسلي - الإدارة السياسية -
دمشق ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ .

٩ - تطور فن الحرب - الجنرال جيلين - ترجمة محمد حسن حافظ
- مركز الدراسات العسكرية - دمشق ١٩٨١ .

١٠ - الدبابات (ظهورها ؛ تطورها ؛ مستقبلها) تأليف العميد
الركن محمد وليد الجلاد ، اللواء أحمد يوسف - مؤسسة بكار
للطباعة - دمشق ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الوجيز في حياة غودريان	١١
الفصل الأول	١٥
١ - جيل الهزائم	١٧
٢ - السلاح المدرع	٢٩
٣ - التجربة الأولى في الحرب	٤١
٤ - اجتياح الغرب	٧١
الفصل الثاني (على جبهة الشرق)	١٠٥
٥ - الموقف العام	١٠٧
٦ - مينسك وسمولنسك	١١٦
٧ - التحول من موسكو إلى كييف	١٢٢
٨ - معركة كييف	١٣٣
٩ - العمل على اتجاه موسكو	١٤٠
الفصل الثالث (في مواجهة البلاء)	١٦٣
١٠ - السيف في غمده	١٦٥

١٧٥	١١ - من (القلعة) إلى (جبهة الغرب)
١٨٥	١٢ - المؤامرة
١٩٤	١٣ - رئاسة هيئة الأركان
٢٠٤	١٤ - الأيام الأخيرة
٢١٩	قراءات
٢٣١	الفهرس

مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً
يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى
يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر
بعسكرينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن
يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها...
فقدماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقراً
حياة العظماء».

لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو
المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع،
أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد
منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع
البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في
إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل
معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو
الهزيمة.

الناشر

